د. البشير أحمد محي الدين

على تخوم جبال النوبة
تاريخ مملكة تقلي





- الدكتور البشير أحمد محيي الدين.
- من مواليد النيل الأبيض مدينة الدويم ١٩٧٥م.
- له العديد من الكتب المنشورة.
- معجم أعلام السودان من ١٨٢١م-١٩٥٦م.
- تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان التقرير رقم٦٠.
- تاريخ أقاليم جنوب السودان من ١٨٢١-١٩٠٠م (تحت النشر).
- الأجانب في جنوب السودان من ١٨٢٨-١٨٨٥م (تحت النشر).
- المنسي والمحكي من تاريخ السودان.
- له العديد من الأوراق العلمية المنشور.
- دكتوراه في الدراسات الاستراتيجية.





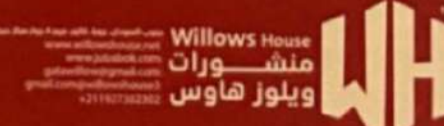
الممالك في السودان وجدت منذ زمن بعيد ضارب في التاريخ وله عمق يتناسب مع قدم إنسانه في فترات ما قبل التاريخ وفي فترات الممالك الوثنية ومرورًا بالممالك المسيحية ومن بعدها الممالك الإسلامية، ففي جنوب السودان نشأت مملكة شلو (الشلك) وهي مملكة تقليدية قديمة ذات نفوذ محدود بمناطق الشلك ويتزعمها الرث أو المك ومملكة يورنيو التي حكمها الملك كباريقا في خط الاستواء الذي عاصر وصول الرحالة ومدير الاستوائية صوميل بيكر ومملكة الزبير ود رحمة في بحر الغزال ومملكة الملك تكمة في بلاد الزاندي (النيام نيام) وبحر الغزال في إقليم دارفور عرفت العديد من الممالك مثل الداجو والمساليت والفور وغيرها وهذا على سبيل المثال لا الحصر، وفي كردفان عرفنا المسبعات وتقلي وقبلهم مملكة الأشراف العباسيين في بارا وجبل الداير وفي الوسط قبل هذه الممالك كانت علوة والمقرة وتاسيتي والمريس وغيرها من الممالك السودانية الخالصة.

سلسلة تاريخ السودان





ISBN : 978 - 977 - 6597 - 42 - 1



على تخوم جبال النوبة

تاريخ مملكة تقلي



د. البشير أحمد محيي الدين

على تخوم جبال النوبة

تاريخ مملكة تقلي

استهلال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ

صدق الله العظيم



المؤلف

- الدكتور البشير أحمد محيي الدين.
- من مواليد النيل الأبيض مدينة الدويم 1975م.
- أب لأربعة أطفال.
- له العديد من الكتب المنشورة.
- معجم أعلام السودان من 1821م-1956م.
- تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان التقرير رقم60.
- تاريخ أقاليم جنوب السودان من 1821-1900م (تحت النشر).
- الأجانب في جنوب السودان من 1828-1885م (تحت النشر).
- المنسي والمحكي من تاريخ السودان.
- له العديد من الأوراق العلمية المنشور.
- دكتوراه في الدراسات الاستراتيجية.

إهداء

- إلى أشـقائي الذيـن أحبهـم (المأمـون والطيـب والشـاذلي والنـور) ومـن مـضى منهـم لرحمـة ربـه (الفضـل ومحمـد) عليهـما رحمـة اللـه، وإلى أخـواتي وأسرتي الصغـيرة...
- وكل من يقرأ لي لولاهم لما كتبت مطلقًا...

شكر وتقدير واجب

في الكتاب لا يسعني إلا أن أشكر كل أهالي في مناطق تقلي على وجه الخصوص وجبال النوبة على وجه العموم وكل من أسهم معي بفكره ورأيه وإرشاده أو من أمدني في المقابلات التي أجريتها معهم.

أشكر المهندس معاوية عبد الرحمن الزيبق حفيد المك آدم أم دبالو على ما أتحفني به من صور ووثائق وكتب وإرشاد، والإخوة (تجاني وخالد وشرف الدين) أبناء المرحوم حاج أحمد وأحفاد المك آدم أم دبالو الذين أخذت عنهم ومنهم الكثير في تاريخ تقلي.

وأشكر آدم إبراهيم أبوه لحديثه القيم عن دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في جبال النوبة.

وأشكر كذلك أشقائي: أخي الباحث القدير الطيب أحمد محيي الدين لتصويباته، فقد استفدت من الحوارات التي أجريتها معه أيما فائدة، والفنان العالمي المأمون أحمد محيي الدين، والمبدع الشاذلي أحمد محيي الدين، والقارئ الجيد أخي النور أحمد محيي الدين على جميل أفكارهم حول مشروع الكتابة عن تاريخ مملكة تقلي التي هي أحد نماذج التمازج والمنعة الوطنية.

محبكم

الدكتور البشير أحمد محيي الدين

الخرطوم 2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم بقلم المهندس معاوية عبد الرحمن الزيبق

ظل تاريخ بعض مناطق السودان مُهملًا أو يتم تناوله بصورة مقتضبة جدًّا بدعوى عدم وجود وثائق مكتوبة أو آثار تاريخية يعتد بها، علمًا بأن الكثير من الأحداث تم تناقلها شفاهة من جيل إلى جيل ولم تُوثق لعدم الاهتمام بها أو لعدم المعرفة بالكتابة إلا بصورة محدودة ومؤخرًا، لذلك ما كُتب من تاريخ لبعض المناطق تدور الشكوك حول صحة ما ورد فيه، وفي نفس الوقت هنالك الكثير من المسكوت عنه في تاريخ السودان.

يُذكر بأن التاريخ له دور مهم في وحدة الشعوب وتماسكها من خلال الاستفادة من التجارب السابقة، الحسنة منها والسيئة، فلذلك قيل بأن التاريخ مرآة الشعوب، والمؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم يذكر بأن التاريخ ممارسة ثقافية لها خصوصية لأنها ترتبط بالجماعة الإنسانية وعندما تفقد الجماعة تاريخها ينتابها شعور بالدونية وتصل إلى درجة من التشرذم والانقسام مما يؤدي إلى بروز الصراعات.

الكتابة عن جبال النوبة بصورة عامة ومن ضمنها تقلي نجدها نادرة جدًّا، وهذا النادر مرتبط بكتابات الرحالة الأجانب الذين زاروا جبال النوبة وكردفان (الأبيض)، بالرغم من وجود أحداث جسام وثورات شهدتها المنطقة في عهد الاستعمار التركي وفترة المهدية ومن بعد ذلك الحكم الثنائي الإنجليزي المصري، حيث لا نجد لها أثرًا في تاريخنا.

محاولات مقدرة من الأستاذ عبد القادر محمد دورة، من أبناء المنطقة، اجتهد في إبراز جانب من تاريخ تقلي، بالإضافة إلى الدراسة الجادة باللغة الإنجليزية التي أعدتها الأمريكية جانيت إيوالد التي مكثت في المنطقة لمدة عامين، وهي دراسة من شخص من خارج المنطقة يُفترض تناولها للموضوعات التي بحثتها بمنظار صادق ومحايد.

بالرغم من أنني لست مختصًّا في التاريخ لكن تجدني مهتمًّا به كثقافة عامة ضرورية، وعندما اطلعت على هذا الكتاب الذي وضعه **الدكتور البشير أحمد محيي الدين**، وهو ليس من تقلي، أحسست بأن هذا العمل لا شك إضافة حقيقية للتعريف بتقلي وتاريخها، حيث تناول موضوعات شتى عنها، كمملكة سودانية عريقة، ومدى تمازج

سـكانها إثنيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا مـع عنـاصر مـن داخلهـا وخارجهـا، كـما تنـاول النزاعـات التـي حدثـت حـول السـلطة والتدخـلات الخارجيـة مـن الفونـج والمسـبعات والأتـراك وفـترة المهديـة وأخـيرًا فـترة الاسـتعمار الإنجليـزي المـصري. اسـتعرض الكاتـب العديـد مـن الوثائـق التاريخيـة المهمـة وأضـاف شـيئًا مـن الـتراث والأدب الشـعبي في تقـلي، وهـو بذلـك يسـتحق أن نشـيد بمجهوداتـه المقـدرة في ظـروف شـاقة نعيشـها لا تـترك فسـحة مـن الوقـت للقـراءة والبحـث والكتابـة لا سـيما في موضوعـات كالتـي تطـرق إليهـا.

نيابـة عـن أهـل تقـلي نثمـن هـذا المجهـود العظيـم ونتمنـى أن تتواصـل مثـل هـذه الأعـمال المتعلقـة بالبحـث في تاريـخ المناطـق المختلفـة مـن السـودان لاكتشـاف مـا يجمـع شـعبه، لتشـجيعه وتقويتـه، ونبـذ مـا يفـرق شـعبه حتـى تنعـم بلادنـا بالسـلام والاسـتقرار وتكـون منـارة وقـدوة للعيـش المشـترك بين جميـع مكوناتـه باختـلاف ثقافاتهـم ومعتقداتهم.

معاوية عبد الرحمن الزيبق

حفيد الملك آدم أدبالو

الخرطوم يوليو 2020م

مقدمة المؤلف

لعبت الهجرات دورًا مهمًّا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أرض السودان، إذ ظلت الخارطة السياسية والاجتماعية في حالة تحول نتيجة لعملية التفاعل والانصهار الاجتماعي المستمرة وهو ما نتج عنه سلالات هجين بين العروبة والزنوجة وانتقال جديد من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي وتحول في أشكال وأنماط أنظمة الحكم في إقليم ممالك السودان الوثنية والمسيحية والإسلامية لاحقًا، وما هذا الكتاب إلا تصوير لواقع السودان المصغر في عملية التحول والانتقال، إذ ظلت مملكة تقلي أنموذجًا جيدًا للحالة السودانية في مراحل قوتها وازدهارها وضعفها والغدر بها وتجسد حالة البلاد السياسية والاجتماعية، إن التاريخ ليس مادة للرواة يسردونها بقدر ما هو تسلسل لأحداث وقعت وستكرر نفسها في المستقبل لذلك اتخذ منهجًا في التحليل السياسي والاجتماعي للتنبؤ بالمستقبل والخروج بنتائج علمية مرضية للمجتمعات وتجنب تكرار أزمات حدثت.

لقد عرف تاريخيًّا أن السودان هو أرض الهجرات سواء كانت وافدة أو خارجة منه، وذلك لموقعه الجيوبولتيكي المتميز وإطلالته المتميزة على شواطئ البحر الأحمر وتموضعه مع تخوم الصحراء الكبرى وامتداده في إقليم جنوب الصحراء إلى سواحل المحيط الأطلنطي ومجاورته للغابات المطيرة والاستوائية جنوبًا، هذا أكسب السودان مناخات متعددة وتنوعًا في عمليات الزراعة والرعي وسبل كسب العيش، ويلاحظ أن الأراضي المفتوحة السهلية يسرت عملية تحرك السكان بين كل أجزائه مما أوجد نوعًا من التواصل والاندماج الوطني بين مكوناته.

تمثل الهجرة بالنسبة للإنسان واحدة من ضروريات الحياة وهي تعبير عن البحث لما هو أفضل وتختلف دواعي الهجرة وأسبابها، فقد تكون من أجل التوسع أو للبحث عن ما يرفع مستوى المعيشة، ويؤدي شح الموارد إلى دفع الناس للهجرة أو كذلك البعض يهاجر لأسباب عقائدية أو للبحث عن حياة أفضل في تنقل الإنسان أو مجموعة من الناس إلى موقع أفضل وأخصب لإنتاج موارد العيش واكتساب الأموال بالطرق التجارية، وقد تكون من دوافع الهجرة أيضًا أسباب أخرى منها سوء النظام الحاكم ووقوع المظالم أو انعدام الأمن على النفس والمال فيضطر الناس إلى الخروج من وطنهم وأهله والبحث عن بلد آمن، وقد تكون لخلافات قبلية أو قومية أو طائفية

تصل إلى الاقتتال وهجرة الأفراد والجماعات أو كارثة بيئية وطبيعية تدفع السكان إلى ترك المساكن والمواطن والهجرة إلى المكان الأفضل.[1]

والهجرة في الإسلام عمل مشروع بل عبادة وطاعة ومرغب إليها إذا كانت لحفظ الدين وحمايته والدفاع عنه، ومباحة إذا كانت لأهداف مباحة، وذلك مصداق لقوله تعالى: (ومَن يُهاجرْ في سبيلِ للهِ يَجِدْ في الأرضِ مُراغَمًا كثيرًا وسَعَةً.)[2]

السودان من البلدان التي شهدت هجرات سواء في داخله أم وافدة إليه أم خارجة منه ويمكن تصنيف السودان بأنه أرض الهجرات بامتياز ونتج عن هذه الهجرات تكوين أجيال من السكان الممتزجين والمتجانسين، وهذا الجنس الهجين بين الأجناس العربية والزنجية استطاع أن يوجد ممالك قوية أسهمت في رسم الهوية الثقافية والاجتماعية في أجزاء السودان المتفرقة.

الممالك في السودان وجدت منذ زمن بعيد ضارب في التاريخ وله عمق يتناسب مع قدم إنسانه في فترات ما قبل التاريخ وفي فترات الممالك الوثنية ومرورًا بالممالك المسيحية ومن بعدها الممالك الإسلامية، ففي جنوب السودان نشأت مملكة شلو (الشلك) وهي مملكة تقليدية قديمة ذات نفوذ محدود بمناطق الشلك ويتزعمها الرث أو المك ومملكة يورنيو التي حكمها الملك كباريقا في خط الاستواء الذي عاصر وصول الرحالة ومدير الاستوائية صوميل بيكر ومملكة الزبير ود رحمة في بحر الغزال ومملكة الملك تكمة في بلاد الزاندي (النيام نيام) وبحر الغزال في إقليم دارفور عرفت العديد من الممالك مثل الداجو والمساليت والفور وغيرها وهذا على سبيل المثال لا الحصر، وفي كردفان عرفنا المسبعات وتقلي وقبلهم مملكة الأشراف العباسيين في بارا وجبل الداير وفي الوسط قبل هذه الممالك كانت علوة والمقرة وتاسيتي والمريس وغيرها من الممالك السودانية الخالصة.

تسرب الإسلام إلى أرض السودان بعد توقيع اتفاقية البقط التي تضمنت حق التنقل والحيازة وحرية التعبد سمحت بوجود عربي وإسلامي حر من ناحيتي التعبد والتنقل مع السماح لهم بالتملك، وانتشر الوجود العربي والإسلامي في الممالك المسيحية على الرغم من أن مملكتي علوة والمقرة لم تكونا جزءًا من اتفاقية البقط على وجه خاص، لكن الهجرات العربية وصلت مملكة علوة واخترقتها إلى مملكة المقرة وعاصمتها

---

(1) عبد الله خضر أحمد، الهجرة وأثرها في انتشارالإسلام بإفريقيا (الحبشة نموذجا)، مجلة جامعة الحياة،2015م، ص143.
ONDOKUZ MAYIS ÜNİVERSİTESİ İLAHİYAT FAKÜLTESİ DERGİSİ [2015] sayı: 38

(2) سورة النساء الآية رقم 100.

سـوبا وأوجـدت مجتمعـات إسـلامية اسـتطاعت في آخـر الأمـر أن تسـيطر عـلى الممالـك المسـيحية، فقـد ذكـر اليعقـوبي في منتصـف القـرن التاسـع عـشر وقـال (إن التجـار العـرب كانـوا يـترددون عـلى سـوبا بكثافـة وشـيدوا أربـاطًـا خاصـة بهـم).[1]

فقـد ظـل النوبـة في جبـال النوبـة إلى القـرن السـادس عـشر عـلى وثنيتهـم ويسـكنون في الجبـال والمرتفعـات ومـا نـزح إليهـم مـن مكـون عـربي كانـوا مـن الرعـاة واسـتقروا في السـهول قـرب الجبـال عـلى الرغـم مـن التنـوع إلا أن العلاقـة بـين سـاكني الجبـال والسـهول لم تهتـز وحـدث بينهـم التصاهـر والتداخـل الثقـافي والاجتماعـي وكانـت علاقـة (النوبـة والقبائـل العربيـة) وديـة في كثـير مـن أحيانهـا وإن شـابتها بعـض النزاعـات إلا أن هـذه النزاعـات لم تفصـم أواصر العلاقـة فيـما بينهـم.

يقـول البروفيسـور يوسـف فضـل في كتابـه مقدمـة في تاريـخ الممالـك إن إطـلاق اسـم النوبـة عـلى سـكان هـذه الجبـال يوحـي أن ثمـة صلـة ثقافيـة أو اجتماعيـة أو عرقيـة تربـط بـين النوبيـين مـن سـكان وادي النيـل والوطنيـين مـن سـكان هـذه الجبـال،[2] قبائـل جبـال النوبـة مكـون إثنـي سـوداني أسـاسي يقـول بعـض المؤرخـين إن النوبـة قـد قدمـوا مـن شـمال السـودان حيـث يفـرق المؤرخـون بـين النوبـة الحمـر والنوبـة الـزرق فقـد كانـوا جـزءًا مـن الحضـارة السـودانية القديمـة قبيـل ظهـور الممالـك الإسـلامية وبعدهـا، نزحـوا جنوبًـا وإلى الجنـوب الغـربي في فـترة تاريخيـة قديمـة نتيجـة للحروبـات وأصبحـت الجبـال تعـرف باسـم جبـال النوبـة وقسـمت الجبـال إلى جبـال غربيـة وشرقيـة وتتاخـم الجبـال الشرقيـة السـهول التـي انتـشر فيهـا العنـصر العـربي الـذي كان يمتهـن الرعـي ولـه هجـرات مـن الشـمال إلى الجنـوب طلبًـا للـكلأ وبحثًـا عـن الميـاه. بعـض المجموعـات العربية اسـتقرت في فرقـان صغـيرة تحولـت إلى قـرى لاحقًـا.

تتميـز مناطـق جبـال النوبـة مـن ثلاثـة أنـواع مـن البيئـات منهـا المناطـق الصخريـة الجرانيتيـة القويـة وهـي غـير صالحـة للزراعـة وتشـكل جبـال ومرتفعـات النوبـة وهـي في الغالـب محـل لسـكن النوبـة، أمـا البيئـة الثانيـة تشـكلها التربـة الزراعيـة التـي يطلـق عليهـا محليًّـا اسـم القـردود وهـي تشـكل السـهول وفيهـا تـزرع الـذرة وبعـض أنـواع الحبـوب وتشـكل غالـب مراعـي جبـال النوبـة وتتحـرك فيهـا قبائـل البقـارة، أمـا البيئـة الثالثـة فهـي

---

(1) يوسـف فضـل حسـن، مجلـة دراسـات إفريقيـة، العـدد 22، جامعـة إفريقيـة العالميـة، سـلطنة الفونـج الإسـلامية ودورهـا في تاريـخ سـودان وادي النيـل،1999م، ص 48.

(2) يوسـف فضـل حسـن، مقدمـة في تاريـخ الممالـك الإسـلامية في السـودان الشرقـي مـن1450 1821-م، مطبعـة سـودان تكنولوجـي، الخرطـوم 2003م، ص111.

تتميـز بمـا يعـرف بالتربـة السـوداء أو كـما يطلـق عليهـا محليًّـا (تـراب القطـن) وهـي أراضٍ خصبـة تقـع بعيـدًا عـن سـفوح الجبـال وتـروى بالميـاه المتدفقـة منهـا.

في هـذه البيئـات نشـأت مملكـة سـودانية سـمراء الملامـح تحمـل ثقافـة النوبـة ولسـان العـرب وطريقـة فريـدة في إدارة شـئون الرعيـة وأصبحـت مـن أهـم الممالـك السـودانية وأكثرهـا شـهرة في العـالم الخارجـي وهـي المملكـة السـودانية الوحيـدة التـي حملـت اسـم وصفـة المملكـة الإسـلامية.

لكـن تظـل مملكـة الفونـج السـنارية وسـلطنة دارفـور هـما ذات العـماد في التاريـخ السـوداني الحديـث وهـما اللتـان تركتـا آثـارًا كثيفـة ومخطوطـات مقارنـة بالممالـك التـي سـبقتهم أو عـاصرت فـترات حكـم (الفونـج والفـور) وأجريـت العديـد مـن الدراسـات التاريخيـة كشـفت عـن مجمـل الحيـاة السياسـية والاجتماعيـة في هاتـين المملكتـين العظيمتـين، كـما زار مملكتـي (الفونـج والفـور) العديـد مـن الرحالـة الأجانـب الذيـن وثقـوا مـن خـلال مشـاهداتهم اليوميـة ووفـروا مصـادر تاريخيـة غنيـة، كـما عـاصر نشـوء وحكـم المملكتـين آنفتـي الذكـر العديـد مـن المثقفـين الذيـن كتبـوا عـن السـلاطين والأسر الحاكمـة وأدوات الحكـم والأقاليـم والأنظمـة التعليميـة والاجتماعيـة.

في الجـزء الشرقـي مـن جبـال النوبـة بمنطقـة جنـوب كردفـان حيـث تعيـش قبائـل النوبة ومجموعـات مـن قبائـل عربيـة متعـددة وأيضًـا خليـط مـن القبائـل الزنجيـة والعربيـة في حالـة وئـام اجتماعـي عـلى الرغـم مـن الاختـلاف اللغـوي والدينـي إلا أن هـذه العوامـل لم تكـن يومًـا حاجـزًا للتلاقـح الثقـافي والاجتماعـي والتداخـل اللغـوي بـين المكـون السـوداني المتبايـن هنـاك. تلـك الديـار (ديـار تقـلي) التـي حظيـت بمـوارد زراعيـة وحيوانيـة متعـددة وقـدرات متنوعـة حيـث تـرى فيهـا الجبـال الشـاهقة الخـضراء والأوديـة الزاهيـة وغيرهـا من الأراضي الزراعيـة وقطعـان الماشـية والعديـد مـن الأسـواق التـي متنـت العلاقـات الاجتماعيـة بـين السـكان مـن عـرب وزنـوج.

تعـد مملكـة تقـلي واحـدة مـن الممالـك السـودانية الهامـة التـي لعبـت دورًا هامًّـا في التاريـخ السـوداني خـلال الحقبـة الانتقاليـة، وعـلى الرغـم مـن أن تأثـير مملكـة تقـلي كان محـدودًا في جبـال النوبـة إلا أنهـا تمثـل حلقـة مهمـة في التاريـخ السـوداني لموقعهـا الجيوبولتيـكي وغنـى إقليمهـا بالمـوارد وتحالفاتهـا وحفاظهـا عـلى اسـتقلاليتها وغيرهـا مـن العوامـل الأخـرى المهمـة، كـما أن سـمعتها كمملكـة إسـلامية أكسـبها نوعًـا مـن الاحـترام ووفـد إليهـا العديـد مـن شـيوخ الطـرق الصوفيـة والعلـماء، ويجـب أن نشـير إلى أن الكثيريـن

لا تنفك معرفتهم عن مملكة تقلي إلا بعد هجرة المهدي إليها واستقباله من زعيمها الملك آدم أم دبالو ولا يذكر من جبال تقلي إلا جبل بطن أمك الحصين.

وقد شهد إقليم كردفان الواقع بين سلطنتي الفور والفونج دولتين صغيرتين هما تقلي والمسبعات فقد نجح الفقيه محمد الجعلي المهاجر بدينه إلى الجبال الشرقية في أن يربط بين الأشراف العباسيين وأهل تقلي عبر المصاهرة والتمدد الاجتماعي وصناعة القدوة الحسنة وقد حكم أحفاده مملكة تقلي.[1]

النزاعات أيضًا في جبال النوبة الشرقية محدودة وأس النزاعات حول الأرض وعلى مسارات القطعان ولم تكن معروفة عنها بين العنصر الزنجي (النوبة) وبين العرب (الرحل) المستقرين، بل كانت بين النوبة أنفسهم والنوبة والعرب الرحل والعرب فيما بينهم وكانت نزاعات محدودة أيضًا. وفيما بعد في فترة الحكم التركي ظهرت تجارة الرقيق أو ما عرف بـ(النهاضة) الذين يهجمون على الجبال ويأسرون الرجال والنساء ويأخذونهم رقيقًا وقد وقفت مملكة تقلي أمام مد النهاضة وحاربت تجار الرقيق والحكم التركي المصري وحافظت على استقلاليتها حتى نشبت حوادث المهدية التي ابتلعتها بعد أن ساندتها وحمتها فكان مصير تقلي الانهيار والتحول إلى مقاطعة صغيرة وكذلك في فترة الحكم البريطاني في السودان.

(1) يوسف فضل، الممالك الإسلامية.

الفصل الأول

نشأة الممالك الإسلامية في السودان

تشير المصادر التاريخية إلى أن انتشار الإسلام في السودان كان قد انداح بطرق سلمية بعد حروب أفضت إلى التواصل بين المسلمين المهاجرين وأهل الأرض، ونتيجة للتواصل الاجتماعي والتصاهر فقد خرجت أجيال مسلمة تتحدث اللغة العربية على أساس أنها لغة العلوم والدول العظمى في ذلك الوقت من تاريخ الإسلام، لذلك وجدت طريقها إلى الداخل السوداني، وإن كانت هناك هجرات ووجود عرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، وكان وجودهم للتنقيب عن الذهب أو للتجارة عبر موانئ البحر الأحمر (عيذاب وسواكن وباضع) وهذا أمر فيه جدل ليس موضعه هنا.

والراجح أن اتفاقية البقط وقعت بعد جولات عسكرية وكانت محاولة لوقف هجمات النوبة المزعجة والمتكررة في جنوب مصر، لذلك وقعت العديد من المعارك في الفترة من العام 651 - 652م وعرفت بحرب رماة الحدق حيث لم يحقق المسلمون نصرًا ينهي نشاط النوبة المسيحية العدائي لأنه سمح بفرصة توقيع اتفاق سياسي دام لفترة طويلة مما بنى نوعًا من التواصل وأنهى حالة الصدام وسمح للعرب باجتياز بلاد النوبة مسافرين غير مقيمين، وسمح أيضًا باستئناف التجارة وتعدين الذهب مما مكن العرب من مصاهرة النوبة والوصول إلى دست الحكم.[1]

ويرى بعض الباحثين المتطرفين أن اتفاقية البقط كانت نذير شؤم حيث إنها أوقفت مقاومة النوبة وسمحت للعرب والمسلمين في اقتلاع الممالك المسيحية في السودان حيث ظهر عدد من المبشرين في فترة الحكم التركي المصري في السودان يزعمون أن الهدف من أنشطتهم عودة الممالك المسيحية، وكان على رأسهم الأب دانيال كمبوني والأب رايلو 1865م ومن بعدهم تأسست حركة الإفريقيانية التي أنتجت وأظهرت فكر الدكتور جون قرنق دي مبيور الذي يرى أن الوجود العربي والإسلامي وجود طارئ.

لقد كان أيضًا للحملات العسكرية التي كان يشنها سلاطين المماليك في الفترة بين العام 1250 - 1517م من أهم العوامل التي أضعفت السياج السياسي لمملكة النوبة

(1) يوسف فضل، سلطنة الفونج الإسلامية، مجلة دراسات إفريقية، العدد 22، جامعة إفريقية العالمية، الخرطوم، 1999م، ص 46.

المسيحية ومن ثم مهدت الطريق للمهاجرين لغلبة من بني كنز من اعتلاء عرش النوبة المسيحية بعد مصاهرتهم فانتقلت السلطة من فرع نوبي مسيحي إلى فرع مستعرب مسلم، وبذلك انهار الحاجز المنيع الذي وقف أمام المد العربي والإسلامي في السودان.[1]

قبل هذا كانت محاولات فتح السودان من قبل جيوش المسلمين والتي لم تكلل بانتصار عسكري حاسم لأي طرف وضعت الحرب أوزارها بين النوبة ممثلين في (مملكة المريس) في شمال السودان وجيوش المسلمين الذين أتوها فاتحين، ونجم عن ذلك أن وقعت جولات من الحرب أطلق المسلمون على النوبة اسم (رماة الحدق) أنهيت هذه الحرب باتفاق سلام تاريخي عرف باتفاقية البقط، وبعدها بدأ الزحف الإسلامي السلمي على الممالك المسيحية في السودان بصورة تدريجية وازداد انتشار الدعوة الإسلامية مما مكن من ظهور الإمارات الإسلامية، ويعود ذلك إلى قدرة المسلمين على تأسيس الدويلات سريعًا، حيث ظهرت إمارة العبدلاب في إقليم مملكتي المقرة وعلوة المسيحيتين على الرغم من أن مملكتي علوة والمقرة لم تكونا طرفًا من اتفاقية البقط، إلا أن أحكامها سرت عليهم مما مكن الدعاة ورجال الدين من الانتشار في أراضي وأقاليم الممالك المسيحية في السودان.

في العام 1504م ظهر التحالف بين الفونج والعبدلاب وقيام السلطنة الزرقاء في سنار وقبلها بقليل مملكة الأشراف العباسيين في كردفان التي امتدت من بارا إلى جبل الداير جنوب الأبيض إلى جبل العرشكول في النيل الأبيض بالقرب من الدويم وكانت أول تجمع للعرب الذين استطاعوا تأسيس كيان سياسي استمر لفترة طويلة.

نجح العرب والمسلمون في القضاء على مملكتي علوة والمقرة المسيحيتين والسيطرة على إقليمهما والسيطرة على مناطق العنج الذين تقل عنهم المعلومات التاريخية ولم يبقَ إلا آثارهم وأدواتهم في الحكم والولاية، وظهرت بعدها الممالك الإسلامية في سنار ودارفور والمسبعات والعبدلاب وتقلي والمشيخات في الشمال والشرق وجنوب النيل الأزرق وبني شنقول، مملكة العبدلاب استولت على إقليمي علوة والمقرة فيما امتدت سنار في بلاد السودان النيلي الأوسط وتوسعت إلى تخوم كردفان لتصبح سلطنة المسبعات ممتدة في سهول وسط كردفان إلى فوجا في الغرب حيث تقع سلطنة دارفور العظيمة، امتازت هذه الممالك بأنها ممالك ذات طراز فريد في حكمها وقدرتها على

(1) يوسف فضل حسن، مصادر تاريخ السلطنات الإسلامية في السودان الشرقي -1450 1820م، مجلة الدراسات السودانية، العدد رقم، ص11

التكيـف مـع البيئـة والشـعوب السـودانية وقدرتهـا عـلى بنـاء نظـم سياسـية لا بـأس بهـا.

تأسيس الممالك الإسلامية في السودان

بعـد أن نجـح العـرب والمسـلمون في القضـاء عـلى مملكتـي علـوة والمقـرة المسـيحيتين والسـيطرة عـلى إقليمهـما والسـيطرة عـلى مناطـق العنـج الذيـن تقـل عنهـم المعلومـات التاريخيـة ولم يبـقَ إلا آثارهـم وأدواتهـم في الحكـم والولايـة، وظهـرت بعدهـا الممالـك الإسـلامية في سـنار والمسـبعات والعبـدلاب وتقـلي والمشـيخات في الشـمال والـشرق وجنـوب النيـل الأزرق وبنـي شـنقول، مملكـة العبـدلاب اسـتولت عـلى إقليمـي علـوة والمقـرة فيـما امتـدت سـنار في بـلاد السـودان النيـلي الأوسـط وتوسـعت إلى تخـوم كردفـان لتصبـح سـلطنة المسـبعات.

نجـد أن غـروب شـمس الممالـك السـودانية تـم بواسـطة الحكـم الخديـوي المـصري الـذي نجـح في ضـم سـنار والمشـيخات التابعـة لهـا، ودارفـور والمسـبعات، بينـما بقيـت تقـلي الإسـلامية قويـة بسـبب موقعهـا الجغـرافي المميـز وطبيعـة تضاريسـها وطبيعـة سـكانها المقاتلـين، اسـتطاعت أن تحقـق نوعًـا مـن الاسـتقلال الـذاتي، فقـد اسـتطاع سـلاطين تقـلي المحافظـة عـلى ملكهـم مـن بدايـة القـرن السـادس عـشر إلى نهايـة القـرن التاسـع عـشر حتـى الاحتـلال البريطـاني في السـودان.

الخلاوي والطرق الصوفية في السودان

كان للطـرق الصوفيـة دور بـارز في نـشر العقيـدة الإسـلامية والثقافـة العربيـة في وسـط المجتمعـات السـودانية التـي كانـت تتعطـش لمزيـد مـن التطويـر والتحديـث، حيـث مثـل رجـال الديـن القـدوة الحسـنة والمثـال الطيـب مـما جعـل الكثـير مـن النـاس يدخلـون في ديـن اللـه أفواجًـا ونلاحـظ ذلـك في كل مناطـق السـودان.

فالإسـلام الوسـطي والقـدرة عـلى اسـتيعاب الطقـوس الإفريقيـة وموسـيقاها مـن طبـل إلى نوبـة والرقـص إلى ذكـر ومدائـح نجـح في جـذب القبائـل الوثنيـة إلى حلقـات الشـيوخ وحلقـات الذكـر حيـث كان النـاس يدخلـون في ديـن اللـه أفواجًـا، لقـد كان انتشـار الإسـلام ببـطء وكان يحـرز تقدمًـا ويكتسـب مسـاحات جديـدة لأن الدعـاة العـرب والشـيوخ لم يكونـوا يفكـرون في ضـم الأرض أو منافسـة السـلطة السياسـية لملـوك النوبـة، بـل تـرك ليتـسرب في نفـوس النـاس بالقـدوة الحسـنة، واسـتغرق هـذا الأمـر زمنًـا طويـلًا كان كافيًـا لتحـول ديـن البـلاد مـن المسـيحية إلى الإسـلام.[1]

(1) ج. سـبنسر تريقـام، الإسلام في السـودان، ترجمـة محمـد فـؤاد عكـود، المشروع القومـي للترجمة، القاهـرة،2001م، ص83.

حيث كان لرجال الطرق الصوفية دور مهم من خلال توليهم مهمة نشر العلم والثقافة العربية في الخلاوي، حيث انتشرت الخلاوي في كل أنحاء السودان، ويعرف التعليم بأنه هو عملية يغير بها الإنسان مجرى حياته نتيجة لتفاعله مع بيئته واختياره لها[1] وبالتالي لأن الخلاوي قامت بدور مؤسسات التعليم في ذلك الوقت، وكانت هذه الخلاوي ترفد المجتمع بالطلاب النابهين الذين يحفظون القرآن والعلوم الفقهية وتمت إجازتهم ليفتحوا خلاوي في أماكن نائية، وتمثل قصة الفقيه محمد الجعلي في تقلي نموذجًا لدور رجال الدين والخلاوي، إذ على يديه تحولت المنطقة إلى مجتمع مسلم أسهم بدوره في نشر الإسلام واللغة العربية، وفتحت خلاوي شهيرة ما تزال إلى يومنا هذا معروفة بدورها الرائد في تعليم الناس من المنطقة وخارجها.

عرف المجتمع الخلاوي كبيوت للعبادة والتعليم في عهد الشيخ عجيب المانجلك 1551-1611م الذي بناها، وذلك لفض نقاش جدلي حول صلاة الأطفال والصبية في المساجد، فما بين فريق يرى أن الهدوء والخشوع يقطعه لهو الصبية، وما بين فريق يدعو لتعليم الصبية، فأمر الشيخ عجيب ببناء بيوت ملحقة بالمساجد يصلي فيها الصبية ويتم تحفيظهم القرآن وفيها يتعبد من يريد أن يختلي بنفسه مع الله سبحانه وتعالى، وبعدها أصبحت للخلاوي دور اجتماعي مهم وأثر لا يزال إلى يومنا ماثلًا[2] وقد استفاد السلاطين من قوة تأثير رجال الدين والخلاوي في المجتمعات السودانية حيث تمكنوا من تعزيز مكانته السياسية والاجتماعية، وبالتالي حدث نوع من الاعتماد المتبادل بين السلطتين السياسية والدينية في فترة ظهور الممالك الإسلامية في السودان في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، حيث اهتم السلاطين بالخلاوي وقدموا لها الدعم العيني والحماية، وفيما عزز رجال الدين احترام السلطة السياسية في ذلك الوقت المبكر.

كانت الخلاوي تجد الاهتمام من السلاطين في فترات الممالك السودانية وحتى في فترة الحكم الخديوي المصري، فقد اهتمت الحكومة بدعم الخلاوي وابتعاث عدد من طلابها للدراسة في الأزهر الشريف وقدموا العون المادي لمدارس السودان وخلاويه تشجيعًا على التعليم، وكانت الإدارة الخديوية تقدم المنح لبعض الخلاوي وبعضها يحرم، وكان دعم التركية لبعض الخلاوي رغبة منها في كسبها وبعض الشيوخ أهملوا لأسباب سياسية بحتة.[3]

(1) حافظ فرج أحمد، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، القاهرة، 6003 م، ص 62

(2) نفس المرجع السابق، ص 62

(3) محمد إبراهيم أبو سليم، عالم المهدية الحسين الزهراء وأعماله، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الكتاب رقم 28 من ألف كتاب سوداني، 1969م، الخرطوم، ص10.

مملكة المسبعات

مملكة المسبعات هي إحدى الممالك التي نشأت في إقليم كردفان وكانت تسيطر على المنطقة التي تتاخم ملك الجموعية والعبدلاب شرقًا أي السلطنة الزرقاء ومملكة تقلي الإسلامية جنوبًا وغربًا تحدها سلطنة دارفور، وشمالًا الصحراء حيث توجد قبائل الكبابيش.

سكان مملكة المسبعات

كانت تسكن مملكة المسبعات أو مملكة كردفان كما يطلق عليها أحيانًا مجموعة من قبائل العرب الرحل بالسودان.

ففي الشمال أقامت فيها قبائل الكبابيش وبني جرار ودار حامد والمعاليا والمجانين وكانوا يمارسون تربية الإبل، بينما استوطن في الوسط قبائل الغديات والبديرية والجوامعة والشويحات والتُّمام والجِمع، وقد استقر في الجزء الجنوبي منه قبائل الأحامدة والحوازمة والكواهلة وغيرهم من العرب الرحل الذين كانوا يمارسون تربية الأبقار إلى جانب قبائل النوبة في أقصى جنوب المنطقة.

وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي توافدت إلى المنطقة موجات متعاقبة من المجموعات العربية المهاجرة قادمة من الشمال الشرقي لبلاد السودان واستقرت في السهول، بينما استقرت قبائل النوبة في الجبال وكان النوبة في كثير من الأحيان غير خاضعين كلهم لسلطة الممالك الإسلامية في السودان، لذلك كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال وإن لم يسلموا من حملات السلاطين وصائدي الرقيق.

ظهرت مملكة المسبعات بعد قيام سلطنة دارفور حيث اقتطعت للأمير مسبع الذي أعلنها مملكة في إقليم كردفان وكانت تتميز بعلاقات جيدة مع سلطنة دارفور، وذلك لصلة القرابة بين سلاطين الفور والمسبعات، تعود عصور نشأة مملكة المسبعات إلى الفترة ما بين القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر الميلادي وتم تأسيسها من قبل مجموعات عربية هاجرت إلى بلاد السودان واستقرت في تلك المنطقة، وكانت مدينة الأبيض هي عاصمة هذه المملكة.

غزا السلطان تيراب مملكة المسبعات بعد قيام السلطان هاشم المسبعاوي بغارات على أطراف مملكة دارفور وأسفر عن هذه الغزوة سقوط مملكة المسبعات في أيدي سلاطين الفور ووصول جيوش السلطان تيراب إلى منطقة أم درمان على الضفة الغربية

للنيـل الأبيـض وهزيمتـه للعبـدلاب والجموعيـة، واسـتيلائه عـلى نحـاس الجموعيـة المسـمى (المنصـورة)، وحـاول السـلطان تـيراب عبـور النيـل الأبيـض إلا أنـه فشـل وأصيـب بـداء الناسـور الـذي اضطـره إلى الرجـوع إلى دارفـور وفي طريـق عودتـه تـوفي في منطقـة بـارا وهنـاك أخـذ جثـمان السـلطان تـيراب ودفـن في مدافـن سـلاطين الفـور في جبـل مـرة.

مملكة دارفور

قامـت مملكـة دارفـور في كامـل إقليـم دارفـور الحـالي وقـد شـهد هـذا الإقليـم هجـرات مـن مـصر وشـمال إفريقيـا ومـن دول غـرب إفريقيـا والسـهول الواقعـة بـين النوبـة وإقليـم تشـاد، في العصـور الوسـطى في دارفـور مـن حـوالي القـرن الثـاني عـشر الميـلادي حيـث أقـام الداجـو سـلطنتهم في هـذه البـلاد واسـتمرت حتـى القـرن الرابـع عـشر وعرفـوا باسـم الداجويـن وكان مركزهـم في الجـزء الجنـوبي الشرقـي مـن دارفـور[1] وبجـوار الداجـو نشـأت سـلطنة التنجـور التـي حكمـت جنبًـا إلى جنـب الداجـو ومـن بعدهـم ظهـرت طائفـة الكنجـارة الذيـن كان لهـم الحـظ في تملـك سـلطتي الداجـو والتنجـور وكل درفـور، فبظهورهم بـدأت سـلطنة الفـور تتمـدد وتقـوى إلى جانـب سـلطنة الفونـج في سـنار في ذلـك الوقـت.

الكنجـارة هـم خليـط مـن الدمـاء العربيـة والفوراويـة الذيـن حكمـوا سـلطنة دارفور وفي داخـل طبقـة الكنجـارة كان الكـيرا هـم السـادة والسـلاطين وقـد ظـل هـذا البيـت مـن الكـيرا يحكـم مـن نهايـة القـرن السـادس عـشر إلى العـام 1916م بعـد استشـهاد السـلطان عـلي دينـار وإن شـهدت السـلطنة فـترات اختفـت مـن العـام 1874م إلى العـام 1899م في فـترة نهايـة الحكـم الخديـوي المـصري والمهديـة ومطلـع الحكـم البريطـاني في السـودان.

إلا أن سـلطنة دارفـور بـلا شـك مـن أقـوى وأرسـخ السـلطنات السـودانية وكانـت مـن السـلطنات القليلة في العالم الإسـلامي التي تقدم (صرة الحرمين) أو ما عرف بالمحمل الشريف الـذي يغطـي كلفـة أسـتار الكعبـة وإطعـام فقـراء المسـجد الحرام والمسـجد النبـوي الشريف.

أول سـلاطين الفـور هـم دالي وكـورو وسـليمان سـولونج أو العـربي وهـو الـذي ولى ابـن عمـه الأمـير مسـبع سـلطانًا عـلى كردفـان بعـد أن اقتطعهـا لـه، ومـع أن الإسـلام انـداح في دارفـور مـن القـرن الثالـث عـشر الميـلادي إلا أن وصـول سـليمان سـولونج للسـلطة في العـام 1640م بـدأ التحـول الكبـير في تاريـخ سـلطنة دارفـور.[2]

---

(1) محمـد بـن عمـر التونسي، تشحيذ الأذهـان بسيرة بـلاد العـرب والسـودان، تحقيـق خليـل محمـود عسـاكر ومصطفـى محمـد سـعيد، المؤسسـة المصريـة العامـة للتأليـف والأنبـاء والنـشر، القاهـرة، 1965م، ص 6.

(2) محمد بن عمر التونسي، مرجع سبق ذكره، ص 7.

توسعت سلطنة دارفور شرقًا إلى سلطنة المسبعات وفي فترة حكم السلطان تيراب امتدت إلى ضفاف النيل الأبيض في أم درمان ودخلت في حروب مع العبدلاب والجموعية وغنموا منهم نحاسهم المسمى بالمنصورة.

تعاقب على السلطنة عدد من السلاطين اشتهروا بقوة بأسهم ودعمهم للتعليم والخلاوي وخدمتهم في نشر الدعوة الإسلامية في أقاليم غرب السودان كما أن السلاطين حافظوا على استقلال دولتهم وقاتلوا بشراسة حتى سقطت دولتهم في عهد السلطان إبراهيم قرض في العام 1874م بيد الزبير ود رحمة وألحقت دارفور كمديرية من مديريات السودان، إلى قيام الثورة المهدية وكان سلاطين الفور يقاومون ويشعلون التمرد ضد السلطات الحاكمة في الخرطوم من سفوح ومرتفعات جبل مرة، إلى أن هزمت المهدية في كرري في العام 1898م حيث نجح الأمير علي دينار في الهرب من أم درمان قبيل المعركة (معركة كرري) بيوم واحد ومعه حوالي 300 من أتباعه وهناك أعلن عودة سلطنة الفور للحياة مرة أخرى.

إداريًّا قسمت مملكة الفونج إلى مقدوميات أربعة منها مقدومية الصعيد والغرب والجنوب والشرق، وأيضًا اقتطعت الحواكير وهي عبارة أراضٍ واسعة منحت من قبل السلاطين لإقطاعيين لينتجوا ويدفعوا ضرائبهم من السكان في الحاكورة الخاصة بهم، وكان منح الحواكير بيد السلطان وكذلك نزعها، ويكتب السلطان وثيقة لمن يمنحهم الحواكير وهي السند القانوني الذي يحمل خاتم السلطان.

كما أن للسلطنة تقاليد وعادات راسخة حافظ عليها السلاطين وهذا ما ميز سلطنة دارفور عن الممالك والسلطنات التي عاصرتها أو كانت تحكم من قبلها.

في العام 1874م قام الزبير ود رحمة بإسقاط سلطنة دارفور بعد معارك ضارية استبسل فيها جنود السلطان إبراهيم قرض، ولم يكن الزبير باشا راغبًا في حكم دارفور فتم نقل إدارة دارفور إلى حكومة الخديوية المصرية وسلمت بالكامل للحكمدار أيوب باشا، وأصبحت دارفور جزءًا من مديريات السودان إلى أن جاءت المهدية وفي العام 1883- 1884م سلم النمساوي سلاطين باشا دارفور للمهدية وأخذ أسيرًا، وبعد نهاية المهدية وقبل كرري هرب السلطان علي دينار وأعاد أمجاد سلطنة دارفور واستمر حكمه من العام 1898م إلى العام 1916م حيث استشهد في معركة برنجية وضمت دارفور كمديرية من مديريات السودان مرة أخرى.

مملكة الفونج

يشكل قيام سلطنة الفونج الإسلامية أو السلطنة الزرقاء في مطلع القرن السادس عشر منعطفًا مهمًّا في تاريخ سودان وادي النيل، فبميلادها يبدأ التاريخ المؤسسي لسيادة العقيدة الإسلامية وغلبة الثقافة العربية على تلك الديار.[1]

نشأت مملكة الفونج في أواخر القرن الخامس نتيجة لتحالف الفونج والعبدلاب وأصبحت سنار عاصمة السلطنة الزرقاء التي حكمت خمسة قرون، ومؤسس السلطنة الزرقاء هو السلطان عمارة دنقس وأصبح الشيخ عبد الله جماع نائبًا له في القسم الشمالي وقد اتخذ من قري عاصمة له.[2]

امتدت حدود السلطنة الزرقاء من دنقلا في الشمال إلى سواكن في الشرق ومنها إلى تخوم كردفان الشرقية مع النيل الأبيض وجنوبًا إلى حدود مملكة الشلك ومملكة تقلي الإسلامية.

نتيجة لاتساع السلطنة الزرقاء وترامي أطرافها تكونت وحدات إدارية عرفت باسم المشيخات أو المكوكيات وكانت تدين بالولاء لسنار أو قري العاصمة الثانية للسلطنة الزرقاء، مما أعطى زعماء القبائل والأعيان نوعًا من الاستقلال في إدارة شئون أقاليمهم. وقد أنشأ سلاطين الفونج الخلاوي والتكايا والمساجد وساهموا في نشر الثقافة العربية والإسلامية وفتحوا رواقًا علميًّا في الأزهر الشريف بالقاهرة واستضافوا العلماء ورجال الدين مما أعطى سلطنة الفونج شهرة واسعة في العالم الإسلامي.

تختلف الروايات حول أصل الفونج، لكن الأشهر والغالب أنهم من بني أمية التجئوا إلى الحبشة بعد سقوط الدولة الأموية واختلطوا بالأحباش ومنها نزلوا إلى السودان وكونوا جيشًا بالتحالف مع العبدلاب واستطاعوا أن يملكوا مساحة كبيرة، كما تشير رواية أخرى إلى أن أصل الفونج من الشلك وكان للشلك مملكة قوية عرفت باسم مملكة شلو يحكمها حاكم ديني وزعيم يطلق عليه اسم الرث.

لكن الراسخ والذي يقوله الفونج أنفسهم عن أصولهم أنهم من عرب بني أمية بعد سقوط دولتهم قيام دولة بني العباس هربوا إلى الحبشة ودخلوا السودان عن طريق الحدود مع الحبشة وظهرت سلطتهم وتحالفوا مع عرب القواسمة واستطاعوا

---

(1) يوسف فضل، سلطنة الفونج الإسلامية ودورها في تاريخ وادي النيل، مجلة دارسات إفريقية، العدد22، جامعة افريقية العالمية، ديسمبر 1999م، ص45.

(2) يوسف ابوقرون، لمحات من عادات وحياة قبائل السودان الكبرى، بدون دار نشر، الخرطوم، 1966م، ص110.

تكوين مملكة قوية بعد تزاوجهم مع العنصر المحلي لذلك استمر سلطانهم في الفترة من 1505م إلى 1821م.

بعد أن قويت شوكة الفونج قام الوزير محمد أبو لكيلك بغزو كردفان وفتحها وصار فيما بعد الوزير الأول وهو من الهمج وقد تمكن أسلافه من إدارة شئون السلطنة الزرقاء على الرغم من وجود السلاطين.

النزاع حول إقليم كردفان

يبدو أن النزاعات القبلية في إقليم كردفان بين المكون المحلي والوافد قديمة نتيجة للصراع حول الموارد والخيرات التي تزخر بها الأرض هذه حيث تمثل كردفان منذ زمن طويل السوق الأول للصمغ وريش النعام والجلود، والطريق الرابط بين دارفور والوسط والجنوب، إضافة إلى موقعها المميز الرابط بين أطراف السودان وبالتالي السيطرة عليها تعني امتلاك الموارد المطلوبة وكذلك الطرق التجارية فهي تمثل عمقًا استراتيجيًا ومجالًا حيويًا، لذلك شهد إقليمها أحداثًا كثيرة بين القوى العظمى في ذلك الوقت.

وقد شهد إقليم كردفان الذي كان في شماله تقع سلطنة المسبعات وفي الجنوب الشرقي مملكة تقلي وكان التنافس على أشده بين الفونج والفور وكان ميدان التنافس في إقليم كردفان.

حيث ذكر الرحالة جيمس بروس الأوضاع في كردفان عند زيارته إلى سنار وأشار إلى أن الجهات من جنوب كردفان على مسيرة ثمانية أيام والبعض يقول ستة أيام والبعض يقول عشرة أيام تقع مرتفعات (داير) الداير وتقلي وهذه المرتفعات تقطنها قبائل مختلفة وهي في حالة حرب دائمة مع السلطات الحاكمة في كردفان ومنها يأتي الرقيق[1] ومنها أيضًا يأتي الذهب من جبال شيبون في مملكة تقلي.

فقد عاصرت مملكة تقلي سلطنة الفور والسلطنة الزرقاء في سنار والمسبعات في الأبيض وكانت دولتا الفور والفونج قد عاشتا مرحلة من التوتر ومحاولات إسقاط كل منهما الآخر، إقليم كردفان هو ميدان التنافس الكبير بين قطبي القوة في ذلك الوقت حيث والت مملكة المسبعات سلطنة دارفور، ووالت مملكة تقلي الفونج، ولكن السلطان تيراب غزا المسبعات في عهد السلطان هاشم المسبعاوي وتقدم شرقًا إلى أن وصل أم درمان وحاول الوصول إلى سنار لكنه لم يفلح في عبور النيل الأبيض وكان هذا أقصى توسع لسلطنة دارفور شرقًا.

(1) نسيم مقار، الرحالة الأجانب في السودان، مركز الدراسات السودانية القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص 14.

كان كل مـن سـلطنة سـنار وسـلطنة دارفـور تعتـبر كردفـان ولايـة تابعـة لها، كان لسـلطنة سـنار تأثـير ونفـوذ كبيـر في جنـوب كردفـان (مملكـة تقـلي) بينـما كان لسـلطنة دارفـور أيضًا تأثـير في شـمال كردفـان (مملكـة المسـبعات) وكانـت كل منهـما تنافـس الأخـرى للسـيطرة عـلى وسـط كردفـان، وتشـير نظريـات الاسـتراتيجية العسـكرية إلى أن أي دولـة صغـيرة تقـع بـين دولتـين كبيرتـين متنافسـتين سـتصبح الدولـة الضعيفـة مسرحًـا للقتـال والتنافـس.

التحالـف الـذي كان بـين مملكتـي الفونـج ومملكـة تقـلي الإسـلامية امتـد إلى التصاهـر والتـزاوج بـين الأمـراء والسـلاطين مـما عـزز العلاقـات بـين المملكتـين عسـكريًّا وسياسـيًّا، وبـذات القـدر يعتـبر المسـبعات أبنـاء عمومـة وأهـلًا لسـلاطين وأمـراء مملكـة دارفـور وامتـدت بينهـم العلاقـات السياسـية والعسـكرية مـما جعـل إقليـم كردفـان مسرحًـا للتنافس بـين الفونـج والفـور.

ويشـير عـدد مـن المصـادر التاريخيـة بعـدم تمكـن أو نجـاح مملكـة الفـور أو الفونـج في تحقيـق سـيطرة كاملـة ودائمـة عـلى إقليـم كردفـان ولم يسـتطع أي مـن السـلطنتين أن تحقـق سـيطرة تامـة فكانـت تتحـرك تخـوم مملكتـي الفـور والفونـج حسـب قـوة السـلاطين ومقدرتهـم في خلـق اخـتراق كبـير في كردفـان بينـما ظلـت مملكتـا تقـلي والمسـبعات لفـترة طويلـة مسـتقلتين مـن تأثـير (الفـاشر وسـنار).

وإذا اسـتثنينا حمـلات صيـد الرقيـق الموسـمية التـي يقـوم بهـا النخاسـة الذيـن يطلـق عليهـم النهاضـة[1] في جبـال النوبـة لم تتأثـر جبـال النوبـة الغربيـة كثـيرًا بسـلطتي ممالـك المسـبعات أو تقـلي أو الفونـج والفـور فقـد تركـوا مسـتقلين نوعًـا مـا وكانـت لديهم سـلطتهم الخاصـة بهـم.

اتخــذ النوبــة -وهــم مجموعــة ســودانية عريقــة وقديمــة- مــن الجبــال مــلاذًا لهــم، وفي هــذه الجبــال حافــظ النوبــة عــلى اســتقلاليتهم ومظاهــر ثقافتهــم وكذلــك لم ينجــح النوبــة في فــرض هيمنتهــم عــلى المجموعــات العربيــة التــي انتــشرت في الســهول القريبــة منهــم والمحيطــة بهــم بســبب تفرقهــم في قمــم الجبــال وســفوحها[2] بـل جعـل منهـا تفرقهـا أن تتعـرض لحمـلات اصطيـاد الرقيـق الموسـمية والحمـلات المرتبطـة بجمـع الضرائـب والمكـوس فقـد تـرك (الفونـج والفـور) أهـل كردفـان في شـأنهم لمعظـم

(1) النهاضـة وهـم تجـار الرقيـق الذيـن يقومـون بالغـارات عـلى الجبـال ضـد قبائـل النوبـة بغـرض اسـترقاقهم وهنـاك فئـة أخـرى مـن تجـار الرقيـق يطلـق عليهـم البحـارة وهـم الذيـن يصطـادون العبيـد مـن الجنـوب عـبر المراكـب الشراعيـة وأطلـق الاسـم عـلى المصريـين أولا ومـن ثـم أطلـق عـلى الجلابـة.

(2) يوسق فضل حسن، مقدمة الممالك الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص 111

الوقت. من المفترض بشكل عام أن أهل شمال ووسط كردفان المحليين كانوا يتكونون من العرب في السهول والنوبة في جبالهم في أقصى جنوب كردفان.

إقليم كردفان الكبرى

(مسرح الصراع)

يمتد إقليم كردفان الكبرى في مساحة واسعة من الأراضي السهلية والجبلية والقيزان يحده من الغرب دارفور ومن الشرق النيل الأبيض ومن الشمال نهر النيل ومن الجنوب أعالي النيل، حديثًا تم تقسيم كردفان الكبرى إلى ثلاث ولايات (شمال وجنوب وغرب كردفان)، وتتميز كردفان الكبرى بخصوبة أراضيها وجودة إنتاجها وهي المنتج والسوق الأول للصمغ العربي في العالم وغيرها من المنتجات الزراعية والغابية والحيوانية، كما تتميز بالسلالات الجيدة للضأن الحمري والإبل والأبقار والمحصولات النقدية التي تجعل من كردفان منطقة إنتاج غنية بالموارد العينية والمادية.

فقد عاصرت مملكة تقلي سلطنة الفور والسلطنة الزرقاء في سنار والمسبعات في الأبيض وكانت دولتا الفور والفونج قد عاشتا مرحلة من التوتر ومحاولات إسقاط كل منهما الآخر وكذلك التعاون والتصاهر وكانت كردفان هي ميدان التنافس الكبير بين قطبي القوة في ذلك الوقت حيث والت مملكة المسبعات سلطنة دارفور ووالت مملكة تقلي الفونج ولكن السلطان تيراب غزا المسبعات في عهد السلطان هاشم المسبعاوي وتقدم شرقًا إلى أن وصل أم درمان وحاول الوصول إلى سنار لكنه لم يفلح في عبور النيل الأبيض وكان هذا أقصى توسع لسلطنة دارفور شرقًا.

جبال النوبة

تقع جبال النوبة في الجزء الجنوبي من كردفان وتحدها من الجنوب دولة جنوب السودان وتقدر مساحتها بحوالي خمسين ألف ميل مربع وبذلك تعتبر جبال النوبة من المناطق ذات الكثافة السكانية العالية في جمهورية السودان.[1]

مناطق جبال النوبة عبارة عن سلاسل جبلية كبيرة وكثيرة العدد ومتنوعة البيئات تتخللها السهول الصالحة للزراعة والرعي وتشقها مجاري المياه والأودية وتسكنها قبائل متنوعة من النوبة من أهل الجبال الغربية والشرقية والعرب وقبائل غرب إفريقية وتتميز بطابع ثقافي ولغوي واجتماعي متماسك إضافة إلى وجود الكثير من العادات

---

(1) يوسف إسحاق أحمد، الماضي المعاش في جبال النوبة)منطقة الأجنانج(، دارعزة للنشر، 2118 م، الخرطوم، ص 2

المشـتركة بـين سـكان إقليـم جبـال النوبـة، وكـما تميـز النوبـة بنزعتهـم الاسـتقلالية وحبهـم للقتـال والشـجاعة التـي جعلـت منهـم المحاربـين الأشـداء في كل الجيـوش التـي عرفهـا السـودان مـن فـترة الحكـم الخديـوي المـصري (التركيـة السـابقة) إلى يومنـا هـذا.

ظـل النوبـة عـلى وثنيتهـم، اسـتقروا في الجبـال والمرتفعـات ومـا نـزح إليهـم مـن مكـون عـربي كانـوا مـن الرعـاة واسـتقروا في السـهول قـرب الجبـال عـلى الرغـم مـن التنـوع، إلا أن العلاقـة بـين سـاكني الجبـال والسـهول كانـت وديـة وإن شـابتها بعـض النزاعـات إلا أن هـذه النزاعـات لم تفصـم عـرى العلاقـة فيـما بينهـم.

النوبـة مكـون إثنـي أسـاسي قـدم مـن شـمال السـودان حيـث يفـرق المؤرخـون بـين النوبـة الحمـر والنوبـة الـزرق، فقـد كانـوا جـزءًا مـن الحضـارة السـودانية القديمـة قبيـل ظهـور الممالـك الإسـلامية وبعدهـا، نزحـوا جنوبًـا وإلى الجنـوب الغـربي في فـترة تاريخيـة قديمـة نتيجـة للحروبـات وأصبحـت الجبـال تعـرف باسـم جبـال النوبـة وقسـمت الجبـال إلى جبـال غربيـة وشرقيـة وتتاخـم الجبـال الشرقيـة السـهول التـي انتـشر فيهـا العنـصر العـربي الـذي كان يمتهـن الرعـي ولـه هجـرات مـن الشـمال إلى الجنـوب طلبًـا للـكلأ وبحثًـا عـن الميـاه. بعـض المجموعـات العربيـة اسـتقرت في فرقـان صغـيرة تحولـت إلى قـرى لاحقًـا.

في تلـك الفـترة مـن القـرن السـادس عـشر لم تكـن هنـاك ممالـك بالمعنـى المعـروف، بـل كانـت الوحـدة العشـائرية هـي الوحـدة الأسـاس في المجتمعـات الرعويـة، وكان للنوبـة في جبالهـم أيضًـا وحـدات إداريـة تضـم حدودهـا الجبـل الواحـد ويظهـر عـلى المشـهد الكجـور والتطبـب بمـا تمنحـه الطبيعـة مـن شـجر ونبـات وكانـت الوثنيـة والديانـات المحليـة هـي العنـصر المسـيطر اجتماعيًّـا، ويعتمـد السـكان عـلى الصيـد وجمـع الثـمار وتربيـة المـواشي والزراعـة المحـدودة (الجبراكـة) وهـي مخصصـة للاكتفـاء الـذاتي في مجتمـع تعـاوني ومتكافل.

كانـت النزاعـات أيضًـا محـدودة وأس النزاعـات حـول الأرض وعـلى مسـارات القطعـان ولم تكـن معروفـة بـين العنـصر الزنجـي (النوبـة) وبـين العـرب (الرحـل) المسـتقرين حديثًـا، بـل كانـت بـين النوبـة أنفسـهم والنوبـة، والعـرب الرحـل والعـرب فيـما بينهـم وكانـت نزاعـات محـدودة أيضًـا.

لم تكـن قـد ظهـرت الممالـك بمعناهـا المعـروف إلا في شـمال السـودان ذات التاريـخ الضـارب في القـدم وممالـك الداجـو وممالـك صغـيرة في دارفـور، لذلـك لم يكـن النـزاع بـين الوحـدات عـلى أشـده.

في تلك الفترة كانت القبائل العربية ليست بذات التكوين المعروف اليوم، بل كانت عبارة عن مجموعات توحدها اللغة والدين ووحدة المصير، ولما ظهرت مجموعة من الأشراف العباسيين التف حولهم العرب قبل قيام مملكة الفونج، حيث أصبح الأشراف العباسيون هم السادة على المجموعات العربية، ظهرت المجموعة العباسية في كردفان حيث أسسوا إمارة وكان الأمير عليها حسن الكردمان والذي حرف اسمه إلى كردفان وقاد حروبات قبلية في مناطق بارا وجبل كردفان إلى جبل العرشكول في شمال النيل الأبيض.

جبال النوبة الشرقية

وتمثل جبال رشاد وتلودي والعباسية وما جاورها إلى سهول الرهد وجنوب الخور ما يعرف بجبال النوبة الشرقية وهي ترتبط بعلاقات تواصل مع وسط وشمال كردفان من جهة، وترتبط بجبال النوبة الغربية، انتشر الإسلام منذ وقت مبكر في جبال النوبة الشرقية وذلك نتيجة لتداخل العنصر العربي من القبائل الرعوية والوافدين من الدعاة ورجال الطرق الصوفية الذين تزاوجوا منهم وأنجبوا منهم الأفذاذ الذين أسهموا في نشر الدعوة الإسلامية في السودان قاطبة.

وقد قامت في مرتفعات النوبة الشرقية مملكة تقلي الإسلامية التي امتد نفوذها السياسي إلى ضفاف النيل الأبيض الغربية وارتبطت بالطرق الصوفية في النيل الأبيض حيث انتشرت الطريقة السمانية التي دخلت مع أحفاد وأتباع الشيخ برير ود الحسين (راجل شبشة).

فقد حسن إسلام أهل تلك الجهات (ناس تقلي) وكان جاورها فكانوا الأكثر تمسكًا وتنوعًا بين الطرق الصوفية وأصبحوا على ثغر من ثغور الدعوة الإسلامية مما يوكد صحة ما ذهب إليه الدعاة الأوائل في خروجهم وسلميتهم وتمثيلهم القدوة الحسنة، وقد ساعدت أدوات الولاية في الطرق الصوفية من (النوبة والطار)[1] والمديح والإنشاد النبوي والذكر وغيرها في تعزيز مكانة الإسلام وجذب قلوب العوام، فكان التقلاويون أفضل من يضرب النوبة في حلقات الذكر والمذاكرة في أعياد المولد النبوي والحوليات السنوية في أغلب بقاع السودان، وهذا ضرب يسير من الأثر التقلاوي الطيب والذي لا يعد ويحصى من كرم ونبل وطيب خصال وحسن تدين.[2]

---

(1) الطار هو دف صغير تستخدمه المتصوفة في حلقات الإنشاد النبوي ويضرب بطريقة معينة تزيد الإنشاد والقصيد روعة

(2) مقابلة مع آدم إبراهيم أبوه، من أهالي أم روابة، الحديث حول دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في جبال النوبة الشرقية، بتاريخ 22،5،2020م

كانـت مناطـق جبـال النوبـة بشـقيها الشرقـي والغـربي منعزلـة تعيـش عـلى ديانتهـا المحليـة مـما أغـرى الدعـاة إلى الهجـرة إليهـا ونـشر الديـن الإسـلامي في تلـك البقـاع، وقـد أدت هجـرات العـرب -وبالأخـص هجـرة الفقـير محمـد الجعـلي وهـو جـد المكـوك الذيـن حكمـوا منطقـة تقـلي مـن نهايـة القـرن الخامـس عـشر إلى نهايـة القـرن التاسـع عـشر الميـلادي- إلى تحويـل جبـال النوبـة الشرقيـة إلى مملكـة إسـلامية ذائعـة الصيـت في العـالم الإسـلامي كلـه.

الفصل الثاني

نشأة مملكة تقلي

جغرافية إقليم تقلي

يمتد إقليم تقلي من المنطقة الحالية في مركز رشاد، وامتداد 40 ميلًا شمالًا إلى منطقة جبال الجرانيتية، وتمتد إلى ارتفاع 5 آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، وغربًا إلى السهول الممتدة إلى جبل الداير، وشرقًا تفقد هذه المنطقة ارتفاعها والجبال إلى الهضبة الشرقية لجبال النوبة والتي تبلغ 3 آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر والتي تنتهي عند سهول جبال شيلي وأم طلحة والتي تمتد مسافة 35 ميلًا إلى الغرب والتي تبعد حوالي 35 ميلًا من رشاد إلى وادي جريوة إلى الشقوق التي تجاور المرتفعات في حافة الهضبة إلى ظلال الجبال الشرقية، كل هذه المنطقة عرفت باسم تقلي وتقع في مساحة قدرها 40 ميلًا مربعًا وتقع فيها قرى كراية والهوي وتاسي وجولية[1] والتي كانت تمثل حواضر مملكة تقلي سابقًا.

استمرت مملكة تقلي عمليًا تحكم المنطقة الواقعة من غرب النيل الأبيض، وشرقًا إلى تخوم مملكة المسبعات، وجنوبًا إلى تخوم مملكة الشلك، ويعتبر هذا الإقليم الواسع الكبير يدار بواسطة زعماء القبائل الموالين لمكوك تقلي فيما كانت المساحة التي يحكمها فعليًا المكوك تقع في حوالي 40 ميلًا في المرتفعات التي مركزها مرتفعات رشاد.

تمتاز هذه المنطقة بأنها سياحية وجميلة وخصبة وذات إنتاج زراعي وحيواني مميز، وفي فصل الصيف تكتسي بألوان شاحبة نتيجة للجفاف الذي يضربها ويستمر لفترة أربعة إلى خمسة شهور من كل عام، ولكن بالنظر إليها في فصل الخريف تنمو الأعشاب القصيرة الخضراء وتكتسب نوعًا من البهجة بأشجارها وخضرة الجبال والوديان، وفي الغالب تكون الحياة على منحدرات الجبال وتصبح فيها الحياة زاهرة كلما اتجهت غربًا وهذه الخضرة تعترضها الأودية الجميلة في المنحدرات وتعتبر هذه المنطقة من المناطق الجميلة في السودان، ولا تجف منها المياه، وتجري الجداول في كل الاتجاهات وبالأخص في اتجاه المنخفضات في الأراضي الرملية التي تعترضها الصخور

---

(1) أر. جي. الياس، مملكة تقلي، مجلة السودان في رسائل ومدونات، العدد 16، الجزء الأول،1935م.

وتجـري في الخـيران الرمليـة السـهلية وتتكـون بحـيرات وشـلالات في فـترة موسـم الأمطـار.

مــن تقــلي والأراضي وإلى المرتفعــة شــمالًا وإلى الــشرق توجــد العديــد مــن الجبــال المتصلــة بالســهول والتــي تنحــدر في اتجــاه الشــمال. وتمتــد إلى منطقــة (القيــزان)[1] في كردفـان في مناطـق دار حامـد والتـي تنتهـي في سـهول ومرتفعـات خـور أبـو دوم وادي وخـور أبـو حبـل الـذي ينحـدر مـن الجبـال إلى سـهول كردفان والـذي يتصـل بخـور (النيل)[2] والـذي يوفـر مراعـي خصبـة والميـاه دائمـة لقطعـان الأبقـار والجـمال في فصـل الصيـف، وكـما يوفـر أراضي زراعيـة تـزرع فيهـا الـذرة والقطـن، وفي الجـزء الأدنى مـن هـذه السـهول والأوديـة يـزرع البصـل ومزروعـات أخـرى في خـور النيـل، وفي هـذه الأنحـاء يمكـن الحصـول عـلى الميـاه بصـور دائمـة.

في هـذه المنطقـة عاشـت قبائـل النوبـة في الجبـال والقبائـل العربيـة في السـهول وحـدث بينهـم تمـازج ثقـافي واجتماعـي، وتصاهـر أظهـر تاريخًـا ناصعًـا عـرف باسـم مملكـة تقـلي التـي حافظـت عـلى اسـتقلالها لفـترة طويلـة.

ظـل هـذا الإقليـم معـزولًا لفـترة طويلـة ولم يـزر جبـال النوبـة الشرقيـة الرحالـة، ولكـن توجـد في كتبهـم إشـارات إلى إقليـم تقـلي وكردفـان حيـث ذكـر الرحالـة جيمـس بـروس الأوضـاع في تلـك الجهـات عنـد زيارتـه إلى سـنار وأشـار إلى أن الجهـات مـن جنـوب كردفـان وتقـلي وهـذه المرتفعـات تقطنهـا قبائـل زنجيـة مختلفـة وهـي في حالـة حـرب دائمـة مـع السـلطات الحاكمـة في كردفـان ومنهـا يـأتي الذهـب مـن جبـال شـيبون في مملكـة تقـلي.[3]

التحول السياسي في مملكة تقلي

كان يحكـم سـكان الجبـال التقلاويـين في القـرن السـادس عـشر ميـلادي الملـك سـكرانج أو (كابـر - كابـر) مـك المنطقـة وزعيـم محـلي في الجبـال الشرقيـة وذلـك في مملكـة أقـرب إلى تكويـن المشـيخات في إقليـم وادي النيـل. وعندمـا وصـل الفقيـه محمـد الجعـلي رحـب بـه الملـك كابـر كابـر وأظهـر الفقيـه محمـد الجعـلي فـروض الـولاء والطاعـة وتقديـم مبـادرات الصَّداقـة، أمـا الملـك الـذي أعجـب بالفقيـه وحـواره آدم أبـو حايمـة، رحَّـب بهـما وأكـرم مثواهـما في غايـة الحفـاوة.

بعـد أن وجـدا التقديـر والاحـترام مـن الملـك والأهـالي والمعاملـة الحسـنة، بـدأ الشـيخ

(1) القيزان وهي الكثبان الرملية المرتفعة التي تتحرك نتيجة للجفاف والتصحر.

(2) خور موسمي ينحدر من جبال النوبة الشرقية ويشكل فرصة طيبة للزراعة في سهوله ويطلق عليه خور النيل.

(3) نسيم مقار، الرحالة الأجانب في السودان، مصدر تم ذكره، ص 14.

محمـد الجعـلي وحـواره يعلـمان النوبـة أصـول الإسـلام، بـدءًا بإقامـة شـعائر الصَّـلاة مـع عـدم اعتراضهـم أو محاولـة التدخـل في شـئون دنياهـم سـلبًا أو إيجابًـا إلا بالتـي هي أحسـن. ومنـذ ذلـك التاريـخ أصبحـت عقيـدة الإسـلام تأخـذ مكانتهـا في نفـوس النوبـة الذيـن كانـوا عـلى وثنيتهـم.

اعتـبرت عمليـة التحـول السـياسي للمملكـة التقليديـة التـي توسـعت في عهـد الملـك عمـر أبـو جريـدة وأحفـاده توسـعًا لانتشـار الإسـلام واللغـة العربيـة مـما منـح المملكـة بعـدًا سياسـيًّا في خارطـة الممالـك السـودانية، وصاحبـه نـوع مـن التحديـث في التشريـع وأنظمـة الحكـم والعـادات والتقاليـد وبذلـك اكتسـبت المملكـة أهميتهـا كدولـة إسـلامية في تخـوم العـالم الإسـلامي وشـملت المنطقـة نهضـة جديـدة وتحـول في التوجـه السـياسي.

أهمية مملكة تقلي

اعتـبرت مملكـة تقـلي مـن ممالـك التخـوم بـين الإسـلام والديانـات الإفريقيـة المحليـة الوثنيـة (الكجـور والأسـبار) التـي كانـت يعتنقهـا النوبـة في ذلـك الوقـت، وكذلـك منطقـة تداخـل لغـوي بـين تمـاس اللغـة العربيـة واللهجـات النوبـة المحليـة، وشـكلت منطقـة تقـلي خـط تداخـل بـين الجنـس العـربي والأجنـاس الزنجيـة الإفريقيـة، وبذلـك أصبحـت ثغـرًا متقدمًـا في نـشر العقيـدة الإسـلامية واللغـة العربيـة، كـما حـدث نـوع مـن الترابـط بـين سـلاطين الفونـج ومكـوك تقـلي أدى هـذا الترابـط إلى ازديـاد أهميـة تقـلي كمملكـة تقـع في تخـوم انتشـار الإسـلام واللغـة العربيـة مـما سـمح بفتـح الخـلاوي والمسـاجد وزيـارات الأئمـة والدعـاة للمسـاهمة في تصحيـح العقائـد حتـى أطلـق مملكـة تقـلي الإسـلامية تعظيـمًا لهـا ولدورهـا التاريخـي الريـادي.

نشـأت مملكـة تقـلي في الركـن الشـمالي الشرقـي لجبـال النوبـة، وذلـك في أواسـط القـرن السـادس عـشر وكان مركزهـا رشـاد ومـا حولهـا شـمالًا وجنوبًـا[1] مـما أعطاهـا أهميـة جيوسياسـية لإشرافهـا عـلى المناطـق المتاخمة لمملكـة وأراضي الشـلك في فشـودة، مملكة تقلي الإسـلامية واحـدة مـن أهـم الممالـك السـودانية التـي نشـأت في جنـوب كردفـان في الجبـال الشرقيـة لجبـال النوبـة وامتـدت حدودهـا مـن شـمال كردفـان حيـث مملكـة المسـبعات إلى مناطـق جنـوب غـرب مدينـة كوسـتي الحاليـة وجنوبًـا إلى حـدود الأول مـن ينايـر 1956م.

ترتفـع جبـال تقـلي إلى أكـثر من 5000 قدم فوق سـطح البحر في مسـاحة تقـدر بحوالي 40 ميـلًا وأهـم المـدن والقـرى رشـاد وأبو جبيهة والعباسـية تقـلي وكراية والهوي وطـاسي وجولية.

(1) يوسف أبو قرون، لمحات عن حياة وعادات قبائل السودان الكبرى، بدون دار نشر، الخرطوم،1966، ص 110.

تـأتي أهميـة مملكـة تقـلي التـي تسيطر عـلى الجـزء الشـمالي الشرقـي لولايـة جنـوب كردفـان، في أنهـا ظلـت تمثـل الـدور المحـوري عـلى مـر العصـور في بنـاء مـا يُعـرف بالسـودان الحديـث. مملكـة تقـلي الإسـلامية اشـتهرت بالمواقـف الحاسـمة في تاريـخ السـودان في كثير مـن القضايـا مثـل موقفهـا مـن الحكـم الخديـوي المـصري وتعاونهـا مـع المهديـة.

تقلي قبيل تأسيس المملكة

كان أهـل تقـلي تقريبًـا مـن أصـل واحـد يعيشـون في ثـلاث مناطـق متفرقـة هـي: ترمـي وأم طلحـة الترتـر الكجاكجـة وتقـلي نفسـها، وكان السـكان عـلى وثنيتهـم وتتسـم حياتهـم بالبدائيـة والبسـاطة وكان عليهـم مـك تقـلي في جبـل تقـلاور الـذي يقـع بالقـرب مـن قريـة الهـوي. بعـد تدفـق الهجـرات إلى تقـلي بعـد ظهورهـا كمملكـة عظيمـة وفتـح طـرق التجـارة مـع مناطـق الفونـج، فـإن السـكان قـد امتزجـوا مـع القبائـل العربيـة مـن أقـصى شـمالي السـودان ومـن قبائـل العـرب الرحـل الذيـن اسـتقروا في سـهول مملكـة تقـلي، إلا أن الكجاكجـة احتفظـوا بنقـاء عرقهـم ولم يختلطـوا بالوافديـن إلى مملكـة تقـلي عـلى الرغـم مـن اعتناقهـم الإسـلام وافتتـاح الخـلاوي في جبالهـم ومسـاهماتهم السياسـية الاجتماعيـة في قيـام المملكـة وخدمتهـا إلا أنهـم لا يزالـون حتـى اليـوم يحتفظـون بنقـاء عرقـي.[1]

سـكان مملكـة تقـلي اليـوم يتوزعـون عـلى قـرى ومـدن جبـال النوبـة الشرقيـة في العباسـية وقـرى الهـوي ومهلـة وطحطـين والبديريـة وقمبرايـا وقـردود الريـل وكـودي عـلي وكرموقيـة والجبـل الأحمـر والسريـف والقـردود والدامـرة والجبيـلات وكالنـده والسـنادرة وفشـودة وتوفـين ومندرابـة فضيلـة وسـبوت وبانـت وطاهـات وجبيـلات أبـو سـم والموريـب وتاجلبـو وأم شـطور والشـم شـكا وتكـم وتـيري والدبـادب وأبـو دوم وتبسـه والـدار دوري وككـدة وأم مرحـي وتاجلـو.[2]

يسـكن مملكـة تقـلي التاريخيـة اليـوم الأشراف العباسـيون وخليـط مـن النوبـة والعـرب والقبائـل الوافـدة مـن غـرب إفريقيـة وحـدث بينهـم نـوع مـن الترابـط المشـترك ووحـدة المصـير، واسـتمرت مملكـة تقـلي قويـة بفضـل التداخـل الإثنـي بـين المكونـات العرقيـة ووحـدة التوجـه الدينـي والثقـافي.

القبائل في تقلي

قطنـت في المملكـة العديـد مـن القبائـل التـي امتزجـت بفضـل قـوة ووعـي مكـوك تقلي،

(1) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص15.

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص17.

فـلا تـكاد تحـس أن هنـاك تمايـزًا بينهـم أو تميـزًا لأي مجموعـة عرقيـة، وهـذا مـا أعطـى المملكـة قوتهـا وزاد مـن اسـتقلالها السـياسي، فالـكل تحـت حكم مكـوك تقلي كانوا سواسـية، الأسرة الحاكمـة تنتمـي إلى قبيلـة الرباطـاب فـرع العبابسـة قبيلـة مـن المجموعـة الجعليـة، اسـتقرت في جبـال النوبـة وصاهروهـم واختلطـوا بهـم، وهـم مكـوك جبـال تقـلي وموطنهـم العباسـية تقـلي واشـتق اسـم العباسـية مـن اسـم العبابسـة وهـي عاصمـة مملكـة تقـلي، والعبابسـة فـرع مـن الأشراف العباسـيين اسـتقروا في أرض الرباطـاب في مقـرات وأبـو حمـد ونـدي والتـكاكي، يرجـع نسـبهم إلى الشريـف شرف الديـن بـن يعقـوب الملقـب بـأبي العبـاس.

مـن فـروع العبابسـة الحمـداب بمقـرات والهاديـاب في مقـرات ونهـر عطـبرة والحراديد في منطقـة الزيـداب وود العبـاس قـرب سـنار ودونتـاي وقريـة الدبيبـة شرق سـنجة والحـماراب في الزيـداب والحطاطيـب بالقضـارف والـزرق في مقـرات ونهـر عطـبرة والفاضـلاب شرق الدامـر الشـمخية والحسـناب والسنوسـاب في أراضي المناصـير.

بعـد دخـول الأشراف إلى ديـار تقـلي في العـام 1530م توسـعت قبيلتهـم وتوزعـت بـين العديـد مـن خشـوم البيـوت أهمهـا (خشـم بيـت اللبجـاب، خشـم بيـت جـد العيـال، العجيجـاب، السـوكراب، الكيـكاب، الكرجـاب، عـون اللـه، أبـو نيـسي، الروندوقـاب، الجيـلاب، المـسراب، الجزيـراب، العمـراب، التـودراب، والعبـدلاب)

قبيلـة النوبـة مـن قبائـل الزنجيـة التـي تقطـن في مجموعـة جبـال عرفـت باسـم جبـال النوبـة، ترجـع أصولهـم إلى مناطـق شـمال السـودان فهاجـروا جنوبًـا خوفًـا مـن الهجـرات العربيـة واحتمـوا في جبـال النوبـة في فـترات تاريخيـة بعيـدة، ولهـم لغتهـم الخاصـة بهـم كـما لهـم عاداتهـم وتقاليدهـم، تتكـون قبيلـة النوبـة مـن مجموعـات قبليـة كثـيرة ومتنوعـة منهـا مـن هـم مسـلمون ومنهـا المسـيحي ومنهـا الوثنـي، النوبـة مـن القبائـل السـودانية التـي فـرض عليهـا الإنجليـز سياسـة المناطـق المقفولـة لفـترة طويلـة.

رشـاد مـن قبائـل النوبـة التـي سـكنت مدينـة رشـاد وتوجـد في منطقـة قبيلـة الرشـاد مجموعـات عرقيـة مختلفـة مـن النوبـة والعـرب والفلاتـة مـن أهم هـذه القبائـل (الكجاكجة والترجـك والتقـلي والتقـوي مـن النوبـة، أمـا مـن العـرب فالحوازمـة والحلفـة والبدريـة والهبانيـة والشرفـة، ومـن الأخـرى كالدينـكا والفلاتـة والهوسـا والبنـي عامـر)

والنوبـة مـن القبائـل السـودانية الأكـثر جـدلًا في أنهـا قبيلـة واحـدة كبـيرة لهـا فـروع شـكلت قبائـل أم إنهـا مجموعـات قبائـل مختلفـة لذلـك نجـد أن لـكل قبيلـة عـادات ولغـة تخصهـا كـما أن هنـاك رابطًـا بينهـم كبـيرًا، في هـذا البحـث يمكـن اعتبـار النوبـة مجموعـة

واحـدة لهـا امتـدادات كبـيرة كقبيلـة الجعليـين في شـمال السـودان.

مـن قبائـل النوبـة (كادوقـلي وكرنقـو، تلـشي، كاتشـا، مـيري، الكواليـب، المـورو، هيبـان، أطـورو، تـيرا، اللـيرا، تقـلي، الرشـاد، الكجاكجـة، التقـوي، تومـي الموريـب، تلـودي، المسـاكين، أجـرون، تجـو، كلولـو، الأجانـج، الغلفـان، الكاركـو، والي، فنـدا، الدلنـج، الداجـو، الشـات، لقـوري، تيمـن، تيـس، كيقـا، جلـد، لفوفـا، ترجـك، أمـيرا)

طـروج قبيلـة مـن قبائـل النوبـة سـكنت جبـال تقـلي كـما لهـم جبـال مشـهورة باسـم جبـال طروجـي، تنطـق طـروج وتـروج، وعـرف جبـل طروجـي بأنـه مـن كبريـات الجبـال، تتمتـع الطروجـي بعـادات وتقاليـد كثـيرة كغيرهـم مـن قبائـل النوبـة مثـل توريـث ابـن الأخـت، كـما لديهـم اشـتغال شـديد بالكجـور كغيرهـم مـن قبائـل النوبـة، وهـم قـوم وثنيون لهـم تمسـك بوثنيتهـم هـذه، أمـا في الـزواج فـإن الـزوج يهـرب مـع عروسـه إلى منزلـه في قريتـه ويذهـب خالـه وتتـم الإجـراءات، يعتمـد الطروجيـون عـلى نظـام النفـير في العمـل وهـو نظـام معـروف في كل السـودان، هنـاك مجموعـة صغـيرة مـن أبنـاء طروجـي هاجـروا إلى دار فـور وذابـوا بـين الداجـو والبرقـد.

شـوابنة مـن القبائـل العربيـة التـي اسـتقرت في جبـال النوبـة، دخلـت الجبـال في عهـد مملكـة تقـلي الإسـلامية واسـتقروا في جبـل شـيبون وأطلـق عليهـم اسـم الشـوابنة.

الشـوابنة هـم مجموعـة قبائـل عربيـة شـكلت مجموعـة عرقيـة منسـجمة تحـت رايـة وقيـادة واحـدة، وهـذه القبائـل المكونـة هـي (مسـلمية والهـوارة الجلابـة، الحسـانية، الجنيـداب الجميعـاب، الحسـبلاب، العبـدلاب، المناقيـش، الضبـاب، الريـاش، البشـاريين والكواضيـم)[1] وهـذه القبائـل قدمـت مـن اتجاهـات مختلفـة إلا أن حاجتهـم إلى أن يتحـدوا ضـد المجموعـات القبليـة الأخـرى هـي التـي دعـت هـذه القبائـل إلى إقامـة حلـف عـرف باسـم الشـوابنة. ثـم إن الشـوابنة اختلـط جـزء كبـير منهـم بالنوبـة حتـى عدهـم بعـض النسـاب نوبـة، يعمـل الشـوابنة في مجـال الرعـي والزراعـات الصغـيرة والتجـارة، وهـم قبيلـة مسـتقرة كـما توجـد مجموعـات تعمـل حداديـن ونسـاجين، وعـرف الشـوابنة بأنهـم أصحـاب دموريـة القنجـة الممتـازة في الجبـال. ظاهـرة الشـوابنة تشـابه ظواهـر أخـرى مثـل الوطاويـط في النيـل الأزرق والحلفـة في جبـال النوبـة.

تميـز الشـوابنة باحـترام الكبـار احترامًـا شـديدًا إذ لا يسـلم الصغـار عـلى الكبـار في الكـف مبـاشرة، وإنمـا يمـد الأصغـر رأسـه منحيًـا للكبـير ويمـد يـده ويضـع الكبـير يـده عـلى سـاعده،

---

(1) عبد العزيز خالد، جبال النوبة اثنيات وتراث، مصدر سبق ذكره، ص46.

كـما اشـتهر الشـوابنة برقصـة الصفقـة التـي يرقصهـا الرجـال والنسـاء وتغنـي الحكامـة ويرجـع الراقصـون كلـمات الحكامـة.

أولاد حميـد مـن قبائـل البقـارة التـي تسـكن جبـال النوبـة في مناطـق الدلنـج وتلـودي وتقـلي وأبـو جبيهـة، وأولاد حميـد مـن قبائـل قحطـان، يعمـل أولاد حميـد في الزراعـة والرعـي وهـم مـن الفرسـان الذيـن استبسـلوا في حـرب الإنجليـز ضـد الطليـان. مـن فـروع أولاد حميـد فرعـي (شـعيف وقضيـف) وتنـدرج عـدة أفـرع كثـيرة في هذيـن القسـمين وهـي كالآتي (الشـعيبات ومـن أفخاذهـم أولاد ديـدة وأولاد بابـو أولاد ضرغـم)، أمـا(فخـذ أولاد أبـو عـلي فمـن بطونـه أولاد عبـد اللـه والربـط وأولاد محيميـد وأولاد راضي)، (أمـا فخـذ أولاد نصـار فمنهـم أولاد نويـة وأولاد حـداد وأولاد كبـاي)، (أمـا فخـذ أولاد سـدرة فمنهـم أولاد بـلال وأولاد مقيـد والتعايشـة وأولاد مفتـاح وأولاد هبيـل)، (أمـا فخـذ أولاد أحمـد فمنهـم أولاد عليـان وأولاد أم شـعر وأولاد عسـكر)، (أمـا فخـذ أولاد أبـو قايـد فمنهـم أم درمـاي وأم كوكـة وتيرتـير وأم عيرفـة وأولاد تامـر.)[1]

الحوازمـة مـن قبائـل البقـارة التـي اسـتوطنت في جبـال النوبـة مـن ناحيتـي الغـرب والجنـوب واختلطـوا بهـم اختلاطًـا كبـيرًا، وينسـبون إلى جدهـم حـازم مـن فروعهـم (دار جـواد، أولاد غبـوش، دار بيتـي، دار النعيـلي، الحلفـة، الرواقـة، أولاد نوبـا، دليمـة)[2] كـما لهـم علاقـات واسـعة مـع المسـيرية لهـم ثـلاث نظـارات وهـي (نظـارة الحوازمـة الحلفـة ورئاسـتهم في أم برمبيطـة، ونظـارة أولاد عبـد العـال في الحـمادي شـمال الدلنـج، ونظـارة الحوازمـة الرواوقـة ومقرهـا كادوقـلي.

قبيلـة كنانـة مـن قبائـل قريـش التـي دخلـت السـودان عـن طريـق مـصر وهـم عنـصر واحـد وإليـك نسـب كنانـة وهـو كنانـة بـن خزيمـة بـن مدركـة بـن إليـاس بـن مـضر نـزار بـن معـد بـن عدنـان جـد النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، كنانـة باديـة أهـل إبـل وماشـية ووطنهـم المراعـي الصالحـة لإبلهـم، فإنهـم كـرام وشـجعان وفي زمـن المهديـة[3] اسـتقرت مجموعـات في مملكـة تقـلي وهـم مـن القبائـل المسـتقرة فيهـا منـذ زمـن طويـل كـما يوجـد كنانـة أيضًـا في النيـل الأزرق في شـمال الروصـيرص وفي غربهـا في قـرى طيبـة البيـلاب والعـزازة وجبـل القـرى غـرب الروصـيرص والمسـيد وفي غـرب الدمازيـن في قريـة أبـو رمـاد وهـي إحـدى خـلاوي قبيلـة كنانـة وفي قريـة أقـدي، وفي أقـدي المذكـورة لديهـم عموديـة، وكـما

(1) عادل عبد الرحمن، قبائل البقارة في غرب السودان، ص95.

(2) عون الشريف، موسوعة القبائل والأنساب في السودان، ج2، ص717.

(3) تاريخ دخول العرب، ص 92.

استقرت مجموعات منهم في سنار في أم بنين وجبل موية وجبل سقدي وحول سنجة قرية التباخة قرب الحاج عبد الله، وفي جبال الدالي والمزموم ومجموعة أخرى في النيل الأبيض وحول مصنع كنانة وفي كردفان استقرت مجموعات منهم مع الكبابيش ومجموعة في القضارف، من أهم فروع كنانة (أم الطاهر والريسية، السراجية، أبو ريحان، الكواتيل، البيلاب) مجموعات كنانة التي استقرت في غرب السودان هي فروع السواراب وبعض من السراجية، الأصالعة، الداودية، الفهرية، أولاد هزيل، الفخرية والعلاونة). ارتبطت كنانة بقبيلة دغيم بالقربى والمصاهرة والمحالفة خصوصًا فروعهم الموجودة في النيل الأبيض. اشتهرت قبيلة كنانة بامتلاكها أفضل الأبقار والتي تسمى الأبقار الكنانية وهي مرغوبة لألبانها ولحومها. ناظر عموم قبيلة كنانة يقيم في سنار وهو إبراهيم الفودة.

الكواهلة وهم من قبائل العرب التي استقرت في جبال النوبة الشرقية ومن ضمن قبائل مملكة تقلي واستقروا في كلوقي ومن أشهر زعمائهم الملك راض الله. وهم جزء من قبيلة بني كاهل العربية المعروفة هاجروا إلى السودان واستقروا ردحًا مع البحة في شرق السودان ومنها نزحوا إلى البطانة والجزيرة والنيل الأبيض وكردفان مع الكبابيش والنيل الأزرق وجبال النوبة، يرجع نسبهم إلى سيدنا الزبير بن العوام، وهم من قبائل جهينة الكبيرة في السودان.

الاختلاط والتصاهر الاجتماعي في جبال النوبة الشرقية

يلاحظ في كل الممالك الإسلامية التي نشأت في السودان بعد سقوط الممالك المسيحية أن غريبًا من العرب وشريفًا صاهر السلطان المحلي ونتج عن المصاهرة تولي سلالة المهاجر الشريفي العربي لدست الحكم بعد ظهور جيل جديد متشرب بالثقافة العربية والإسلامية، فسليمان العربي أو سولونج قد صاهر الفور وحكم أسلافه وأيضًا الزبير ود رحمة صاهر الملك تكمة وتزوج ابنته رانبوه[1] وارتفاع حظه وتحوله من تاجر إلى حاكم وتحالف العرب الأمويين مع الفونج وحكمهم لسنار وغيرها تطول الأمثلة لكثرتها في تاريخنا، ربما يكون هذا من أن الأفارقة يتبنون النظام (الأمومي) حيث يحكم أبناء البنت وذلك على خلاف العرب الذين يتبنون نظامًا (أبويًا) فنتج عن هذا التمازج بروز جيل من الحكام الجدد وجيل من العوام لا يمكن أن يوصف بأنه عربي خالص أو زنجي خالص، بل هجين يحمل دماء عربية وزنجية وأصبح هؤلاء هم السادة والطبقة الحاكمة.

(1) وقيع الله الطيب وقيع الله، الزبير رحمة بين المادحين والقادحين، مطبعة أرو، الخرطوم،2012م، ص 125.

ويمكـن تطبيـق هـذه النظريـة عـلى حـكام مملكـة تقـلي الإسـلامية أيضًـا، ونتيجـة للتـزاوج بـين العنـصر العـربي والزنجـي ازدهـرت طائفـة مـن السـلاطين الذيـن امتـد حكمهـم لفـترة مـن نهايـة القـرن الخامـس عـشر إلى القـرن التاسـع عـشر.

روايات حول أصل التقلاويين

مثلـما تتعـدد الروايـات حـول أصـل الفونـج حيـث لا يـزال هنـاك مـن يتحـدث عـن أصولهـم العربيـة الأمويـة أو الشـلك أو أن أصولهـم مـن الأحبـاش الذيـن خالطهـم العـرب وكذلـك الحديـث عـن أصـول سـلاطين تقـلي، حيـث تشـير الشـفاهيات وتتعـدَّد الرِّوايـات عـن أصـل سـكان المنطقـة، وقـد أوردت الباحثـة جانيـت جـي إيوالـد روايـة هـي في واقـع الأمـر أقـرب إلى الأسـطورة منهـا إلى الحقيقـة.

حيـث ذكـرت جانيـت في إحـدى مروياتهـا أن أقوامًـا مـن المهاجريـن الفونـج المسـلمين يدعـون (كونيـاب) المهاجريـن سـكنوا أبـو دوم التـي تبعـد مسـافة 10 أميـال عـن جبـل تقـلي[1] ويسـكنون في جبـل الكـون. وفي يـوم مـن الأيـام، وبينـما كانـوا يمارسـون حرفـة الصَّيـد، جرحـوا تيتـلًا وطـاردوه حتـى عـثروا عـلى مسـاكن (لابوجـاب) في قلـب تقـلي، وهـم قـوم عـراة وغـير مسـلمين. وقـد أُعجـب لابوجـاب بملابـس كونيـاب[2] تظـل فرضيـة الباحثـة جانيـت عبـارة عـن مرويـات شـفاهية متداولـة لا يمكـن الجـزم بمـدى صدقيتهـا.

من المرويات الشفاهية

طلـب الزعيـم الأول مـن مجموعـة الصيَّاديـن (الكونيـاب) أن يسـتقروا في تقـلي ليعلِّموهـم زراعـة القطـن ونسـج الملبوسـات. وقـد قبـل (الكونيـاب) الدَّعـوة عـلى الرَّغـم مـن أنَّهـم ظلُّـوا في اتِّصـال مسـتمر مـع ذويهـم في أبـو دوم؛ كـما أنَّهـم لم يتدخَّلـوا في معتقـدات (لابوجـاب) الدِّينيَّـة مثـل تقديـم الفتيـات قربانًـا لحيَّـة في بـئر لضـمان الهطـول المبكِّـر للأمطـار. وهنـاك قـول أنَّهـم ينتمـون إلى قبيلـة السـقارنج: الرجـل منهـا سـقراناوي والمـرأة سـقرناويَّة، وإلى هـذه القبيلـة تنتمـي خـيرة - والـدة إسـماعيل صاحـب الرَّبابـة مـن الشَّـيخ مـكي الدَّقـلاشي الـذي تكلَّـم في المهـد.[3]

(1) مقابلة مع المهندس معاوية عبد الرحمن الزيبق 27/7/2020م.

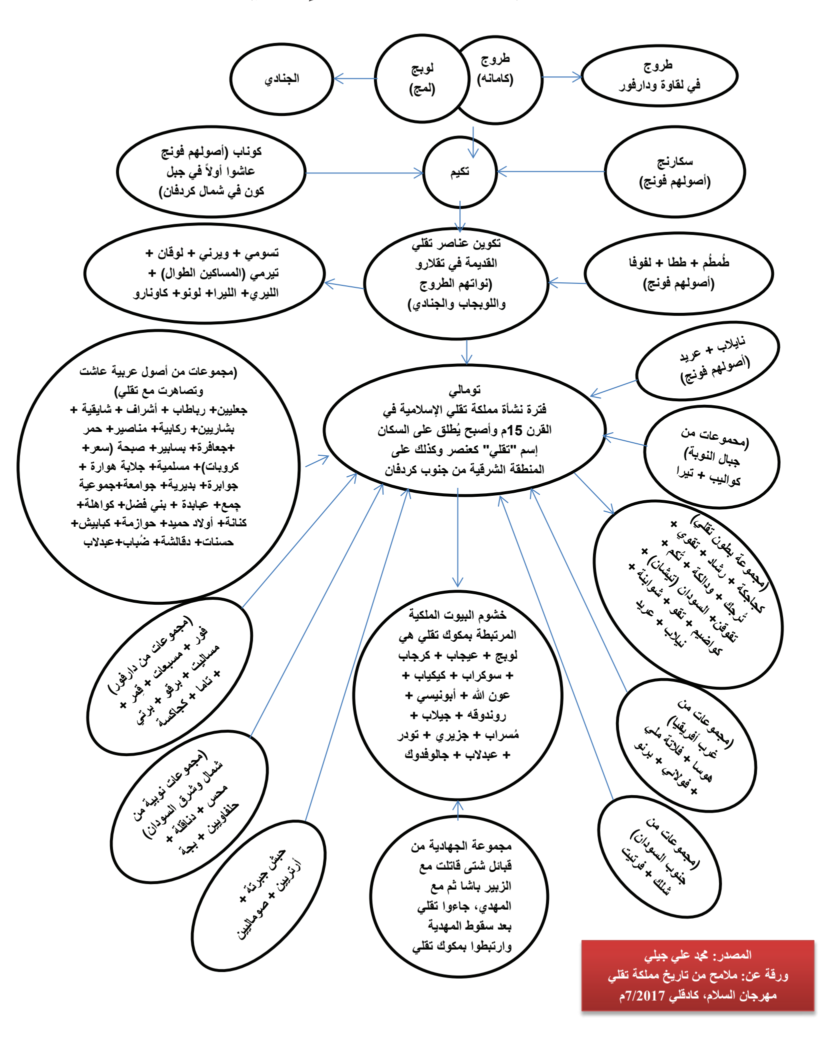
(2)http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=292:b_3cA23&-catid=52&Itemid=55 د. عمرمصطفى شركيان

(3)http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=292:b_3cA23&-catid=52&Itemid=55 د. عمرمصطفى شركيان

والبيـت الملـك في تقـلي مـن المهاجريـن مـن شـمال السـودان وتمازجـوا مـع العنـاصر المحليـة والمجموعـات المكونـة لمملكـة تقـلي، هـم الجعليـون الرباطـاب، ومـن العنـاصر التـي اختلطـت بالسـكان الأصليـين سـبعة بيوتـات رئيسـية وهـي (تقـوي وتعـود أصولهـم للفونـج، ترجـك، رشـاد، كجاكجـة، تومـالي، تكـم وهـم من النوبـة، والودالكـة) إضافـة إلى الفونـج. إضافة إلى المجموعـات المهاجـرة إلى تقـلي مـن القبائـل الإفريقيـة وتصاهـروا مـع التقلاويـين هـم البرنـو، المسـاليت، الفلاتـة، الهوسـا، والبرقـو، الفـور، وبعـض قبائـل غـرب السـودان. والعـرب السـيارة والرعـاة والقبائـل الأخـرى كقبائـل كنانـة والكواهلـة وأولاد حميـد وقبيلـة الحوازمـة.

العناصر التي تصاهرت وتمازجت في مملكة تقلارو

(الفترة قبل ظهور المملكة الإسلامية)



العلاقة بين االفونج وتقلي

أول وصف تم تقديمه عن مملكة تقلي كان بواسطة الرحالة جى هـ. بروس الذي قضى بعض الوقت في سنار في عام 1772 م والذي قال إن هناك العديد من القرى التي تحيط بسنار كان يقطن فيها رقيق مجلوبون من جبال النوبة وبشكل رئيسي من جبال الداير وتقلي. شكل الجنود النوبة فرقة المشاة لجيش سلطنة سنار. كثير من المراجع التاريخية تحدثت عن العلاقة بين سلطنتي الفونج وتقلي والتي تراوحت ما بين القتال ومحاولة إخضاع الفونج للتقلاويين وما بين المصالحة والمصاهرة والتأثير في مجريات الأحداث السياسية ودعم مركز المكوك السياسي والاجتماعي. إضافة إلى التعاون في نشر الإسلام والسماح للدعاة والمتصوفة في نشر الإسلام في جبال النوبة بحرية تامة بل وبتقدير ورعاية من مكوك تقلي.

غزو الفونج لمملكة تقلي

السلطان بادي أبو دقن قام بغزو مملكة تقلي في العام 1650م ووجد فيها مكًّا ذا هيبة ليس أقل منه حظوة ونبلًا هو المك جيلي أبو قرون، وكان ملك تقلي يعرف السلطان بادي من خلال الأخبار المحكية عنه، لكن الوشاة دفعوا الرجلين إلى الحرب بينهما، فلما وصلت جيوش السلطان بادي أبو دقن تقلي رجعت عنها دون أن تخربها.(1)

أو تنال منها شيئًا لأن مك تقلي عاملهم معاملة المكوك إكرامًا لسمعة السلطان بادي أبو دقن، فأرسل لهم الطعام واستعد لنزالهم نهارًا، فخجلوا من أن يقاتلوه ورجعوا دون حرب، يقول الأستاذ الطيب محمد الطيب (ما أنبل فرساننا، فإطعام الضيف فوق كل واجب حتى لو كان الضيف من الأعداء يخوضون المعارك في وضح النهار يتقاتلون وفي الليل يرسلون الطعام إلى العدو)(2)

لقد لعب المتصوفة دورًا بارزًا في التواصل بين الفونج والنوبة عمومًا وتزعم إحدى المرويات عن الشيخ فرح ود تكتوك فقالوا لا يفتيك إلا الشيخ فرح ود تكتوك في سنار فأرسل رسوله إليه ولما وصل الرسول للشيخ فرح ود تكتوك فقال له شعرًا متهكمًا من طلبه هذا:

قولوا للمك تيرا ود الخادم العويرا
زوجناك بتك الكبيرا بي سنة البغال والحميرا

---

(1) الطيب محمد الطيب، ود تكتوك حلال المشبوك/ ص50.

(2) نفس المرجع السابق، ص51.

ولما أراد مندوب المك تيرا الانصراف إلى جبال النوبة طلب منه أن يدعو له بالصلاح[1] وهذا يؤكد نوعًا من التواصل بين الفونج والنوبة على وجه العموم والفونج ومملكة تقلي الإسلامية.

كما أن مملكة تقلي اشتهرت بوجود الذهب في جبال شيبون ومندي وكان التجار من مملكة الفونج يقومون بشراء الذهب من التقلاويين ويصهرونه ويباع في سنار والأبيض والقاهرة، وتشير المرويات إلى أحد الصياغ المشهورين من النيل الأبيض اتصل بالمك ناصر وصاغ له ذهبًا وفضة وصارت شيبون السوق الرئيسي الذي يتم فيه بيع الذهب المستخرج من جبال تيرا وجبال شيبون وجبال مندى.[2]

كما حدث تصاهر بين المك جيلي أبو قرون ود المك جيلي عون الله حيث تزوج ابنة السلطان رباط بن بادي سلطان الفونج وكان اسمها أم عجائب (شلة أم عجائب) ورحلت إلى مملكة تقلي ووصل معها عدد من نساء الفونج وخدمها وأصبحت السيدة الأولى وهي والدة المك عمر أبو زنتر الذي كان حازمًا وباطشًا فسعت إلى إرساله إلى أخواله سلاطين سنار وحجزه هناك وبالفعل غادر تقلي إلى سنار وتم تنصيب أخيه وابنها الثاني المك محمد مما يدلل على التواصل الكبير بين المملكتين.

الأميرة أم عجايب الفونجاوية كان لديها ولدان هما محمد وعمر من المك جيلي أبو قرون وساهمت في تطبيع العلاقة بين المملكتين، وأصبح ابنها المك محمد مك تقلي، وكان من أفضل من حكم مملكة تقلي الإسلامية.

وبنى المك محمد عاصمة مملكة تقلي الإسلامية في طاسي أو طاسين واسمها مأخوذ من حروف القرآن الكريم، وأسس في كل قرية من قرى مملكة تقلي مسجدًا وخلوة لتعليم القرآن، وزار مملكة تقلي في عهده العلماء وشيوخ الطرق الصوفية منهم الشيخ حسن ود حسونة والشيخ تاج الدين البهاري، وأصبحت علاقات العلماء بمملكة تقلي والأسرة الحاكمة فيها جيدة للغاية، وهذا الذي أعطى مملكة تقلي شهرتها في العالم الإسلامي.[3]

المك سكرانج أو كبر كبر:

كان السكان في جبال النوبة الشرقية قبل أربعة قرون ينتمون إلى عنصر عرقي واحد، فقد كان يتكون سكان الجبال الشماليَّة الشرقيَّة من النوبة وكانوا يتمركزون في ثلاث

---

(1) نفس المرجع السابق، ص61.س

(2) ناني اوبت ننده، التاريخ القديم والوسيط والحديث لجبال النوبة، ج1 التاريخ القديم، ترجمة غانم سليمان غانم.

(3) د. البشير أحمد محيي الدين، مرجع سبق ذكره، ص355.

مناطق: تيرمي في أم طلحة وجبال الكيجاكجة وتقلي. كان القوم يعبدون الآلهة الطَّبيعية من دون أي ارتباط بالديانات السماوية، ويعيشون حياة بدائيَّة بسيطة تحت السيطرة الوراثيَّة للمشايخ في دارهم التي تقع في تقلارو -بالقرب من قرية الهوي- وكانوا يُعرفون باسم الهمج، هكذا تقول الأساطير القديمة. وبما أنّ دماء السكان الأوائل قد ذابت واختلطت مع العناصر التي وفدت إلى هذه المنطقة من كل فج عميق، إلاّ أنَّها ما زالت باقية لدى مواطني جبال الكيجاكجة، الذين احتفظوا بنقاء حسبهم ونسبهم.[1]

في حوالي 1530م كان المك كابر كابر زعيم التقلاويين في الجبال الشرقية وكانت بلاده مفتوحة ولم يكن منغلقًا على مجتمعه مما سمح بتعدد الأنساب عبر الزيجات مع المجتمعات القريبة من ديار تقلي حيث كانت عاصمته في قرية الهوي وكانت القبائل العربية تقوم برعي قطعانها على تخوم مملكته التي اعتبرت من أكبر ممالك النوبة في جبالهم وقتذاك.

المك كبر كبر هو المك الذي استضاف الشيخ محمد الجعلي في ديار تقلي، وكانت القرى أو المدن الرئيسية في جبال النوبة الشرقية هي قرى الهوي وكراية والرشاد وطاسين وجولية.

فور وصول الشيخ محمد الجعلي وحواره أبو حايمة ذهبا إلى كبر-كبر مك المنطقة وعندما مثَّلا أمام المك، شرعا في تقديم نفسيهما وشرحا أن هدفهم الاستقرار في مملكة المك كبر ولا يطلبان إلا موافقته على استقرارهم في دياره وشرحا دينهما الإسلامي الذي لم يكن يشكل خطرًا على ملك المك كابر باعتبار أن الرجلين من الفقراء واحتميا به لذلك رحب بهما بل إنه أعجب بهما وأكرم مثواهما ومنحهما أرضًا لسكنهما وزراعة قوتهما وترك لهما حرية التنقل. بعد أن عُوملا معاملة حسنة واطمأنَّت إليهم قلوب النَّاس، طفق الزَّاهدان يعلِّمان القوم أصول الإسلام، بدءًا بإقامة شعائر الصَّلاة مع الإبقاء على طقوسهم الدُّنيويَّة. ومنذ ذلك التَّاريخ أصبحت عقيدة الإسلام تدخل في نفوس النَّاس.

هجرة الشيخ محمد الجعلي:

بعد أن انتشر الإسلام في السودان النيلي الأوسط وتمدد إلى سهول كردفان ومنها تسربت الهجرات إلى جبال النوبة الشرقية، وكانت الهجرات الأولى في شكل مجموعات

---

(1)http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=292:b_3cA23&-catid=52&Itemid=55 د. عمر مصطفى شركيان

وأفراد، لكن الأبرز في تلك الهجرات هي هجرات المتصوفة حيث هاجر الفقير محمد الجعلي وهو حفيد الأشراف العباسيين الذين أسسوا مملكة الأشراف في كردفان وتخوم النيل الأبيض، وقد نال قدرًا من التعليم الديني وخرج سائحًا بهدف نشر الدعوة الإسلامية وذلك ابتغاء لوجه الله تعالى، جبال تقلي ومنذ عام أربعمائة مضت في العام 1530م وصل الفقير العربي الشريفي النسب يدعى «محمد الجعلي» في رحلة دينية وجد مملكة بدائية عليها الملك كبر كبر وبالتزاوج حكم أحفاده مملكة تقلي وصارت صاحبة نفوذ وسلطان في القرن الثامن عشر والتاسع عشر أصبحت مملكة مشهورة في شمال السودان وإفريقية جنوب الصحراء.

من القضايا التي ركز عليها المستشرق البريطاني توماس أرنولد في كتابه الدعوة للإسلام هي صورة الداعية الإسلامي والتي ذكر بأنها سبب مهم في نشر الإسلام في إفريقية ويقول: كان الداعية المسلم يقوم بأعمال تنطوي على الرقة والأناة في سبيل نشر دعوته.[1] فإن الداعية يغلب عليه زيه النظيف وعمامته البيضاء التي تعلو رأسه ويرتدي الجبة والقفطان أو الثوب الفضفاض ويمسك بمسبحته الطويلة ويقدم نموذجًا جيدًا في سلوكه وتعامله، لا يغش ولا يكذب، ولا يظهر اهتمامًا للمال ولا الدنيا ولا ينافسهم عليها، ويحادث الأهالي حديث القلب للقلب ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم وينسجم في مجتمعهم ويحدثهم عن عظمة الإنسان واحترامه وحقوقه، ومصاهرتهم ويأكل من زادهم حتى يثقوا به لكريم خصاله والتزامه بدينه ودعوته بالتي هي أحسن لدين الإسلام، كان هذا وصفًا مقربًا لسلوك الشيخ محمد الجعلي وحواره أبو حامة حيث قدما النموذج والقدوة الحسنة التي جعلت أهل تلك الأصقاع يدخلون في دين الله أفواجًا.

وفي مقابلة أجريتها مع عمدة قبيلة المابان سليم جان الذي كان في مدينة الروصيرص ذكر أن سائحًا عالمًا يدعى أحمد العركي زار ديار المابان واستقر بينهم وتزوج منهم وكان داعية إسلاميًا وحده أدخل عددًا كبيرًا من المابان الوثنيين في الإسلام حتى تحول اسم القرية التي سكنها وأصبحت تعرف باسم أحمد شطة،[2] وتكثر الأمثلة في هجرة المتصوفة وإعطائهم الاجتماعي في خدمة الدعوة الإسلامية وتقديمهم المثال الحي للمسلم الحق، بذات القدر كان دور الفقيه محمد الجعلي في ديار تقلي.

(1) عبد الباقي محمد كبير، انتشار الإسلام في إفريقيا بأقلام أوروبية، أوراق المؤتمر الدولي للإسلام في إفريقية، جامعة إفريقية العالمية، الخرطوم،2006، المجلد رقم 13، ص 638.

(2) مقابلة مع العمدة سليم جان عمدة قبيلة المابان، الروصيرص، 2009م، أجراها البشير أحمد محيي الدين.

النفوذ الديني في تقلي

ارتبطت مملكة تقلي بالدين الإسلامي، فهو العامل الرئيس في ظهورها كمملكة وارتبطت به ارتباط الغواص بالأنبوب، فالإسلام كان المحرك الأساسي للتطور الاجتماعي والسياسي، فقد انتشرت برعاية المكوك وتشجيعهم الخلاوي ونقابات القرآن الكريم في كل القرى وبل في كل البيوت.

وللخلوة رسالتان هما: العبادة والدراسة، ويخلف شيخ الخلوة أبناؤه ولم يقتصر التعليم وتحفيظ القرآن الكريم على الرجال بل امتد إلى النساء، فكان أن تخرج عدد من الحافظات اللاتي أسهمن في تطوير مجتمعاتهن وبذلك سبقت مملكة تقلي كل أرجاء السودان في التعليم الديني للمرأة.

لقد حظيت الطرق الصوفية بمحبة خاصة في نفوس التقلاويين، وخصوصًا الطريقة القادرية والسمانية اللتين لهما أتباع كثر مع وجود كل الطرق الصوفية السودانية.[1]

كان مفهوم الهجرة للعمل في نشر الدعوة امتدادًا لعادة رجال الدين في ذلك الوقت، فكان من يحفظ القرآن ويدرس الفقه ويصل مرحلة من التعليم والسلوك الديني يؤذن له بالهجرة بعيدًا للعمل على فتح خلاويه ونشر الدعوة وسط القبائل السودانية التي كانت تدين بأديان إفريقية محلية أو طوطمية فكثرت ظاهرة الهجرة والخروج في سبيل الله في بداية حكم الفونج في سنار العام 1504م.

الشيخ محمد الجعلي هذا كان فقيرًا داعية إلى دين الله، وكان على قدرٍ من العلم والمعرفة والزهد وعدم الرغبة في تأسيس ملك أو حيازة الأرض بقدر ما كان همه نشر راية لا إله إلا الله.

وكان الشيخ محمد الجعلي وحواره أبو حايمة قد تجولا في ربوع كردفان سائحين يدعوان لدين الله ويتخيران المناطق لإقامتهم والبدء في نشاطهما التبشيري، وكان هدفهما المجتمعات الوثنية ليحدثا فيها تغيرًا حقيقيًّا، وبعد جولة طويلة كانت مضارب التقلاويين تمثل لهما ما يبحثان عنه حيث إن المجتمع المسالم والأديان المحلية والكجور والخرافات التي تحكم هذه المجموعة البشرية، فوجدا ضالتهما وما كانا يبحثان عنه لبدء أعمالهم وإدخال الناس في دين الله أفواجًا.

فلم يجدا مانعًا من استقرارهم بين النوبة في الجبال الشرقية وطاب لهم المقام

(1) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، تاريخ مملكة تقلي الإسلامية، المركز الإسلامي الإفريقي للدراسات والبحوث، جامعة إفريقية العالمية، الخرطوم، 1994م، ص14.

بين التقلاويين، مما جعلهما محط أنظار الجميع لما امتازا به من ورع وتدين أكسبهما التقدير والاحترام من الملك إلى سائر الرعية في جبال تقلي وما جاورها، وطارت في الآفاق شهرتهم وأدخلا الدين واللغة في مجتمع التقلاويين في كراية وطاسين وجولية.

كانت مملكة تقلي تمثل السودان المصغر في عاداتها وتقاليدها وأسلوب حياتها واجتماع كل أطياف أهل السودان في مملكة تقلي الإسلامية ويطلق على شيوخ الطرق الصوفية في مملكة تقلي لقب (أهل الجاه)(1) تقديرًا وعرفانًا لدورهم الحيوي في تثبيت المملكة وإسنادهم الروحي للمكوك، وكان مكوك تقلي كلهم يقتطعون الأرض لأهل الجاه والشيوخ من كل الطرق الصوفية ويعطونهم العطايا من أجل أن يعملوا في نشر الإسلام وسط أهالي تقلي والجبال المجاورة حتى أطلق على المملكة مملكة تقلي الإسلامية، خصوصًا في عهد الملك ناصر الذي كان حازمًا وقوي المراس والذي بفضله عرفت مملكة تقلي بأنها من الدويلات الإسلامية في السودان وحملت مملكة تقلي الإسلامية هذا اللقب وفازت به من غيرها من الممالك، فلازم اسمها وكشف عن سبب قيامها.

وقد قامت مملكة تقلي على نشرها للدعوة الإسلامية فكانت وظيفتها الأساسية والتي قامت عليها هي نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد النوبة، لذلك اهتم مكوك تقلي بتوفير البيئة الجاذبة لشيوخ ورجالات الطرق الصوفية والدعاة، وتقديم ما يمكن أن يجذبهم للاستقرار في تلك المنطقة النائية من جبال النوبة.

نشر الدعوة الإسلامية في جبال النوبة الشرقية

إن الفقيه محمد ود أحمد ود المنعم الرباطابي ومعه حواره أبو حايمة بعدما استقر به المقام في جبال تقلي في جبال النوبة الشرقية لاحظا أن سكان الجبال الوثنيين في ذلك الزمن البعيد في العام 1530م يقدمون قرابين لثعبان ضخم يدعى (شبضري) على اعتبار أنه سيد الجبل وإلهه، ويختارون أجمل فتياتهم ويوثقونها بالحبال وتوضع على بئر بالقرب من الجبل الذي فيه الثعبان، فقام الفقيه وحواره بتتبع السكان والتربص بالثعبان وفور خروجه قتلاه بسيوفهما وفكا وثاق الفتاة، فخاف السكان من ثورة الثعبان وحبسوهما حتى تأكدوا أنه حيوان بفضل دعوتهم الناس إلى عبادة الله وتم تزويجهما من التقلاوريين واندمجا في المجتمع(2) وكسبا وده.

الشيخ محمد الجعلي تزوج ابنة الملك سكدرنج، وحواره أبو حايمة تزوج ابنة

---

(1) مقابلة مع شرف الدين حاج أحمد، حفيد الملك آدم أم دبالو، الخرطوم 1 نونيو2020م.

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص23.

كريني ود كدلي ود سكرنج، فأنجب الرباطابي ابنًا أسماه عمر أبو جريد، وأنجب أبو حايمة ولدًا فسماه أحمد وكُني بعجاج، وبعد وفاة الفقيه محمد والملك سكدرنج تم اختيارهما ضمن مجموعة الشباب المرشحين لتولي مكوكية تقلاور وكان الاختيار عن طريق الكجورية التي تملك طائرًا مقدسًا عند النوبة في ذلك الوقت فمن يحط عليه يصبح الملك بعد الملك الميت، فنزل الطائر على أبو جريدة ورفض وأعيد فنزل على أبو جريدة وفي الثالثة لم يجدوا بدًّا من القبول به كمك على تقلي.[1]

الفقراء الأوتاد في تقلي

وهؤلاء من كبار رجال الجاه وشيوخ الطرق الصوفية في المملكة، ويقومون بتلاوة القرآن وتدريسه وتعليم الصغار، ويكرمون من قبل الملك والأعيان وهم أهل حظوة وشرف، يطلق عليهم أهل الجاه ومعهم فقراء الأوتاد وهم المشايخ الكبار الذين يقدمون الفتوى كما جاء بها الشرع وأطلق عليهم الأوتاد أي الركائز التي تقوم عليها المملكة.

فقراء تلاوة القرآن ويطلق هذا الاسم على الفقراء الذين يتلون القرآن، ويقومون بتلاوة القرآن في الاحتفالات ومجالس الملك والأعيان كما يقومون بتلاوة الأوراد.

فقراء القضاء وأشهرهم ميرغني ود تميم وهم من يصدرون الأحكام القضائية، ويستند القضاء في مملكة تقلي إلى التشريع الإسلامي على مذهب الإمام مالك.

نسب المكوك مع رجالات الطرق الصوفية

زار الشيخ برير ود الحسين (راجل شبشة) مملكة تقلي وفي طاسين التقى بالملك ناصر وكثرت زياراته له فأعجب به وبطريقته السمانية فأكرمه الملك ناصر، تزوج الشيخ برير ود الحسين حواء عجبت بت الملك ناصر وأنجبت الشيخ الطيب والشيخ التوم والشيخ النور ولا تزال للسمانية من أتباع الشيخ برير ود الحسين العديد من الأتباع، وكان الشيخ برير ود الحسين خلال زياراته المتعددة إلى تقلي معتكفًا في (غار درة) ومعه تلميذه وحواره الشيخ والمادح سايرين[2] فاستقر عابدًا وداعيًا في تلك الجهات وقد انتظم عدد من شيوخ المنطقة في سلك السمانية على يديه، منهم الشيخ البصيري الذي له أتباع كثر.

كما تزوج الفقيه ود الترابي بنت الملك محمد وأنجب منها الفقيه محمد الخمال الذي بقي مع جده الملك محمد، وكان قد زار تقلي ومكث فيها ردحًا من الزمان كداعية وسائح وافتتح خلوة له وبعد فترة عاد للجزيرة.

(1) عبد القادر محمد غبد القادر دورة، تاريخ مملكة تقلي، مرجع سبق ذكره، ص24.

(2) مقابلة مع خالد حاج أحمد، حفيد الملك آدم م دبالو، الخرطوم 1/6/2020م، موضوع المقابلة (الصوفيه في تقلي).

الفقيـه محمـد بـن حجـازي جـاء عـن طريـق الأبيـض وتـرك شـقيقة الفـكي دليـل وهـو مـن المحـس، الفقيـه إدريـس أبـو فركـة تـزوج مـن تقـلي ومـن ذريتـه أبـو كـمال والفقيهتـاج الديـن والفقيـه يونـس والشـيخ النـور ولا تـزال آثارهـم في البديريـة وأبـو دوم وانصهـروا مـع خشـم بـين الرونـد وقـاب التقـلاوي وترجـع أصولهـم إلى المحـس.[1]

الفقيـه مختـار بـن عنابـة الـذي وفـد إلى تقـلي في عهـد المـك محمـد بـن جيـلي أبـو قـرون وعمـل الفقيـه مختـار في نـشر الدعـوة الإسـلامية في جبـال ويـرني وتكـم وتكـر واللبـاد ودخـل جمـع غفـير مـن أهـل تلـك الجهـات في الإسـلام وأسـس خلـوة كبـيرة لا تـزال مـن أعـرق خـلاوي تقـلي.

كـما أن الفقيـه عبـد الرحيـم ود عبـد الصمـد دخـل تقـلي في عهـد المـك إسـماعيل الـذي أكرمـه وكان قـد دخـل معـه أخـوه شرف الديـن وبـدوي أب شـنب ونـشروا الإسـلام وهـم مـن الأشراف الحسـينين الذيـن أثـروا السـاحة الدعويـة في السـودان، اسـتقر الفقيـه عبـد الرحيـم أب صفيـة في جبـل كـورو شـمال شرق كلوقـي ورجـع بعـد خلـوة عـام إلى الأبيـض وتـرك أخـاه الفقيـه شرف الديـن الـذي تـزوج أم كلثـوم بنـت المـك إسـماعيل وصاهـروا أيضًـا خشـم بيـت الجزيـراب وقطـع لهـم المـك محمـد بـن المـك جيـلي أبـو قـرون جبـل تـره بأراضيـه وقراهـم تلـة وكـره.[2]

الشـيخ أم ود أم رشـاش ودخل في زمن المكجيلي أبو قرون وهو من افتتح خلاوي القادرية في عـدد مـن قـرى تقـلي حتـى صـارت أكـبر الطـرق الصوفيـة في تقـلي ودخـل الشـيخ بريـر ود الحسـين راجـل شبشـة في زمـن المـك نـاصر وتـزوج عجبـت بنـت المـك نـاصر وأنجـب مـن إسـماعيل الذي أسـس خلاوي الطريقة السـمانية في تقلي وخلفه ابنه برير في الطرقة السـمانية.

كـما دخـل الشـيخ محمـد نجـر وافتتـح خـلاوي التجانيـة في تقـلي بقريـة أم شـطور وكـما قـام الشـيخ ود الأفنـدي بفتـح خـلاوي الختميـة وكان قـد أخـذ الطريـق مـن يـد السـيد محمـد عثـمان الميرغنـي الكبـير.

وقـد جـاء في الأثـر أن الشـيخ تـاج الديـن البهـاري قـام بزيـارة لديـار تقـلي ومكـث فيهـا فـترة مـن الزمـان سـائحًا في رحلـة تدعـى الخـروج في سـبيل اللـه، فأسـلم عـلى يـده أنـاس كـثر فأعطاهـم الطريقـة وبايعـوه وكان أول مـن نـشر الطريقـة القادريـة في جبـال تقـلي ولم يسـتقر فيهـا وقفـل راجعًـا إلى سـنار.

(1) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص 35.

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص 37.

إضافة إلى القادرية من أحفاد الشيخ يوسف أب شرا والشيخ فرح ود تكتوك الذي قيل إن أمه من جبال تكم[1] ويشير مخطوط الشريف يوسف الهندي إلى ما ينسب إلى الشيخ فرح أن أم الشيخ فرح من جبل برين جنوب تقلي وتسكنه تكم ويقول الشيخ فرح

أنـــــــــــا فرح	وأمـــــــــي تكم تكيم
الكافـــــــــر العجمي	يــــــا إلهي أنقذ تكيم
مـــــــن نار الجحيم	واسكنهم جنات النعيم[2]

نسب مكوك تقلي

لم تختلف الروايات التي تتحدث عن نسب مكوك تقلي إلا في أجزاء صغيرة في شجرة نسب مكوك تقلي، فقد كتب الطاهر بن الحاج آدم جيلي عن أنساب ملوك تقلي التي تعود إلى المجموعة الجعلية العباسية في السودان، وذكر أن أصول ملوك مملكة تقلي الإسلامية التي أسسها الشيخ جيلي أبو جريد والذي هو جيلي أبو جردة بن محمد بن سرور أحمد بن عبد المنعم بن دياب بن منصور بن جمع (جد الجموعية) بن الأمير غانم بن حمدان بن صبح أبو مرخة (جد المجموعة الجعلية في السودان دفن بالعرشكول شمال الدويم وغرب شبشة) بن سرار بن مسمار بن بن كردم (وهو الذي أطلق عليه اسم كردمان أو كردفال وحرفت إلى كردفان) وأسس مملكة الجعليين العباسيين الشهيرة، منهم خرج الأمير محمد الجعلي ووصل للجبال الشرقية وبفضله أعيدت صيغة حكم مملكة تقلي لتتحول إلى مملكة إسلامية ذات تأثير وسمعة طيبة بين الممالك الإسلامية في السودان.

شجرة نسب مكوك تقلي

أما شجرة نسب الشيخ محمد الجعلي كالآتي: فهو محمد بن سرور بن أحمد بن إدريس بن عبد المنعم الملقب برباط بن ضياب بن جموع بن منصور بن الأمير جموع بن الأمير غانم بن الأمير حميدان بن الأمير صبح أبو مرخة (مدفون في العرشكول وجد المجموعة الجعلية في السودان) بن الأمير مسمار بن الأمير سرار بن السلطان حسن كردم (مؤسس مملكة الأشراف العباسيين) بن الأمير أبو الديس بن الأمير قضاعة بن الأمير عبد الله بن مسروق.[3]

---

(1) الطيب محمد الطيب، الشيخ فرح ود تكتوك حلال المشبوك، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية، جامعة الخرطوم، بدون تاريخ نشر، ص 42.

(2) الطيب محمد الطيب، الشيخ فرح ود تكتوك حلال المشبوك، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، ص42.

(3) أر. جي. اليس، مملكة تقلي، مجلة السودان في رسائل ودونات، العدد XVII،1935م، ص34.

أما نسب الشريف الفقيه محمد الجعلي وهو محمد بن سرور بن أحمد بن إدريس بن عبد المنعم الملقب برباط بن ضياب بن جموع بن منصور بن الأمير جموع بن الأمير غانم بن الأمير حميدان بن الأمير صبح (الملقب بصبح أبو مرخة المدفون في العرشكول) بن الأمير حميدان بن الأمير مسمار بن الأمير سرار بن السلطان حسن كردم بن الأمير أبو الديس بن الأمير قضاعة بن الأمير عبد الله بن الأمير مسروق بن الأمير أحمد بن إبراهيم جعل.[1]

أما المستر أر. جي وليس فيقول عن نسب مكوك تقلي وعلاقتهم بالجموعية وأخذ هذا النسب من الحاج الطاهر بن المك آدم أم دبالو، وجاء فيه أن نسبهم يعود إلى جد المجموعة الجعلية ويبتدئ محمد الجعلي بن أحمد بن عبد المنعم بن دياب بن منصور بن جموع بن غانم بن حمدان بن صبح أبو مرخة بن مسمار بن سرار بن كردم.

رواية الأستاذ عبد القادر محمد عبد القادر دورة بخصوص أنساب مكوك تقلي وأهالي تقلي والتي ابتدأها من المك علي بن المك آدم أم دبالو، وذكر أنه المك علي بن المك آدم بن المك عمر بن المك أبكر بن المك إسماعيل بن المك محمد الفونجاوي نسبة لأمه أم عجايب شيلة (شيلة أم عجائب) الفونجاوية بن المك جيلي أبو قرون بن المك جيلي عمارة بن المك جيلي عون الله بن المك إسماعيل سابو بن المك جيلي عمر (أبو جريدة) وسمي أيضًا سكرانج نسبة لأمه بنت المك سكرانج بن محمد الجعلي بن سرور بن أحمد بن إدريس بن عبد المنعم الملقب برباط وهو ابن المك دياب بن المك منصور بن المك جموح بن المك غانم بن حميدان بن صبح أبو مرخة (المدفون بجبل العرشكول) بن مطر بن المك كردم بن قضاعة بن عبد الله الشهير بحرقان بن مسروق بن أحمد اليماني بن إبراهيم الجعلي بن إدريس بن الماطل بن ياطل بن ذي الكلاع الحيمري بن سعد الأنصاري بن الفضل بن العباس.[2]

أما أحفاد محمد الجعلي هم جيلي أبو جريدة الذي اشتهر باسم سكرانج وهو (أول مك لتقلي) ولده المك صابر وهو (المك الثاني) وخلفه المك جيلي عمارة بن المك سابو وهو (المك الثالث) وخلفه ابن المك سابو المك عمر أبو شريعة وهو (المك الرابع) وخلفه المك جيلي عون الله بن المك عمارة وهو (المك الخامس) وخلفه المك جيلي أبو قرون بن المك جيلي عون الله وهو (المك السادس) وخلفه ابنه المك محمد بن المك جيلي أبو قرون وهو (المك السابع) وخلفه أخوه المك عمر أبو زنتر

(1) موقع النسابون العرب، نسب محمد الجعلي مؤسس مملكة تقلي الإسلامية.

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، 10.

بـن المـك جيـلي أبـو قـرون وهـو (المـك الثامـن) وخلفـه المـك إسـماعيل بـن المـك محمـد بـن المـك جيـلي أبـو قـرون وهـو (المـك التاسـع) وخلفـه ابنـه المـك أبكـر بـن المـك إسـماعيل بـن المـك محمـد وهـو (المـك العـاشر) وخلفـه ابنـه المـك عمـر بـن المـك أبكـر وهـو (المـك الحـادي عـشر) وانتـزع منـه السـلطة المـك مريـود وهـو (المـك الثـاني عـشر) وهـو أخ المـك أبكـر وخلـع مـن الحكـم وولي المـك أحمـد بـن المـك إسـماعيل (وهـو المـك الثالـث عـشر) وخلفـه المـك نـاصر بـن المـك أبكـر وهـو (المـك الرابـع عـشر) وانقلـب عليـه المـك آدم أم دبالـو وهـو المـك (الخامـس عـشر) وخلفـه المـك عـلي بـن المـك آدم أم دبالـو وهـو (المـك السـادس عـشر) وخلفـه أخـوه المـك جيـلي بـن المـك آدم أم دبالـو وهـو (المـك السـابع عـشر) وخلفـه المـك أبكـر بـن المـك جيـلي بـن المـك آدم أم دبالـو وهـو (المـك الثامـن عـشر) وخلفـه أخـوه المـك آدم بـن المـك جيـلي بـن المـك آدم أم دبالـو وهـو (المـك التاسـع عـشر).[1]

وقـد اختلـف الـرواة في أن نسـب محمـد الجعـلي تعـود إلى الرباطـاب أو الجموعيـة، لكـن الثابـت أن الفقيـه محمـد الجعـلي سـليل الدوحـة العباسـية وأنـه مـن الأشراف، وأن أحفـاده قـد أطلـق عليهـم العبابسـة، والعبابسـة قبيلـة مـن المجموعـة الجعليـة، اسـتقرت في جبـال النوبـة وصاهروهـم واختلطـوا بهـم، وهـم مكـوك جبـال تقـلي وموطنهـم العباسـية تقـلي واشـتق اسـم العباسـية مـن اسـم العبابسـة وهـي عاصمـة مملكـة تقـلي الإسـلامية.

كـما أن العبابسـة فـرع مـن الأشراف العباسـيين اسـتقروا في أرض الرباطـاب في مقـرات وأبـو حمـد ونـدي والتـكاكي، يرجـع نسـبهم إلى الشريـف شرف الديـن بـن يعقـوب الملقـب بـأبي العبـاس. مـن فـروع العبابسـة الحمـداب بمقـرات والهاديـاب في مقـرات ونهـر عطـبرة والحراديـد في منطقـة الزيـداب وود العبـاس قـرب سـنار ودونتـاي وقريـة الدبيبـة شرق سـنجة والحـماراب في الزيـداب والحطاطيـب بالقضـارف والـزرق في مقـرات ونهـر عطـبرة والفاضـلاب شرق الدامـر الشـمخية والحسـناب والسنوسـاب في أراضي المناصـير.[2]

ونتيجـة لهـذا التصاهـر والتنـوع العرقـي أصبحـت مملكـة تقـلي منيعـة واسـتطاعت أن تحافـظ عـلى اسـتقلالها السـياسي وتمكـن المكـوك مـن الحفاظ عـلى ملكهـم في أحلـك الفـترات التاريخيـة في السـودان حيـث سـقطت أغلـب الممالـك السـودانية في قبضـة الاحتـلال الـتركي المـصري بينـما حافظـت تقـلي عـلى اسـتقلالها السـياسي.

كانـت لمملكـة تقـلي نظـم إداريـة معروفـة إلى وقـت قريـب جـدًّا لإدارة شـئون المواطنـين والحكـم، مـن أهـم النظـم والأعـراف بمـا يتعلـق بإنشـاء المحاكـم والقضـاة، والتحالفـات مـع

(1) أر. جي. وليس، مملكة تقلي، مجلة السودان في رسائل ومدونات، مرجع سبق ذكره، ص34.

(2) البشير أحمد محيي الدين، قبائل السودان فسيفساء الوحدة الوطنية، بحث غير منشور، الخرطوم، ص 67.

جيران المملكة والقبائل القاطنة والعابرة، كما هناك صيغ تحكم الأفراد أو الجماعات الوافدة للعيش داخلها.

ويورد الدكتور عمر شركيان في مقالته عن مملكة تقلي ما نصه (أصبحت العائلة المالكة أرستقراطيًّا لا يستطيع أحد أن يتطاول عليها، ولم يخلُ نظام الحكم من القسوة المفرطة. وقد قيل إنَّ زبانية الملك ناصر كانوا يلقون بالمعارضين السِّياسيين في دوكة حجريَّة تحتوي على زيت ساخن بعدما تصل درجة الغليان وذلك بعد منتصف النَّهار، أي في وقت الهجيرة. ونتيجة لهذا الرُّعب، هرب كثيرون من رعايا الملك إلى خارج المملكة).[1]

(1) http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=292:b_3cA23& catid=52&Itemid=55 د. عمر مصطفى شركيان/ نشر في 2 يناير 2009

الفصل الثالث

أعمال مكوك مملكة تقلي

حكـم مملكـة تقـلي الإسـلامية تسـعة عـشر مـكًّا مـن ذريـة الشـيخ محمـد الجموعـي الجعـلي، واسـتمر حكمهـم مـن العـام 1530 إلى العـام 1844م مـن المـك جيـلي أبـو جريـد إلى المـك آدم النيـل بـن المـك جيـلي مصطفـى بـن المـك آدم أم دبالـو، اسـتمرت المملكـة محتفظـة بتماسـكها السـياسي واسـتقلالها، مـع بـروز فـترات وهـن وصراع داخـل الأسرة الحاكمـة والـذي غالبًـا مـا يتـم احتـواؤه بالشـورى في المجالـس المختلفـة في المملكـة مثـل مجلـس الأرابيـب ومجلـس الأعيـان وأهـل الطاقيـة وأهـل الجـاه وغيرهـا مـن مؤسسـات الحكـم في مملكـة تقـلي الإسـلامية.

المك الأول: المك أبو جريد بن محمد الجعلي 1560-1585م

أطلـق عليـه لقـب أبـو جريـد وهـو ابـن الشـيخ محمـد الجعـلي، وجـده لأمـه المـك كـبر كـبر، نشـأ في بيـت علـم وديـن حيـث كان أبـوه داعيـة إسـلاميًّا، أطلـق عليـه هـذا اللقـب لأن عظـام يـده عبـارة عـن وحـدة واحـدة مـا يكسـب صاحبهـا قـوة، نشـأ جيـلي أبـو جريـد في بيـت ديـن وعلـم وثقافـة، فشـب عـن الطـوق مختلفًـا عـن أقرانـه، فقـد حفـظ القـرآن الكريـم ودرس الفقـه والعلـوم الشرعيـة عـلى يـد والـده وحـواره أبـو حامـة وكان يشـاهد طريقتهـما في الدعـوة لديـن اللـه وسـياحتهما في الجبـال والفرقـان وهـما يقدمـان النمـوذج الأمثـل، عـلاوة عـلى أن الفقيـه محمـد الجعـلي صهـر المـك كـبر قـد زاد مـن توقـيره واحترامـه وجعلـت كلمتـه مسـموعة لـدى الأهـالي.

بعـد وفـاة المـك كـبر كـبر كان لا بـد مـن اختيـار خليفـة له، فتـم اختيـار جيلي أبـو جريدة والـذي حكـم من سـنة 1560 إلى 1585م واسـتمر حكمه لمدة 25 سـنة، المك جيـلي أبو جريدة سـار عـلى نهـج والـده داعيًـا لديـن اللـه، لذلـك لم يحـط حكمـه بأبهـة السـلاطين والمكـوك وعظمتهـم، بـل كان يبـدو كداعيـة لديـن اللـه أكـثر منه مـكًّا على الرغـم من أنه المسـئول عن حكـم المملكـة ولم يصـارع الأهـالي في أسـبارهم وعاداتهم، بل اسـتمر يدعوهم لاعتناق الإسـلام وفي عهـده ازدهـرت المملكـة ووفـد عليهـا رجـالات الطـرق الصوفيـة المشـهورون في زمانـه.

أول أعـمال المـك جيـلي أبـو جريـدة أنـه نقـل العاصمـة من قريـة تقـلاور إلى قريـة الهوي

وشيد لنفسه مسجدًا وبنى حوشًا كبيرًا في قرية الهوي، كما قام بافتتاح خلوة لتحفيظ القرآن ودراسة الفقه المالكي واستجلب لها الفقهاء من خارج المملكة، كما أن المك جيلي أبو جريدة اهتم بتوفير الخدمات، فحفر حفيرة كبيرة في قرية الهوي وأصبح حوش المك أبو جريدة بعد وفاته بمثابة المقبرة الملكية لمكوك تقلي الإسلامية، حيث دفن فيها أغلب مكوك تقلي وبعد وفاته خلفه ابنه صابر (سابو) والذي استمر على نهج والده وجده.

المك الثاني: المك سابو بن المك أبو جريدة 1585-1597م

خلف والده المك أبو جريدة في حكم مملكة تقلي وحكم من العام 1585 إلى 1595- 1597م واستمر حكمه لمدة 12 عامًا، ولعل أبرز أعماله هو نقل العاصمة من قرية الهوي إلى قرية تعودم، والتي تقع على بعد 30 ميلًا اتجاه الغرب. هناك استمر في نشر الإسلام وتوسيع مملكته، وقد نقل عصا السلطة إلى ابنيه جيلي عمارة وعمر أبو شهيرة، وحفيده جيلي عون اللّه، الذين حكموا المملكة على التَّوالي. فلما أتته المنيَّة تم دفنه في حوش أبو جريدة في الهوي، الذي أصبح مقبرة أقاربهم ووزرائهم.

في عهد المك سابو أصبح الإسلام هو العامل الأساس في تكوين وبقاء هذه المملكة وتم توسيع رقعة السلطنة واستضافت الشيوخ من الطرق الصوفية الذين فتحوا خلاوي ومساجد وكسبوا أتباعًا مخلصين، وبفضل علمه وثقافته الواسعة انتشر الإسلام وأصبحت اللغة العربية هي لغة علية القوم وتوسعت توسعًا كبيرًا وتسيدت على جميع اللهجات المحلية وأصبحت لغة نشاطات الحياة في جبال النوبة. ودخل تقلي العلماء ورجال الدين والتجار والمغامرون من خارج جبال النوبة لما اشتهرت به من كرم وحسن ضيافة لأهل العلم.

عاصرت مملكة تقلي العصر الأول لدخول العرب السُّودان وانتشار الدعوة الإسلامية. ولا غرو أنَّ ملوك الفونج تكفَّلوا برعاية رجالات الدِّين وأُرسل بعضهم من سنَّار إلى جميع أصقاع السُّودان لنشر الدَّعوة وهكذا وفد جزء منهم إلى تقلي. وكان أعظم من حضر إلى تقلي بغرض التَّبشير والتِّجارة هما حسن ود حسونة وتاج الدِّين البهاري في القرن السَّابع عشر الميلادي.

وكان مك تقلي يخصِّص منطقة يقطنها السكان الذين هم على دين آبائهم لأحد الدعاة من رجالات الطرق الصوفية ولا يسمح لرجال الدين بالتنافس فيما بينهم، بل يجعل لهم مناطق محددة وهذا ما جعل تقلي منطقة غنية ومتنوعة في طرقها الصوفية مع ملاحظة كثرتها وارتفاع أعداد المحبين فيها. كما تزوج شيوخ الطرق الصوفية

والدعاة من النوبة وظهر للوجود جيل هجين مؤمن بقضية نشر الدعوة وضرورة توسيع رقعتها الجغرافية وينافح للتصدي للوثنية دونما أن يصطدم بالمجتمعات، بل يقدم القدوة الحميدة والعمل الطيب مما زاد من رقعة المملكة وزاد من تماسكها السياسي.

الهجرات العربية إلى مملكة تقلي كانت أيضًا من أجل التجارة والرعي والسكنى والتوسع، حيث إن السودان كله وقتها كان يشهد هجرات داخلية أو وافدة إليه من الخارج، وقد وفر موقع تقلي المميز مزايا تجارية بين شمال وجنوب السودان في كاكا التجارية وفشودة والنيل الأبيض، ووفر شمال كردفان سوقًا رائجًا ورابحًا استقطب العديد من المهاجرين الذين رحبت بهم مملكة تقلي.

كما أن بعض تجار الرقيق الذين أُطلق عليهم (النهاضة) جزء منهم في مراحل تاريخية قد قصد المنطقة مبتغيًا تجارة العاج والرقيق التي كانت ترد من بعض المناطق في جبال النوبة ومن جنوب السودان، وقد شكلت مملكة تقلي باستقلالها ونفوذها القوي ملجأ للعديد من الهاربين من العدالة في سلطنة سنار وقدمت لهم المأوى. وقد ساهم كلهم، بتمازجهم العرقي هذا، على تعزيز سلطة مكوك مملكة تقلي وتنوع مصادر دخلها مما حسن وقوى من اقتصادها وجعلها قبلة للعلماء والتجار إضافة إلى أن الوافدين عمدوا إلى ترقية أنظمة وعادات الحكم وأدخلوا طقوسًا سياسية عند تنصيب المك الجديد وغيرها مما أسهم في تغيير شكل الحكم والعادات والتقاليد السياسية آنذاك.

المك الثالث: المك جيلي عمارة بن المك صابر 1625-1668

وهو ابن المك صابر تسلم سدة الحكم من العام 1625 إلى العام 1668 وعمر في الحكم، اتصف بالعدل وكانت مملكة تقلي مستقرة في عهده.

واصل في نشر الدعوة والاهتمام برجال الدين وتكريم العلماء كحال أبيه وجده المكوك الأوائل واتسعت مملكة تقلي في عهده، في عهده حاول المسبعات غزو تقلي فصدهم وكان محبوبًا بين رعيته واتصف بالعدل وتشجيع مواطنيه على العمل، استقر في طاسين التي اشتق اسمها من حروف القرآن وأصبحت عاصمته.

المك الرابع: المك عمر أبو شهيرة بن صابر 1623 -1626م

وهو شقيق المك جيلي عمارة وابن المك الثاني المك سابو بن المك جيلي أبو جريدة، استمر في سدة الحكم لمدة عام واحد وتوفي وخلفه المك جيلي عون الله، توفي في العام 1626م.

الملك الخامس: جيلي عون الله بن عمارة 1626-1640م

الملك جيلي عون الله هو حفيد الملك صابر والملك أبو جريد بن محمد الجعلي الشريفي، وصل إلى سدة الملك في مملكة تقلي في القرن السابع عشر، وقام بضم عدة جبال كانت تتبع لسلطة الفونج، وكان الفونج هم من يعينون مكوكها، قام بضمها إلى مملكة تقلي وبذلك كسب مساحات جديدة وأسهم في نشر الدعوة الإسلامية وبالتالي توسيع نطاق سلطتهم، وإخضاع أكثر من جبل إليهم.

كما شجع الملك جيلي عون الله التزاوج بين القادمين إلى مملكة تقلي والسكان الأصليين وذلك بهدف تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي بين الأهالي والوافدين إليهم في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ مملكة تقلي الإسلامية.

اشتهر الملك جيلي عون الله بن الملك عمارة بقوته وقدرته على تنفيذ رغائبه، فضم كلًّا من جبال الرشاد تقوي وقدير إلى مملكة تقلي، وفي عهده كثر الوافدون إلى تقلي وتزاوجوا مع سكانها وافتتحت العديد من الخلاوي ومراكز الدعوة في الجهات البعيدة مستفيدين من قوة المملكة وحزم سلطانها الملك جيلي عون الله.

عمد الملك جيلي عون الله إلى محاربة تجار الرقيق النهاضة وشن عليهم غارات لمنع أنشطتهم القذرة وشجع العمل التجاري واستضاف الهاربين من سلطة سلطان سنار.(1)

واستفاد الملك جيلي عون الله من القادمين والوافدين لبلاده من خبرتهم في تطوير الزراعة وأنظمة الحكم في مملكة تقلي مما زاد من نفوذه كحاكم قوي العزيمة وصعب المراس، في عهده حاول المسبعات غزو مملكة تقلي، فدخل معهم في حروب انتهت بهزيمة المسبعات وتخلص من نفوذ الفونج على البلاط المكوكي في تقلي، وكان ملوك سنار هم من يعينون المكوك في بعض الجبال وقد كان ذلك في السابق من هذا التاريخ، وأخيراً أصبحت قدير وتقوي أعظم مقاطعتين للفونج في ذلك الزمان وتحولتا إلى تبعية مملكة تقلي بفضل جهود الملك جيلي عون الله الذي توفي العام 1640م.

الملك السادس: الملك جيلي أبو قرون بن الملك جيلي عون الله 1640-1668

توسعت مملكة تقلي وقويت شوكتها في عهد الملك جيلي أبو قرون الذي أظهر اهتمامًا خاصًّا بأمور نشر الدعوة الإسلامية وتحقيق العدالة والعمل على توعية إنسان المملكة حتى يقال إن المملكة أرست تقاليد راسخة فى الحكم والتمسك بمكارم الأخلاق.

(1)http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=292:b_3cA23&-catid=52&Itemid=552009 د. عمر مصطفى شركيان/2 يناير

حيث يذكر الرواة أنه عندما غزا ملك الفونج بادي الثاني المعروف ببادي أبو دقن مملكة تقلي وكانت تحت حكم جيلي أبو قرون «1640-1665»، كان القتال يستعر بينهما نهارًا ويخلد الجيشان إلى هدنة ليلًا، وكان جيلي أبو دقن يستغل الهدنة ليرسل موائد العشاء الحافلة إلى الجيش الغازي كل ليلة، لأنهم حسب العرف ضيوف يجب إكرامهم مهما كان، ولما عرف الفونج حقيقة الأمر أوقفوا الحرب وانسحبوا خجلًا من أن يقاتلوا قومًا هذه هي أخلاقهم.[1]

في عصر الملك جيلي أبو قرون خرج أمير فونجاوي من سنار يريد أن يصل إلى جبال شيبون ليؤسس مملكته هناك، إلا أن الأمير الفونجاوي المدعو عاليب بن عمر بن الملك بادي وصل إلى منطقة تادنك، وهناك استقر فيها، إلا أن عيون الملك جيلي أبو قرون أخبرته بوصول الأمير الفونجاوي، فأرسل إليه الملك جيلي أبو قرون وكانت عاصمته في في طاسين فوصله الأمير عاليب فقدم الملك جيلي أبو قرون أن يكرمه واقتطع له الأرض وأمده بالأموال مقابل أن يدخل النظم السلطانية في قصر الملك جيلي أبو قرون.[2]

كما حدث تصاهر بين الملك جيلي أبو قرون ود الملك جيلي عون الله حيث تزوج ابنة السلطان رباط بن بادي سلطان الفونج وكان اسمها أم عجائب (شلة أم عجائب) بنت عاليب بن عمر بن الملك بادي ورحلت إلى مملكة تقلي ووصل معها عدد من نساء الفونج وخدمها وأصبحت السيدة الأولى في مملكة تقلي. أعلنت الأرتية أم عجائب ابن ولدها محمد وهو إسماعيل بن الملك محمد بن الملك جيلي أبو قرون مكًّا على تقلي بدلًا من عمه الملك عمر أبو زنتر الذي لجأ إلى خئولته الفونج لدعمه في استرجاع سلطته.

الملك جيلي أبو قرون أقام تحالفًا مع مملكة الفونج للحد من نفوذ سلطنة دارفور التي كانت تطمع في بسط سيطرتها على إقليم كردفان.

الملك السابع: الملك محمد بن جيلي أبو قرون 1668-1702م

اعتبر الملك محمد بن الملك جيلي أبو قرون من أكثر مكوك تقلي حكمة، واستطاع أن يؤلف بين القبائل ويناهض تجار الرقيق ويدعم النسيج الاجتماعي في عهده حيث انتعشت التجارة ووجد الدعاة ورجال الطرق الصوفية فسحة من الأمر مكنتهم من ارتياد الجبال البعيدة بأمان.

(1) https://www.sudaress.com/alsahafa/26897lمملكة تقلي واقع يهدد شموخ الماضي

الصحافة السودانيةنشر في جريدة يوم 02 - 05 - 2011

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، تاريخ مملكة تقلي الإسلامية، المركز الإسلامي الإفريقي، جامعة إفريقية العالمية، السودان، 1994م، ص26.

والملك محمد والدته هي الأميرة الفنجاوية شلة أم عجائب، لذلك نشأ نوع من التواصل بين تقلي والفونج في عهده حيث قدم طائفة منهم إلى تقلي واستقروا فيها، من أبرز إنجازات الملك محمد هو نقل عاصمته إلى طاسين ونظمها وبنى فيها حوشًا كبيرًا له ولأهله من الأسرة الحاكمة بعد وفاة الملك محمد تولى الحكم أخوه الملك عمر أبو زنتير وأصبح الملك الثامن من سلالة الملك أبو جريد.

الملك الثامن: الملك عمارة أبو زنتير بن الملك جيلي أبو قرون 1702-1705م

كان الملك عمر أبو زنتير شابًّا عندما تولى الحكم، وكان باطشًا صعب المراس، أمه الأميرة شيلة أم عجائب ابنة السلطان بادي سلطان سلطنة الفونج تزوجها الملك جيلي أبو قرون ورحلت معه إلى تقلي وأنجبت عمر الملقب أبو زنتير وأخاه محمد الذي كان على عكسه تمامًا.

وبلغ في عهده القتل والسحل والنفي، وأصبح مجلس الأرابيب بلا عمل لاستبداده برأيه، فشكا الناس إلى أمه التي دبرت له مكيدة، فوضعت خنجرًا في طعامه في (قدح العصيدة) وبينما هو يأكل في (العصيدة) استخرج منها الخنجر، فعضب غضبًا شديدًا وأمر بإعدام 25 من حاشيته وطباخيه، فأعدموا فثار عليه الناس وخرجوا عن طاعته وكثر القتل في بلاده.

فقالت له أمه الأميرة الفونجاوية شلة أم عجائب: اذهب إلى سنار وسيمنحك أهلك وملك سنار جيشًا تؤدب به العصاة من أهل تقلي. فخرج قاصدًا سنار فأرسلت أمه إلى خاله سلطان سنار بأن إذا وصل ابنها الملك عمر أبو زنتير فلا يرجع إليها ويحبس في سنار.

وبعد سفره أعلنت ابنها الثاني محمد مكًّا على تقلي، فلما وصل الملك أبو زنتير وشرح مشكلته لسلطان سنار، وعده حسنًا وقال إن هناك تمردًا في أطراف مملكة سنار ويريده أن يقود جيوشه لقمع هذا التمرد وجرد له جيشًا، فقاده إلى أطراف سلطنة سنار وقمع التمرد، ولما عاد إلى سنار، وطالب بأن يُجرَّد له جيش للعودة إلى سنار، فقال له سلطان سنار تقدم سوف يلحق بك الجيش وجرد معه قوة من الرجال ترافقه إلى مملكته وأمر البحارة وهم من يشرفون على المراكب في النيل الأبيض بإغراق مركبه في وسط النيل وكانت المراكب تعبر في مشرع الكوة وقتذاك.

الملك التاسع: الملك إسماعيل بن الملك محمد 1705-1773م

من أقوى حكام مملكة تقلي، كان عالمًا ومحققًا درس علوم الدين وهو صغير، تسلم زمام الحكم في مملكة تقلي في العام 1705م وكان صغيرًا في السن وكان مجلس

الأوصياء هم من يحكمون باسمه وبعدها تولى الحكم إلى أن شاخ في السلطة مكًّا على تقلي الإسلامية.

توسعت المملكة في عهد الملك إسماعيل وضم جبال تكم وترجوك وأم طلحة، وامتد حكمه إلى خور أبو حبل في شمال كردفان وإلى مشارف النيل الأبيض ووصل نفوذه إلى جبل الداير القريب من الأبيض.

في عهد الملك إسماعيل بن الملك محمد قاد المسبعات حملة لغزو واحتلال مملكة تقلي فوقعت بينهم معارك هزم فيها المسبعات واضطروا إلى التراجع والانسحاب وبعدها لم يفكر المسبعات في غزو الجبال الشرقية وذلك لقوة جيش مملكة تقلي واستفادتهم من الطبوغرافيا التي وفرت لهم دفاعات جيدة ساهت في أن تظل المملكة مستقلة.

توفي الملك إسماعيل في سنة 1773م وبلغ من العمر أكثر من تسعين عامًا ودفن في مقابر طاسين قرب قبر والده.

الملك أبو بكر بن الملك إسماعيل1773-1814م

تولى الحكم بعد وفاة والده الملك إسماعيل، عاصر مراحل ضعف دولة الفونج وهيمنة الهمج على السلاطين في سنار، وكانت مملكة تقلي تدفع جزية لسلاطين سنار، فعمل الملك أبكر على استقلال مملكته من هيمنة الفونج.

في عصر الملك أبو بكر ود الملك إسماعيل قويت مملكة تقلي الإسلامية وأصبحت قوية، توفي الملك أبو بكر في العام 1814م وترك خلفه من الأولاد عمر وأحمد وناصر، لكنهم كانوا صغارًا في السن، وحاول أخوه المريود أن ينتزع السلطة على الرغم من معارضة الجندي والسكرواي والأعيان لسوء خلقه وبطشه، فاختير ابن الملك أبو بكر الصغير عمر مكًّا على تقلي.

الملك عمر ود الملك أبو بكر 1814-1827م

تولى الحكم وهو صغير في السن، وكان عمه عجلون وصيًّا عليه، أدبه وعلمه ورعى ملكه إلى أن بلغ الرشد وزوجه وأعطاه ملكه واستقال من شئون المكوكية، في عهد الملك عمر وصلت حجافل محمد علي باشا إلى السودان واحتلت سنار في العام 1821م.

توفي الملك عمر في سن مبكرة في العام 1827م واستمر حكمه 13 عامًا فقط وخلفه أخوه أحمد بن أبكر.

الملك أحمد بن الملك أبو بكر 1827- 1843م

عينه عمه عجلون بعد وفاة أخيه الملك عمر ليفوت الفرصة على عمه المريود الذي كان يتربص بعرش مملكة تقلي ولم يفوت فرصة للانقضاض على حكم أبناء أخيه، لكن كان عجلون يمثل حجر عثرة أمام تحركاته ولقطع الطريق أمام انفراط عقد المملكة التي كانت يتربصها الأعداء.

حيث قاد الحكمدار خورشيد باشا حملة لإخضاع مملكة تقلي انتهت باتفاق بين مملكة تقلي والحكومة الخديوية المصرية، وبموجب هذا الاتفاق تم إنهاء الحملة وأصبح هناك نوع من العلاقة بين المملكة والحكومة، واعتبر هذا الاتفاق نوعًا من التدخل الذي سمح للحكومة بالوصول إلى مناطق التعدين الأهلي للذهب في جبال شيبون واقتيادها الشباب من الجبال الأخرى ليتم تجنيدهم في جيوش الحكومة، وهذا ما عده بعض المؤرخين نوعًا من ضعف فترة حكم الملك أحمد بن أبو بكر.[1]

شهدت فترة حكم الملك أحمد بن أبكر أطماع الحكومة الخديوية المصرية في جبال النوبة ومحاولة إخضاع تقلي، إلا أنها لم توفق لذلك، سعى الحكمدار أحمد باشا المنكلي للتفاهم مع الملك أحمد بن الملك أبكر للتنقيب عن الذهب في غرب مملكة تقلي، كما أنه في العام 1837م زار الرحالة الأمير بكلر بسكاو هيرمان السودان وطاف في أغلب أجزائه في الشمال والشرق والنيل الأزرق وصعد إلى حدود الحبشة، كما قام الأمير بكلر بسكاو بكتابة فصل عن مملكة تقلي وإمكانية زيارتها وذلك في عهد الملك أحمد، وكتب الأمير بسكاو (أن إقليم تقلي يقع إلى الجنوب الشرقي من كردفان وهو أقل شأنًا من الأقاليم الأخرى «دارفور وكردفان المجاورة» وعلى الرغم من وقوعه مباشرة بين كردفان وسنار، إلا أنه يتميز بموقع حصين يشد أزره نظام حربي ممتاز ما أصبح في إمكان أهله الشجعان صد هجمات الأعداء، والحكومة -يقصد حكومة تقلي- صارمة للغاية. والسلطان الحالي شاب ذكي ذو شخصية قوية قادر على أن يجمع جيشًا قوامه خمسون ألف رجل، وجميع الأراضي ملك للسلطان الذي أيضًا له سلطة على كل فرد من أفراد رعيته، ومع ذلك يقال إنه يحكم شعبه حكمًا عادلًا ليس فيه قسوة أو جبروت).[2]

تأسيسًا على أهداف الخديوي محمد علي باشا والعمل على تعدين الذهب والمعادن في إقليم كردفان، فقد كتب الرحالة الأمير بكلر بسكاو أن جهود محمد علي باشا لاستخراج الذهب لم تقف على جبال بني شنقول، فقد كانت جبال النوبة

(1) عمر شركيان، مملكة تقلي نشأتها واضمحلالها، مصدر سبق ذكره، ص2.

(2) نسيم مقار، الرحالة الأجانب في السودان، مرجع سبق ذكره، ص166.

وبالتحديد جبل شيبون هدفًا للتنقيب عن معدن الذهب، ومن أجل ذلك فقد أمر الخديوي محمد علي بتجريد جيش ليحمي المنقبين والجيولوجيين النمساويين الذين قبلوا العمل في السودان لاستخلاص الذهب تحت إشراف الخبير النمساوي روسيجير، وكان الجيش الذي يرافقه مكونًا من 400 من المشاة و200 من الفرسان، وذلك بعد التفاهم مع مملكة تقلي خوفًا من هجمات قبائل النوبة على المنقبين، وكان في جبل شيبون معدنون من الأهالي يدفعون ضرائب إلى مك تقلي، ويباع ذهب جبال شيبون في الخرطوم وسنار ودنقلا والقاهرة.

وكان مصطفى بك حاكم كردفان قد اشتغل بالاستيلاء على جبل شيبون، وقام بعدد من الغارات وأحرق أكواخ النوبة الذين لم يستسلموا وقاوموا مقاومة شرسة، ولم يستطع أن يخضع النوبة ولم يثبت أقدام الحكومة الخديوية المصرية في جبال النوبة وفي أطراف مملكة تقلي.[1]

في عهد المك أحمد توغل الأتراك داخل مملكة تقلي حيث قاد خورشيد باشا حملة عسكرية دخلت إلى أراضي تقلي وتم الاتفاق على أن تدفع مملكة تقلي جزية للحكمدار في الخرطوم.

وقد قام حكمدار السودان أحمد باشا المنكلي بزيارة لمملكة تقلي في العام 1840م وذلك للاتفاق على عدم الاعتداء على البعثة العلمية للكشف واستخراج الذهب في جبال شيبون والمناطق المجاورة لها، وقد سمح له المك أحمد أن يقوموا بالتنقيب من دون أن يحاولوا الاعتداء على مملكة تقلي، لكن النوبة في مناطق جبال شيبون وما جاورها قاوموا الأطماع الحكومية، ونجم عن مقاومتهم خسائر في وسط النوبة، إلا أن حكومة محمد علي باشا لم تفلح في السيطرة عليهم.

كما أن اهتمام محمد علي باشا بالذهب في إقليم جبال النوبة كان يقف أمامه وجود المملكة المستقلة، فقد استطاع رجال المك أحمد وقف تقدم الأتراك، إلا أنهم استمروا في استخدام الأجانب في البحث والتنقيب عن الذهب، فتم تحديد مرتفعات وجبال أبو شفارة كفارمة وتقع شرق جبل شيبون ومنطقة البرام في غرب جبال شيبون ومنطقتي مهري وتنجور التي تقع جنوب جبل طيرة ويقع جبل طيرة على مسيرة يوم من جبال شيبون، وقد حدد المستر روسيجير النمساوي هذه المناطق بأنها بكر وتضم في أراضيها نسبة معقولة من الذهب.[2]

(1) نسيم مقار، الرحالة الأجانب في السودان، مرجع سبق ذكره، ص 165.

(2) نفس المرجع السابق، ص165.

ووصفت المنطقة بين جبل طيرة وجبل تنجور بأنها رملية يمكن استخلاص الذهب منها أيضًا بعد غسل التربة وأن النوبة يقومون بهذا العمل أيضًا ويستخرجون التبر من هذه الأراضي وأن الأهالي يستخرجون من التبر ما قيمته فرنكان إلى ثلاثة فرنكات مع وجود معدن الحديد الذي يصنع منه السكان حرابهم وأسلحتهم المحلية.[1]

وكان لثراء مملكة تقلي أن مكوكها والأسرة الحاكمة دور كبير في قوة المملكة ولكن لا تبدو على الملك أحمد وحاشيته مظاهر الثراء من تواضعه أو مظاهر الرفاهية التي تتجلى بوضوح في قصر الملك.[2]

السلطان أحمد بن أبكر الذي كان مشتغلًا بالدعوة الإسلامية وأكرم العلماء ورجال الدين من المتصوفة ومنحهم امتيازات أسهمت في استمرار دور المملكة التاريخي في نشر الدعوة الإسلامية في جبال النوبة.

استشهاد السلطان أحمد بن أبكر

في العام 1843م استطاع المريود أن يغتال الملك أحمد ووزيره المنصور وأن يأخذ ملك تقلي عنوة. الملك مريود وهو عم الملك أحمد والمنافس في مكوكية تقلي استولى على الحكم بقوة السلاح، تمرد عليه ناصر ابن الملك أبكر وأخو الملك القتيل أحمد والذي هرب إلى الأبيض وطلب مساعدة الأتراك مقابل أن يدين بالولاء للحكمدار ويدفع جزية مالية عبارة عن عبيد وحاصلات والسماح للحكومة بتعدين الذهب في مملكة تقلي المريود الذي لم يحكم فترة طويلة.

الملك المريود وهو شقيق الملك أبو بكر 1843م-1844م.

في العام 1845م استطاع المريود أن يستولي على كرسي الحكم في مملكة تقلي وخلع الملك أحمد بن الملك أبكر، والمريود عمه وشقيق الملك أبكر، وكان حكمه دمويًّا وقاسيًا فلم يرضَ عنه الأعيان والأرابيب، إلا أنه استخدم القوة ليثبت في ملكه.

استمر الملك المريود مكًّا على تقلي لمدة عام ونصف، وقد قاوم ملكه أقارب الملك الشهيد أحمد، وكان أخوه عجلون غير راضٍ عن حكم الملك المريود، وسعى معه الأعيان لخلع العم والملك المغتصب للسلطة المريود، وأسهم معهم الوزير الجندي المنصور، وسعوا إلى إعادة الملك لناصر الذي ذهب إلى الأتراك في الأبيض ومنها إلى الخرطوم لمساعدته في العودة إلى عرش تقلي مقابل أن يدين بالولاء إلى الأتراك ويدفع

(1) نسيم مقار، نفس المرجع السابق، ص166.

(2) نسيم مقار، مرجع سبق ذكره، ص167.

الجزية ويمكنهم من تعدين الذهب في جبال شيبون ومندي ويدفع جزية من العاج والرقيق لتجنيدهم.

وقد سر الأتراك بهذا العرض وكانوا قد فشلوا في الاستيلاء على مملكة تقلي، وجردوا له جيشًا من الحكومة، وعاون المك ناصر التقلاويون الغاضبون من حكم المك المريود، دخل ناصر ومعه جيوش الأتراك والتقلاويين واشتبكوا مع جيوش المك المريود ونجحوا في طرده من الحكم وقتله وتشريد أعوانه واستولى المك ناصر على السلطة ونودي به مكًّا على تقلي.

المك ناصر ود المك أبكر 1844م-1865م

نودي بناصر مكًّا على تقلي بعد خلع وقتل المك المريود في نهاية العام 1844م وكان من المفترض أن يوالي الأتراك ويدفع لهم الجزية، إلا أنه حالما تمكن من السلطة وقوى مملكته تنكر للأتراك وحكم مملكة تقلي مستقلًا عن سيطرة الخرطوم وأفلح في بناء جيش قوي، إلا أن المك ناصر كان جبارًا باطشًا نجح في الحكم بتخويف أعدائه من خلال إحكامه على السلطة وضرب معارضيه بقوة.

عاد المك ناصر للسلطة بمعاونة الأتراك الذين منحوه قوة عسكرية استطاعت أن تقتل عمه المك المريود ومن معه وأسكن الجنود السود من الجهادية الذين منحتهم له حكومة الأتراك في تقلي، وبذلك ضمن جيشًا مسلحًا وقويًّا وشبه نظامي، وهو أول جيش نظامي عرفته المملكة.

وشهدت مملكة تقلي خلال حكم المك ناصر توسعًا حيث ضم إليه عددًا من المناطق والجبال ونجح في إخضاعها بقوة السلاح والبطش، كما أن الأحوال الاقتصادية في عهده شهدت تحسنًا لاهتمامه بالإنتاج والزراعة، وفي عهد المك ناصر عرفت مملكة تقلي تداول العملات بنحو محدود بدلًا من تبادل السلع، وازدهر سوق تقلي في عهده.[1]

أصبحت مملكة تقلي في عهد المك ناصر مملكة باطشة ولا يستطيع أحد أن يتطاول عليها، ولم يخلُ نظام الحكم من القسوة المفرطة. وقد قيل إنَّ زبانية المك ناصر كانوا يلقون بالمعارضين السِّياسيين في دوكة حجريَّة تحتوي على زيت ساخن بعدما تصل درجة الغليان، وذلك بعد منتصف النَّهار، أي في وقت الهجيرة. ونتيجة لهذا الرُّعب، هرب كثيرون من رعايا المك إلى خارج المملكة، وقد سكن أفراد منهم في مدينة الدَّلنج في ريفي شمال الجبال.

(1) مقابلة مع خالد حاج أحمد، أجراها البشير أحمد محيي الدين، الخرطوم 24/6/2020م.

استقر في كرسي الحكم في تقلي في العام 1844م وكان باطشًا عنيفًا أرهب أعداءه في الداخل وتودد للأتراك لفترة إلى أن قويت شوكته، ولكنه بعد أن استقر حكمه رفض دفع الجزية ودخل معهم في حرب، إذ سير الأتراك له حملة عسكرية بقيادة عثمان بك ودخل معهم في معركة هزم فيها الأتراك شر هزيمة ولم يفكروا في استعادة مملكة تقلي الإسلامية مرة أخرى.

اجتهد المك ناصر في فتح الخلاوي ونشر الدعوة الإسلامية، وكان محبًّا للحروب والغزوات، في عهده أكرم العلماء واشتهرت مملكة تقلي بأنها تقلي الإسلامية.

كان ابنه مؤمن ولي العهد في مملكة تقلي، وكان جبارًا ولم يرتدع عن الظلم وكان محميًا من والده المك ناصر، فقر رأي العقلاء على خلعه وتولية ابن أخيه آدم أم دبالو مكًّا على تقلي.

وقد عاصر المك ناصر مك تقلي عهد الحكمدار موسى باشا حمدي الذي اشتهر أيضًا بالقسوة والصرامة وكان شديد البطش بالأهالي، وقيل إن صائغًا في الأبيض أذاب فضة وقال إنها يجب أن تسكب في أنف المك ناصر، فبلغه ذلك فاستدرجه وقبض عليه وصب الفضة المذابة في أنفه بعد أن قيده عبيده.

ويقال إن المك ناصر كان له غليون كعادة الأتراك وإنه يدخن بهذا الغليون الشطة (القبانيت) التي تزرع في جبال مملكته وينفث دخانها الحارق بانبساط غريب وذلك في مجلسه ولا يجرؤ الأعيان والأرابيب أن يكحوا في حضرته ويتحملون دخان الشطة ومن يكح أو يعطس من مرافقيه يعاقبه، كما أنه في موسم الزراعة من الصباح يعتلي صخرة ويراقب الأهالي وهم في الزراعة، ومن يتكاسل أو يهمل زراعته يعاقبه على الفور، واستمر حكم المك ناصر إلى أن تضايق منه الناس وملوا حكمه القاسي الرهيب وأصبح الناس في ضيق منه إلا أن أحدًا لا يجرؤ على التطاول على المك ناصر.

مؤامرة في بلاط تقلي

في العام 1865م وبعد نهاية موسم الأمطار كان من عادة مكوك تقلي الخروج للقنيص (الصيد) في الجهات القريبة من جبال تقلي، واتفق أن المك ناصر كان يرتب للخروج للقنيص، فاتفق الأعيان والأرابيب على خلع المك الباطش ناصر وتولية آدم أم دبالو مكانه، واحتفظ الأعيان بالأمر سرًّا إلى أن خرج المك ناصر ومرافقوه وأبناؤه المؤمن والفحل وأحمد المقص في موكب كبير من طاسين عاصمة مملكة تقلي.

فـور خروجهـم ضرب النحـاس والنقـارات والصفافـير والقـرون واجتمـع الأهـالي وأعلـن الأعيـان تنصيـب الملـك آدم أم دبالـو مـكًّا وخلـع الملـك نـاصر لظلمـه، في تلـك الفـترة كان الملـك نـاصر في منطقـة أبـو دوم والتـي تقـع شرق العباسـية.

عـلى الفـور أرسـل الملـك الجديـد آدم أم دبالـو رسـله إلى الملـك نـاصر وأخـبره باسـتيلائه عـلى السـلطة محـذرًا عمـه الملـك نـاصر مـن العـودة إلى طـاسي عاصمـة المملكـة، وإن عـاد فسـيكون مصـيره المـوت المؤكـد، أمـا الملـك المخلـوع نـاصر فبقـي في أبـو دوم لفـترة وقـرر التحـرك إلى منطقـة شـندرون فسـار سـيرًا متئـدًا في ثلاثـة أشـهر وسـمى سـيره بـ(القيـد حجل) ويعنـي عـدم الخـوف مـن هجـوم جيـش الملـك آدم أم دبالـو.

وبعدهـا تحـرك الملـك نـاصر وكان معهم حجر كبير يسـمونه (المسـن) وفيه تسـن سـيوفهم وكان ثقيـلًا يمنـع الركـب المسـير ويؤخرهـم، فقـام المؤمـن بـن الملـك نـاصر بضرب حجر المسـن بسـيفه الباتـر فكسـره إلى نصفـين وحملـوا نصفًـا منـه وألقـوا النصـف الآخـر في طريقهـم.

والمؤمـن بـن الملـك نـاصر ابنـه الكبـير وواحـد مـن الفرسـان المهابـين والشـجعان وكان يفكـر في الرجـوع إلى طاسـين ومقاتلـة ابـن عمـه الملـك آدم أم دبالـو، إلا أن الملـك نـاصر كان يفكـر في الاعتـماد عـلى الأتـراك والسـلاح الـذي يمكـن أن يحصـل عليـه منهـم وفي نفسـه غـدره بالاتفـاق الـذي أوصلـه للحكـم في العـام 1844م حينـما سـاندوه ضـد عمـه الملـك المريـود ولم يـفِ بالتزامـه للحكومـة الخديويـة المصريـة فقـرر اللجـوء لهـا للمـرة الثانيـة.

واسـتمر مسـير الملـك نـاصر وأبنائـه وأتباعـه شرقًـا إلى منطقـة أبـو دوم، وهنـاك اسـتقر الملـك المخلـوع نـاصر فيهـا واتخـذ مجلسًـا لـه يأمـر وينهـى فيـه، فكتـب إليـه الملـك آدم أم دبالـو وجـاء في خطابـه (توريـن في زريبـة مـا بكـروا) وكان قصـد الملـك آدم أم دبالـو المثـل الشـهير الـذي يقـول (توريـن مـا بقعـدوا في دكـة واحـدة) وهـذا يعنـي أن الملـك آدم سيشـن عليـه حربًـا وأن عـلى الملـك نـاصر أن يغـادر مملكـة تقـلي إلى أي جهـة يريدهـا.

فسـار الملـك نـاصر ومعـه أبنـاؤه ووزيره أحمـد الفـكي ود آدم أم عدار وهو ابـن عمه ومن معـه إلى الأتـراك وطلـب معونـة منهـم جيشًـا وسـلاحًا، لكـن الأتـراك لم يصدقـوه فذهـب إلى الحكمـدار مـوسى باشـا حمـدي في الخرطوم فأرسـله إلى الخديوي إسـماعيل باشـا في القاهرة[1] وكتـب للخديـوي عـن تقـلي وحكـم الملـك نـاصر ونكوصـه عـن الاتفـاق الـذي أبرمـه مـع الحكمداريـن السـابقين، وهنـاك تـم إكرامـه وعـاد للسـودان بـل تكرمـوا عليـه بمنحـه قطعـة أرض في جنـوب مدينـة الدويـم في قريـة معتـوق وبقـي فيهـا إلى أن تـوفي إلى رحمـة مـولاه.

(1) نعوم شقير، تاريخ السودان، ص 237.

وكان الـولاة السـابقون مـن الأتـراك قـد أرسـلوا حمـلات اسـتهدفت مملكـة تقـلي ولم تفلـح في عـزل الملـك نـاصر وإنهـاء جبروتـه، واسـتمر آدم أم دبالـو مـكًّا عـلى مملكـة تقـلي إلى قيـام المهديـة.

الملك آدم أم دبالو 1865-1884م

عـين آدم أم دبالـو مـكًّا عـلى تقـلي بعـد خلـع عمـه الملـك نـاصر وذلـك في العـام 1859م، وهـرب الملـك نـاصر إلى الحكومـة في الأبيـض لدعمـه، إلا أن عـدم إيفائـه بالوعـد الأول لم يسـعفه في إقنـاع الأتـراك بدعمـه للعـودة إلى حكمـه.

عمـد الملـك آدم أم دبالـو إلى بسـط العـدل وإعـادة تماسـك النسـيج الاجتماعـي بـين رعاياه وكان حازمًـا ولينًـا وأمينًـا وذا مـروءة وأحبـه شـعبه، مـن إنجازاتـه أنـه حـول العاصمـة مـن طاسـين إلى كرايـة ونشـط التجـارة واهتـم بتأمـين القوافـل وفتـح الأسـواق والخـلاوي.

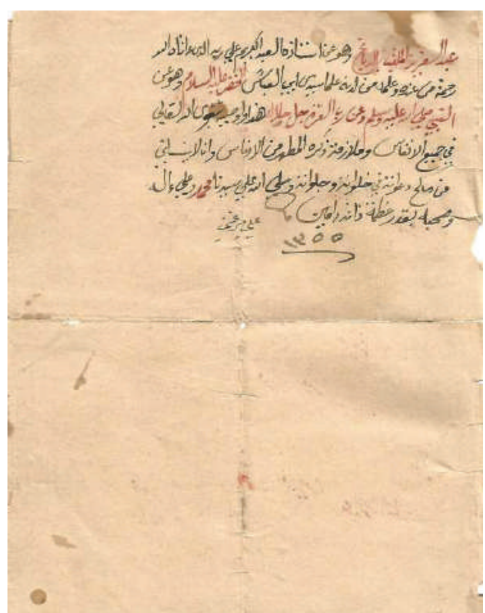
اسـتمرت محـاولات الأتـراك في ضـم مملكـة تقـلي إلى حكمهـم، وكان الملـك آدم أم دبالـو شـوكة قويـة أمـام طمـوح الأتـراك الزائـد وتحـدي سـلطتهم، وبعـد أن عـين إليـاس باشـا أمبريـر مديـرًا عـلى كردفـان في العـام 1879م طلـب مـن الملـك آدم أم دبالـو أن يدفـع لـه الضرائـب فكتـب إلى الحكومـة الخديويـة في الخرطـوم مسـتفسرًا مـن موظفيهـا البيـض (هـل كملـوا حتـى تعـين جـلابي) وقـال (إن إليـاس باشـا أمبريـر ومـن معـه ليسـوا إلا جلابـة نعطيهـم ثمـن مـا نشـتريه منهـم مـن بضائـع ليـس إلا وإنـه لـن يتعامـل معهـم إطلاقًـا).

يعتـبر الملـك آدم أم دبالـو مـن أشـهر ملـوك مملكـة تقـلي الإسـلامية وهـو مـن عمـد إلى تقويـة مجلـس الإفتـاء ودعـم الخـلاوي وسـاهم في نـشر الإسـلام واللغـة العربيـة في جبـال النوبـة ولم يقـف نفـوذه وعلاقاتـه داخـل مملكـة تقـلي بـل اسـتضاف العلـماء ورجـالات الطـرق الصوفيـة ولـولا موفقـه القـوي مـع الثـورة المهديـة لتـم القضـاء عليهـا في مهدهـا، ويعـود ذلـك لحمايتـه المهـدي وأنصـاره في فـترة مبكـرة مـن اندلاعهـا.

الملك آدم أم دبالو ينصب خليفة للختمية

امتـد نشـاط الطريقـة الختميـة إلى مملكـة تقـلي وصاهـر مكـوك تقـلي خلفـاء الختميـة وقـام السـيد عـلي الميرغنـي بتنصيـب الملـك آدم أم دبالـو خليفـة للختميـة في تقـلي وذلـك قبيـل انـدلاع الثـورة المهديـة في السـودان وكان بينهـم احـترام كبـير للطـرق الصوفيـة المتنوعة الموجـودة في مملكـة تقـلي.

إجـازة في الطريقـة الختميـة من السـيد علي الميرغنـي للملك آدم جيلي عـام 1355 هجرية



المصـدر: وثائـق المـك آدم جيـلي/ مـن الدكتـور عاصـم أبـو بكـر المنصـور جيـلي، الأسـتاذة عنايـات عـلي الطاهـر جيـلي

(التوثيق مهندس معاوية عبد الرحمن الزيبق)

الملك آدم أم دبالو والمهدية

في عـصر الملـك آدم أم دبالـو اندلعـت أحـداث الثـورة المهديـة في السـودان في العـام 1881م وتـولى أمـر حمايتهـا واسـتضافة الأنصـار وقائدهـم الإمـام محمـد أحمـد بـن عبـد اللـه (المهـدي) وأنصـاره في جبـل قديـر حيـث طـاب لهـم المقـام في جبـال بطـن أمـك ولم تفلـح محـاولات الحكومـة التركيـة المصريـة مـن هزمهـم أو إجبارهـم عـلى الخـروج لمنعتهـا واسـتقلالية ملـوك مملكـة تقـلي الإسـلامية عـن حكـم الـترك وقتـذاك.

عنـد هجـرة الأنصـار مـن الجزيـرة أبـا اتبعهـم حاكـم كردفـان محمـد سـعيد باشـا وهبـي الشـهير بجـراب الفـول بقـوة مـن رجالـه إلى حـدود تقـلي، وكان رجـال الملـك آدم أم دبالـو يراقبـون تحـرك محمـد سـعيد وجيشـه ويرفعـون أخبـاره للمهـدي والملـك آدم أم دبالـو عـلى الفـور، فكتـب مهـددًا حاكـم كردفـان مـن دخـول حـدود مملكتـه وفـرض عليـه غرامـة لتعديـه عليهـا.[1]

كان الملـك آدم أم دبالـو قـد جمـع مجلـس شـوراه حـول اسـتضافة المهـدي وأتباعـه، فأبـدى البعـض مـن أعضـاء مجلـس الملـك برأيهـم بأنـه ليـس المهـدي ولا نحـن في حاجـة إلى عـداوة الأتـراك، بـل أشـار القـاضي ميرغنـي ود تميـم قـاضي المملكـة بقتـل المهـدي وطـرد أتباعـه وتفريقهـم لضلالتهـم واتهمهـم بالزندقـة، وتـرك الـرأي الأخـير للملـك آدم أم دبالـو عـلى اعتبـار أنـه ولي الأمـر الـذي وافـق عـلى اسـتضافة المهـدي شريطـة إذا انتـصر ألا يعتـدي عـلى مملكـة تقـلي، بـل إن الملـك آدم أم دبالـو أرسـل ابنـه عمـر إلى المهـدي في قديـر ليكـون قريبًـا منـه ويقـدم لـه الخدمـات المطلوبـة، وقـد آمـن عمـر بـن الملـك آدم أم دبالـو بالمهـدي والمهديـة ونـال حظـوة عنـد المهـدي وخليفتـه وأصبـح عمـر مـن أشـهر أمـراء المهديـة.

لقـد كان الملـك آدم أم دبالـو لا يخفـي كرهـه للحكومـة الخديويـة المصريـة في السـودان ويجاهـر بعداوتهـا إضافـة إلى أنـه يـرى أن الحكومـة تشـجع تجـار الرقيـق في الأبيـض التـي اتخذوهـا مركـزًا لهـم، مثـل أحمـد دفـع اللـه ومنافسـه إليـاس باشـا أمبريـر وغيرهـم مـن النهاضـة، وكانـت كذلـك أطـماع الحكومـة الخديويـة المصريـة في ضـم تقـلي إليهـا ودعمهـا وإيوائهـا للملـك المخلـوع نـاصر المنافـس لـه في السـلطة.

قدمـت مملكـة تقـلي المسـاهمات في تمويـن أنصـار المهـدي وفي بنـاء قـوة الأنصـار العسـكرية وفي أرضهـا وقعـت معركتـا راشـد والشـلالي التـي غنـم منهـا المهـدي السـلاح النـاري الـذي أصبـح عنـصرًا مهـمًّا في معـارك المهديـة كلهـا. لقـد كان رجـال مملكـة الملـك آدم

(1) عبد المحمود أبو شامة، حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تلسهاي، مطبعة سيد المرسلين، أم درمان، 1986م، ص16

أم دبالـو عنـصرًا مهـمًّا في معركتـي راشـد والشـلالي وقدمـوا الشـهداء والجرحـى ولكـن هـذ الإحسـان قوبـل بالنكـران وتدمـير تقـلي وجبـال النوبـة لاحقًـا.

بعـد فتـح الأبيـض وقبيـل هجـرة المهـدي لفتـح الخرطـوم وقـع خـلاف بـين الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي والملـك آدم أم دبالـو والـذي انتهـى بزيـارة تاريخيـة للأبيـض حيـث تشـير بعض المرويـات الشـفاهية إلى أن الملـك آدم أم دبالـو أوثـق بالجنازيـر ووضـع في السـجن وكان قبـل ذلـك قـد عـارض المهديـة قـاضي مملكـة تقـلي القـاضي ميرغنـي ود تميـم فأعـدم عـلى الفـور، ولمـا تحركـت الحملـة التـي كانـت مؤلفـة مـن أكـثر مـن سـتين ألفًـا مـن البـشر ويقودهـم المهـدي نفسـه لتحريـر الخرطـوم كان الملـك آدم أم دبالـو قـد أخـذ ضمـن المسـاجين ومعـه ثلاثـة مـن أبنائـه وعـدد مـن أعيـان تقـلي مـن بينهـم الفـكي الطاهـر.

اسـتمر المهـدي ورجالـه في الزحـف شرقًـا في اتجـاه النيـل الأبيـض إلى أن وصلـت جيـوش المهديـة في نهايـة العـام 1884م إلى ديـار الجمـع وتـوفي فيهـا بعـد أن (جـرت بطنـه) أي أصيـب بإسـهال شـديد فقـال عسـاكر أبـو كلام للمهـدي: نتركـه معنـا إن شـفي يلحـق بكـم وإن توفـاه اللـه فهـذا أمـره، تـوفي الملـك آدم أم دبالـو وقـبر في مقابـر أم حجـر جنـوب غـرب تندلتـي في ديـار الجمـع في نهايـة العـام 1884م.

بوفـاة الملـك آدم أم دبالـو انتهـت حقبـة مملكـة تقـلي الإسـلامية عـلى يـد الثـورة المهديـة في السـودان، وكانـت تقـلي قـد قدمـت العـون والحمايـة للمهديـة، إلا أن المهديـة تنكـرت لهـا ودمرتهـا وقـد عانـت مملكـة تقـلي في عهـد الخليفـة عبـد اللـه المـآسي مـن البطـش والتنكيـل والظلـم والحمـلات التـي قادهـا الأمـير حمـدان أبـو عنجـة.

الملك علي أبو زنيد بن آدم دبالو 1885-1892م

حكـم 7 سـنوات وكانـت فـترة حكمـه مـن أضعـف أيـام مملكـة تقـلي، إذ كانـت تقـلي عبـارة عـن إمـارة مـن إمـارات المهديـة الكثـيرة التـي تأتمـر بأمـر أم درمـان ولم تكـن تملـك اسـتقلالها البتـة حتـى تـوفي في العـام 1892م.

خـلال فـترة حكمـه شـن الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي حمـلات عسـكرية عـلى جبـال النوبـة ومملكـة تقـلي أولاهـا في العـام 1884 قبيـل فتـح الخرطـوم ودارت معركـة رهيبـة في جبـل الدايـر هـزم فيهـا الأنصـار ولم يحققـوا نـصرًا ثـم عـاود الأمـير عبـد الرحمـن النجومـي الكـرة في العـام 1885م حيـث قتـل عـددًا كبـيرًا مـن النوبـة ثـم قـاد إبراهيـم الخليـل ويونس ود الدكيـم حملـة عـلى جبـال النوبـة.

أما أبناء المك آدم أم دبالو الذي قيل إنه مات مسمومًا وهم جيلي والطاهر وأحمد أبو فلج فقد ذهبوا إلى أم درمان في معية أهل تقلي الذين أجبرهم الخليفة عبد الله، بعد فتح الخرطوم، بالنزوح قسرًا إلى أم درمان بواسطة حمدان أبو عنجة، ثم عادوا إلى تقلي بعد موقعة كرري ومعهم جميع أهل تقلي وعدد من الجهادية وبعض القبائل الأخرى، لكن الحملة الكبرى كانت في العام 1890م حيث قاد الأمير عبد الرحمن أبو عنجة حملة عنيفة على النوبة وأراضي تقلي قتل فيها 7 آلاف من النوبة ونهبت قرى وجبال وأُخذ عدد كبير من النوبة أسرى على الرغم من مقاومتهم الشرسة وقد أنجت التهديدات الحبشية في القلابات منطقة جبال النوبة من تهديدات أبو عنجة الذي أمره الخليفة عبد الله التعايشي بالتوجه إلى القضارف ومنها إلى القلابات فخرج بجيشه من جبال النوبة إلى أم درمان واستقبله الخليفة استقبال الأبطال الفاتحين وتوجه إلى القلابات.

جيلي بن المك آدم أم دبالو 1892-1916م

تولى عصا الحكم في نهاية المهدية في العام 1892م وكان حكمه كحكم أخيه المك علي بن آدم أم دبالو وقد استمر حكمه 25 عامًا شهد فيها معركة كرري وسقوط المهدية ومطاردة الخليفة بواسطة الإنجليز في سهول شرق كردفان والاحتلال البريطاني للسودان وتم الاحتفاظ بمركزه السياسي والاجتماعي الذي تحول من منصب مك تقلي إلى إدارة أهلية.

استطاع المك جيلي بن المك آدم أم دبالو أن يحافظ على تماسك المملكة في أحلك الظروف السياسية التي مرت في السودان وهي فترة نهاية الدولة المهدية ومطلع الحكم البريطاني، إذا عمل الاحتلال البريطاني على تصفية وتطهير كل البيوتات والزعماء والإدارة الاجتماعية الموالية للمهدية واستبدالها بعناصر لا يمكن أن تعيد أي نشاط سياسي أو عسكري يمت للمهدية بصلة.

لقد رفض المك جيلي بن المك آدم أم دبالو أن يستضيف الخليفة عبد الله وأتباعه وذلك بعد أن تلقى رسالة منه فرفض وكاتب الحكومة البريطانية التي كان مركزها في فشودة حيث أرسل رسله بعد معركة كرري إلى حاكم فشودة الميجور جاكسون الذي رحب بهم.

وتشير الوثائق إلى أن المك جيلي بن المك آدم أم دبالو أشار إلى اعترافه بالسلطة الجديدة وعزمه على مقاتلة الخليفة وأتباعه وأسقط أخبارهم وذكر أن بلاده لا يوجد

بهـا دراويـش[1] وقـد جـاء في الملحـق رقـم 58 في التقريـر رقـم 60 ملحـق ملخـص مذكـرات المخابـرات فشـودة مـن 21 سـبتمبر إلى 9 أكتوبـر 1898م مـا يوضـح دور المـك جيـلي بـن آدم أم دبالـو في الانتقـام مـن المهديـة عـلى الرغـم مـن أن أخـاه عمـر بـن المـك آدم قـد أصبـح مـن الخلـص للمهديـة حتـى وفاتـه.

كانـت عيـون المخابـرات تتعقـب الخليفـة عبـد اللـه وترصـد اتصالاتـه بالشـيوخ والأعيـان وكانـت رسـل الخليفـة تجـد اهتمامًـا مـن قبـل حكومـة الاحتـلال البريطـاني للتتأكـد مـن عـدم اسـتفادة الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي مـن أي حاضنـة قبليـة أو سياسـية كبـيرة يمكـن أن توفـر لـه الأمـان، لذلـك كانـت الأنظـار موجهـة إلى مـك تقـلي الـذي أرسـل لـه الخليفـة فرسـان الدراويـش مـن قبيلـة بنـي هلبـة قـد وصلـوا إلى جبـل قديـر يحملـون رسـالة مـن الخليفـة إلى المـك جيـلي ود آدم مـك دار تقـلي وقـد وعـدوه بـأن يحافظـوا عـلى السـلم في إقليمـه إذا قـام بإيـواء وإدخـال فرسـان الدراويـش في بـلاده. ولكـن المـك جيـلي أدخـل 7 مـن الفرسـان إلى بـلاده ثـم اعتقلهـم وصـادر خيولهـم وهـم الآن في سـجنه وقـال إذا تجـرأ الخليفـة ودخـل بـلاده فإنـه سـيقوم باعتقالـه وتسـليمه إلى الحكومـة. المـك جيـلي كتـب إلى السـلطان أحمـد صاغـة سـلطان جبـل قديـر وطلـب منـه إعـداد قواتـه للقيـام بعمـل مشـترك ضـد الدراويـش العـرب.[2]

(1) تقاريـر المخابـرات البريطانيـة عـن الثـورة المهديـة في السـودان، ترجمـة وتحقيـق د. البشـير أحمـد محيـي الديـن، التقريـر رقـم 60، الملحـق رقـم 58، ملحـق مذكـرات فاشـودة، دار رفيقـي للطباعـة والنـشر، 2020، ص 226

(2) تقارير المخابرات البريطنية عن الثورة المهدية في السودان، مرجع سبق ذكره، ص 242.

الفصل الرابع

العرف والنظام السياسي في مملكة تقلي

تشير المرويات السودانية إلى أن الملوك الأقوياء في تاريخنا السياسي هم المكوك الذين حكموا جبالًا عددها تسعة وتسعون جبلًا، كما أن مكوك تقلي قد حكموا تسعة وتسعين جبلًا وأن سلاطين الداجو أيضًا إبان حكمهم كانوا يحكمون تسعة وتسعين جبلًا، وأن مكوك البني شنقول أيضًا يتمددون في تسعة وتسعين جبلًا، ومكون إثني يدعى بالقبائل والجبال الفابئية مثل فامكا فازوغلي وفداسي ونحوها، وكذلك تمدد حكم السلطان علي دينار إلى أكثر من مئة جبل وهو أمر يشير إلى منعة السلطنة واتساع رقعتها ولا يخلو ذلك من ارتباط بالمفاهيم الصوفية حول أسماء الله الحسنى وتعداد المسبحة والأوراد التي تردد تسعًا وتسعين مرة، وذلك لارتباط الممالك الإسلامية بمجموعة قيم موحدة.

لذلك نشأت مجموعة من الأعراف والتقاليد الراسخة والثابتة مثل جبال تقلي وأسهمت هذه الأعراف في الحفاظ على مملكة تقلي وتراتبية السلطة فيها وحفظ النظام السياسي واستقلالية المملكة، وقد استمدت مملكة تقلي تقاليدها وأعرافها من الدين الإسلامي وعلوم التصوف والعادات والتقاليد في مملكة الفونج التي كان لها تأثير كبير على الأوضاع في مملكة تقلي إضافة إلى العادات والموروثات في جبال النوبة التي ألقت بظلالها على الحياة السياسية والاجتماعية.

لم تكن تقلي استثناء من هذه القاعدة على اعتبار أنها إحدى الممالك السودانية الإسلامية التي ارتبطت بمفهوم النسب الشريفي وحكم تسعة وتسعين جبلًا وغيرها مما يورد في كثير من المرويات السودانية، وبذلك قامت المملكة على نسق سياسي مميز كفل لها الاستمرارية نتيجة لحفاظها على عاداتها وتقاليدها الراسخة.

وقد تشكلت العادات والتقاليد الاجتماعية والسياسية متأثرة بواقع الجغرافيا وطبيعة البيئة وشيء من ماضٍ عريق أصبح عرفًا معروفًا وما أضافته الثقافة العربية في أنظمة الحكم والسياسة والعادات الاجتماعية والفلكلور الشعبي من نحت ورقص ورعي وزراعة وما تجود به السماء وبعض عادات الكجور التي لم تندثر مع الأسبار[1]

(1) الأسبار مفردها سبر والسبر هو العادة المعينة التي تداوم عليها القبيلة، مثلاً من الأسبار عند نهاية الحصاد أن الاحتفالات تقام وتوزع الأطعمة وتعد المريسة، أو مثلًا من الأسبار جدع النار في موسم الجفاف وهو نوع من الاحتفال الشعبي بالحصاد أو عند رمي البذور في الخريف، تختلف الأسبار من قبيلة إلى أخرى ومن منطقة إلى

المحليـة بصـورة عامـة يمكـن القـول إن العـرف والنظـم المحليـة والعلاقـات والثقافـات للجماعـة الإنسـانية أمـر حتمـي لا فـكاك منـه ينظـم تفاعـلات المجتمعـات.

نظام الحكم في مملكة تقلي

يقـوم نظـام الحكـم في مملكـة تقـلي عـلى تراتبيـة سياسـية وإداريـة واجتماعيـة إلا أن عـلى رأس المملكـة مـكًّا واحـدًا هـو المسـئول الأول وسـلطته مطلقـة يعاونـه وزيـران وعـدد مـن المجالـس وطبقـة سياسـية ودينيـة واجتماعيـة مـن خـلال هـذه التراتبيـة تـدار كل شـئون المملكـة السياسـية الاجتماعيـة والاقتصاديـة.

1/ الملك أو المك

وهـو المسـئول الأول في المملكـة وتئُـول السـلطة لـه بالوراثـة بعـد اختيـاره مـن قبـل مجالـس المملكـة، وهـو صاحـب الحـق في إصـدار القـرارات الهامـة بعـد مشـاورات مـع الأعيـان والأرابيـب والجنـدي والسـوكرابي، ويمكـن أن يعـزل إذا كان باطشًـا فقـد شـهد تاريـخ مملكـة تقـلي عـزلًا للملـك وطـرده مـن المملكـة مثلـما حـدث مـع المـك المريـود والمـك نـاصر الـذي خلفـه المـك آدم أم دبالـو.

في حالـة أن المـك قـاصر يتـم تعيـين وصي مـن الأسرة المالكـة يقـوم بتصريـف شـئون المملكـة حتـى يبلـغ سـن الرشـد، كـما في حالـة المـك إسـماعيل الـذي تـولى عمـه شـئون الحكـم وصـاة ونيابـة ولمـا بلـغ سـن الرشـد سـلمه مقاليـد السـلطة، للمـك أيضًـا حـق إعـلان الحـرب وتحديـد المكـوس والضرائـب ويـشرف عـلى نـشر الدعـوة الإسـلامية ودعـم الخـلاوي والطـرق الصوفيـة ورجـال الديـن، ومـن مهـام المـك إصـدار القـرارات التـي تتعلـق بسياسـة المملكـة في النواحـي السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة فهـو المسـئول الأول بـلا منـازع.

ويعتـبر زواج المـك والأمـراء مـن الأسرة الحاكمـة حدثًـا مهـمًّا، وكذلـك يـشرف عـلى توزيـع الـزكاة ويقـف عـلى الأعيـاد الدينيـة (الأضحيـة والفطـر) كـما أن المـك يقـوم بالطـواف عـلى الجبـال ويخـرج للقنيـص في شـهري سـبتمبر ويناير سـنويًّا وهي مـن التقاليد الموروثـة، وتقليد عريـق يتـم التجهيـز لـه والاحتفـال بـه، ويخـرج المـك وحاشـيته للصيـد وتقـام الاحتفـالات بعودتـه، وفي فـترة غيـاب المـك عـن العاصمـة يديـر المملكـة الجنـدي وهـو الوزيـر الأول.

مـك تقـلي يحكـم المملكـة وتحتـه الجنـدي والسـوكرابي وهـما الـوزراء والأرابيـب وأهـل الجـاه والطاقيـة ومكـوك القبائـل إضافـة إلى زعـماء القبائـل العربيـة، يقـوم مكـوك القبائـل

منطقـة أخـرى، عـلى حسـب نوعيـة المجتمعـات وكلـما كانـت المجتمعـات أكـثر بدائيـة كانـت الأسـبار كثـيرة ومتعـددة وملزمـة للأفـراد.

بـإدارة شـئون قبائلهـم بحريـة تامـة لكنهـم يخضعـون للمـك في النهايـة، ويديـر المكـوك المحليـون عـددًا مـن العمـد والشـيوخ في قراهـم.

بعـد مـرور مـا يقـارب أربعـة قـرون، أصبحـت العائلـة المالكـة أرسـتقراطيًّا لا يسـتطيع أحـد أن يتطـاول عليهـا، ولم يخـلُ نظـام الحكـم مـن القسـوة المفرطـة. وقـد قيـل إنَّ زبانيـة المـك نـاصر كانـوا يلقـون بالمعارضـين السِّياسـيين في دوكـة حجريَّـة تحتـوي عـلى زيـت سـاخن بعدمـا تصـل درجـة الغليـان وذلـك بعـد منتصـف النَّهـار، أي في وقـت الهجـيرة. ونتيجـة لهـذا الرُّعـب، هـرب كثـيرون مـن رعايـا المـك إلى خـارج المملكـة، وقـد سـكن أفـراد منهـم في الجبـال الغربيـة.

وفي فـترة مـا ازداد نفـوذ الفونـج بتأثيرهـم عـلى مكـوك تقـلي وأصبحـت مقاطعـة تابعـة للفونـج إلا أن تقـلي سرعـان مـا اسـتعادت عافيتهـا ونفوذهـا واسـتقلت مـن هيمنـة الفونـج وعـادت ترسـل المحمـل الخـاص بهـا إلى الكعبـة الشريفـة كمملكـة مسـتقلة.

يكلـف المـك رؤسـاء القبائـل والنظـار والمكـوك الذيـن يديرهـم بجمـع العشـور والضرائب والمكـوس التـي تدفـع للمملكـة وتتابـع بواسـطة الجنـدي والسـوكرابي الذيـن تقسـم المملكـة إلى قسـمين إداريـين لتسـهيل إدارتهـا وهـي:

- الإدارة الشـمالية وتضـم ثلاثـة أقسـام وهـي: تقـلي والحوازمـة ورشـاد وتقـوي وترجـوك.
- الإدارة الجنوبيـة تضـم أولاد حميـد وكنانـة والكواهلـة في كلوقـي والليـري وعموديـة تلودي.

الوزراء في مملكة تقلي

2/ الجندي

وهـو الوزيـر الخـاص لشـئون المملكـة الداخليـة والجنـدي هو المـشرف على شـئون الحكم وهـو بمثابـة رئيـس الـوزراء في المملكـة ويختـاره المـك وهـو أعـلى منصـب بعـد المـك. كـما أنَّ مهمـة اختيـار مـك جديـد، إذا كان هنـاك أكـثر مـن مرشَّـح واحـد، تقـع عـلى عاتـق الجُنـدي.

والجُنـدي، بمقابلـة المـك في أي سـاعة مـن سـاعات النَّهـار أو اللَّيـل. وكل مـن عـزم أن يقابـل المـك عليـه أن يقابـل الجُنـدي أولًا، وهـو كذلـك المسـئول عـن المكوكيَّـة في جنـوب المملكـة: جزيتهـم وهداياهـم تُسـلَّم للمـك بواسـطته.

يعد منصب الجندي من المناصب الرفيعة إذ يختار الجندي ومعه السوكرابي ومجلس الأرابيب الملك الجديد ويقوم الجندي بطقوس جلوس الملك على كرسي الحكم ويتولى تنظيم البيعة للملك وبعدها يكون ذراعه اليمين في الحكم، كما أنه يوصي بشأن مكوك القبائل الخاضعين لسلطة المملكة وهو كبير المستشارين في المملكة وأمين سر الملك.

والجندي أيضًا مسئول عن حراسة الملك وسلامته ومسئول من الأجزاء الشمالية والشرقية من مملكة تقلي.[1]

في أغلب الممالك السودانية يكون الجندي من خارج أسرة الملك أو السلطان وتشير المصادر التاريخية إلى أن مكوك الفونج وفازوغلي قد عمل معهم رجال في وظيفة الجندي وهم من خارج منطقتهم.

3/ السوكرابي

أمَّا المعاون الثَّاني فيسمَّى السوكرابي، ولا يتمتَّع بقدرٍ كبيرٍ من الصَّلاحيات كتلك الممنوحة للجُندي، لكنَّه هو المسئول عن الجزء الشِّمالي والشَّرقي من المملكة. في بعض الأحيان يتم تعيين الوزير، وشاغل هذا المنصب يكون دائمًا من مقرَّبي الملك من أهله.

والسوكرابي صاحب المنصب الثالث في مملكة تقلي ومهمته متابعة تنفيذ قرارات الملك وينوب عن الملك في كثير من مجالس الدولة المهمة في حالة غياب الملك وهي (مجلس أهل الديوان) والذي يتكون من المشايخ الكبار وأهل الطواقي وأقرباء الملك ويتخذون قرارات ترفع للملك للموافقة عليها إذا لم يحضر هذا المجلس.

السوكرابي يكون مسئولًا عن الجزء الجنوبي من المملكة أيضًا ويتابع شئون المكوك المحليين وزعماء القبائل التابعة للمملكة.

مجلس الأرابيب

وهو مجلس مكون من تسعة أعضاء من الكبارات وأقرباء الملك وهو بمثابة مجلس أمناء ويعمل بطريقة يومية ويقدم للملك المشورة.

وهو من أهم مجالس المملكة التي تقرر في كثير من القضايا بموافقة الملك وهو بمثابة لجنة الأمن والدفاع في المملكة. قوة مجلس الأرابيب تعتمد على شخصية الملك، فكلما كان الملك قويًّا كان دور الأرابيب التسعة ضعيفًا، ففي عهد الملك ناصر مثلًا كان دور الأرابيب ثانويًّا للغاية، بينما في عهود يكون فيها الملك ضعيفًا أو صغيرًا يقوى

(1) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، تاريخ مملكة تقلي الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص13.

ويعظـم دور الأرابيـب.

والأرابيـب جمـع لكلمـة أربـاب وهـم أولاد المـك والمكـوك السـابقين الذيـن يشـكلون مجلسًـا مهـمًّا في الحيـاة السياسـية في مملكـة تقـلي وتسـند إليهـم الكثـير مـن أمـور الحكـم، عنـد وفـاة المـك يتـم اختيـار المـك الجديـد منهـم، يسـتقطع لهـم المـك مـن المـال الأراضي التـي يجبـون خراجهـا.

أهل الطواقي

وهـم أهـل الحـل والعقـد مـن أقربـاء المـك مـن السـلالة الحاكمـة والأرابيـب والأعيـان في المملكـة مـن زعـماء القبائـل، فقـد كانـت لهـم امتيـازات وهـم أهـل الشـورى[1] وعـرف أهـل الطواقـي عنـد العبـدلاب أيضًـا وهـم أيضًـا مـن أقربـاء المـك والأعيـان. أهـل الطواقـي هـم رؤسـاء وزعـماء خشـوم البيـوت في تقـلي وهـي:

1. خشم بيت اللبجاب.
2. خشم بيت جد العيال العجيجاب.
3. السوكراب.
4. الكيكاب.
5. الكرجاب.
6. عون الله.
7. أبو نيسي.
8. الروندوقاب.
9. الجيلاب.
10. المسراب.
11. الجزيراب.
12. العمراب التودراب.
13. العبدلاب.

(1) مقابلة مع شرف الدين حاج أحمد، الخرطوم 1/6/2020م.

خشوم البيوت في تقلي تقسم إلى قسمين، هما:

أ/ خشوم البيوت الكبيرة ويعطى زعيم خشم البيت الكبير طاقية أم قرنين ويشكل الزعماء في خشوم البيوت الكبيرة مجلسًا يعرف باسم أهل الطواقي.

ب/ خشوم البيوت الصغيرة ويسمون المزينين، وهؤلاء تقتطع لهم جهة من الجهات يجبون خراجها ويشكلون مع أهل الطواقي مجلسًا يسمى أهل الديوان إلا أن أهل الطواقي أكثر حظوة منهم وصوتهم يفوق صوت المزينين.

مجلس الطواقي أعضاؤه هم:

1. اللبجاب.
2. جد العيال.
3. السوكرابي. (المعلن والمنظم لجلسات مجلس الطواقي ويأخذ مقابل ذلك عطية قدرها ريال من كل شيخ من أهل الطواقي ويسمى ريال السوكرة كما يتسلم الغرامات من المحكومين ويوردها حوش المك).
4. أبو ينسي.
5. الروندوقابي. (شيخ الطواقي في تقلي وكبيرهم). (دورة، ص19).
6. الطاقية الحمراء. (تمنح الطاقية الحمراء لغير القبائل التقلاوية ومنحت لخشم بيت الخلايفة من الكواهلة).
7. طاقية المك.[1]

أهل الجاه

اهتم مكوك تقلي الإسلامية باستيعاب رجال الدين من المتصوفة الذين هاجروا إلى المملكة ومنحوهم امتيازات من أراضٍ واحترام وتقدير وعرف هؤلاء في تقلي (أهل الجاه) ويعتبر هذا التقدير نوعًا من العلاقة الخاصة لاستقطاب رجال الدين لنشر الدعوة الإسلامية وهذا ما ميز مملكة تقلي.

كانت الهجرات التي قام بها رجال الدين من المتصوفة أغلبها مملكة الفونج، فنشرت الدعوة الإسلامية وظهرت الطرق الصوفية وأصبح لها أتباع كثر لهم حلقات

(1) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص19.

القـرآن والذكـر و(الحوليـات) يـضرب فيهـا الطبـل والطـار وينشـد القصيـد ويكـثر المجاذيـب مـن الدراويـش حتـى قـال المتصوفـة إن (أهـل تقـلي قـد برعـوا في القصيـد وضرب النوبـة).[1]

مجلس خشوم البيوت

ويتكـون مـن الأعيـان ومكـوك القبائـل كلهـا وهـو مجلـس ذو أهميـة خاصـة في مملكـة تقـلي وهـو مـن أكـبر المجالـس ويتخـذ قراراتـه بموافقـة أعضائـه ثـم ترفـع للمـك للمصادقـة والمباركـة والتنفيـذ.

يعقـد المجلـس بدعـوة مـن المـك وهـو مجلـس استشـاري كبـير لا يعقـد المجلـس إلا للظـروف الخاصـة أو عنـد تنصيـب المـك الجديـد.

مراسم تنصيب المك في مملكة تقلي

بعـد وفـاة المـك يتـم اختيـار خليفتـه أو المـك الجديـد وتجـرى مراسـم تنصيـب للمـك الجديـد وإعلانـه مـكًّا عـلى مملكـة تقـلي حيـث تقـام المراسـم بعـد دفـن المـك المتـوفى والعـزاء الـذي يسـتمر لعـدة أيـام وخـلال أيـام العـزاء يتـم التوافـق عـلى المـك الجديـد والـذي يكـون مـن سـلالة جيـلي أبـو جريـدة وابنًـا أو أخًـا للمـك المتـوفى ويتـم اختيـاره مـن قبـل الجنـدي والسـوكرابي والأرابيـب والأعيـان ومباركـة أهـل الطواقـي والجـاه.

يعقـد احتفـال كبـير ويوضـع الككـر عليـه فـرش مـن جلـد بقـرة الوجـش (الكتنمبـور) ويدخـل إلى المجلـس فيمسـك الجنـدي بيـده وينـادي بـه مـكًّا عـلى تقـلي ويجلسـه في الككـر ويلبـس الطاقيـة أم قرنـين وبعدهـا يعطـى غصنًـا مـن شـجر السـدر فيقـوم بجـره عـلى يـده فيسـيل منـه الـدم ويعطـى السـيف والمسـبحة في إشـارة إلى أنـه صاحـب السـلطتين السياسـية والدينيـة ويقـرأ القـرآن وتتـم توصيـة المـك الجديـد بالرفـق عـلى رعيتـه والشـفقة عليهـم وتذكـيره بـدور المكـوك السـابقين في نـشر الدعـوة الإسـلامية وذكـر أصلـه ونسـبه ويحـرض عـلى الدفـاع عـن المملكـة المسـتقلة.

ثـم يبـارك لـه ملكـه أقربـاء المـك المتـوفى وأبنـاء المكـوك السـابقين والأعيـان ومكـوك القبائـل وأهـل الجـاه (رجـالات الطـرق الصوفيـة) ويـضرب النحـاس الملـكي والنقـارات والصفافـير والأبـواق ويـضرب رجـال الطـرق الصوفيـة النوبـات وتقـام الاحتفـالات وتذبـح الذبائـح وتقسـم عـلى الفقـراء كـما يتـم توزيـع الصدقـات وتسـتمر الاحتفـالات لعـدة أيـام.

بعدهـا تفـد الوفـود مـن الأهـالي مباركـة للمـك ويكرمهـم بالعطايـا ويجـزل عليهـم

(1) مقابلة مع آدم إبراهيم، الخرطوم، بتاريخ 20/5/2020م.

ويأمر بإقامة الموائد وتستمر الاحتفالات لمدة أسبوع ثم يباشر مهامه كملك للمملكة.

الدور الاجتماعي والسياسي للنساء في المملكة

لعبت النساء دورًا سياسيًّا واجتماعيًّا حيث قمن بحفظ العادات والتقاليد الملكية ويساعدن في كثير من القضايا على رأسها تحفيظ الفتيات القرآن ومراسم تزويج شباب العائلة والمناسبات التي تخص مملكة تقلي، ولعل دور أم الملك (الأرتية)[1] زوجة الملك (الأربابة) من أهم الوظائف الاجتماعية في المملكة.

1 / الأربابة:

وهي زوجة الملك وهي صاحبة وظيفة تشرف على النساء ويجب أن تكون من ذوات الحكمة ورجاحة العقل والأخلاق الفاضلة وأيضًا لها مهمة كشف الدسائس إن وجدت وتشرف على النساء جميعًا وتهم بتعليم الفتيات.[2]

2 / الأرتية:

وهي من أمهات الملوك التي كانت في يوم من الأيام أربابة وهي المشرف العام على النساء وأعراف القبيلة وتشرف على تزويج الملك وتجهيزه وأشهر الارتيات في مملكة تقلي كانت الأميرة أم عجائب (شلة) وهي من نقلت التقاليد الملكية لمملكة تقلي وكانت صاحبة نفوذ عظيم وهي من عزلت ابنها الباطش عمر أبو زنتر عندما طغى وكان لها تواصل مع سلاطين الفونج.[3]

وكذلك الأرتية فاطمة صباح والأرتية حليمة العينة بنت الملك آدم أم دبالو، ولأهمية الأرتية في المملكة كان يوضع لها عنقريب مزخرف في كل الاحتفالات تحيط بها بنات الملوك وتراقب الاحتفالات وتقدم نصائحها لأن الأرتية هي جدة الملوك وراعية العائلة المالكة ولها كلمة مسموعة في المملكة.

تقوم الأرتية والأربابة للتحضير للزواج الجماعي لأبناء الملوك السابقين والملك الحاكم وتساهم في اختيار الزيجات من داخل الأسرة ويعددن الحفل الذي يقام في احتفال كبير في عيد الأضحى من كل عام يعقد لهم الملك وقاضي المملكة في ميدان عام ويكون مهر الزواج ثلاثة ريالات فقط مع خادمة وبذلك يكون زواج أبناء وبنات الملوك أقل مهرًا من العامة

(1) ارتية كلمة من لغة أهل الشمال في دنقلا وهي مشتقة من آرتي بمعني الإله والأرتية تعني الأم أو الجدة الحاكمة الكبيرة في مملكة تقلي

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، تاريخ مملكة تقلي الإسلامية، ص31.

(3) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، تاريخ مملكة تقلي الإسلامية، ص32.

ليكونـوا القدوة لشـعب تقلي وتقام الاحتفـالات ويمنحون الهدايا من مكوك القبائل والأعيان.[1]

كـما تـشرف الأرتيـة مـع الأربابة ونسـاء العائلة المالكة عـلى ختان الأطفال وتقـام احتفالات كبـيرة بهـذه المناسـبة وتـولم الولائـم وتغنـى الأغـاني الشـعبية التـي تشـيد بقـوة الشـباب وسـيرهم عـلى خطـى آبائهـم أصحـاب الملـك في تقـلي وتسـتمر هـذه الاحتفـالات لعـدة أيـام.

أيام السلام

عرفـت مملكـة تقـلي احتفـالًا بأيـام السـلام الثلاثـة وتقـام ابتـداءً مـن اليـوم الأول في عيـد الأضحـى حيـث يحـضر مكـوك القبائـل والأعيـان وشـيوخ الطـرق الصوفيـة والعامـة صـلاة عيـد الأضحـى وتذبـح الأضاحـي.

ويقابـل المـك مكـوك الجبـال التسـعة والتسـعين ويسـتمع لهـم وتحـل الخلافـات بالجوديـة أو أوامـر المـك وتنهـى كل النزاعـات بـين أي طرفـين متنازعـين ويعلـن السـلام في كل المملكـة كـما يعفـو المـك عـن بعـض القضايـا العالقـة، وفي اليـوم الثالـث تقـام مناسـبة الـزواج الجماعـي داخـل الأسرة الحاكمـة.[2]

خروج المك

الجولـة الأولى للمـك يخـرج المـك في موسـم الصيـف (الـدرت) في كل عـام لحضـور مراسـم حـرق النيلـة الشرقيـة ويتفقـد رعايـاه ويـترك أحـد الأرابيـب في عاصمتـه وتسـتمر مـدة خروجـه إلى أسـبوع.

الجولـة الثانيـة ثـم يعـود ويخـرج ليشـهد في نفـس الموسـم حـرق النيلـة الغربيـة ويعـود إلى عاصمتـه في رحلـة حـرق النيلـة يقنـص المـك وحاشـيته ويعـودون ويقـام احتفـال كبـير.

الجولـة الثالثـة في أول الخريـف حيـث يطـوف المـك بالجبـال والقـرى ليتفقـد التحضـير للزراعـة وحسـم مشـكلات ونزاعـات الأراضي وحـث المواطنـين عـلى الزراعـة والعمـل ويسـأل الأهـالي عـن مكـوك الجبـال القبائـل وحكمهـم فيعـزل ويعـين ولا يرجـع إلى عاصمتـه حتـى يطمـئن عـلى نـشر العـدل والسـلام في المملكـة.

ومـما يذكـر أن المـك نـاصر كان باطشًـا مهابًـا في جولاتـه يعتـلي صخـرة ليراقـب الأهـالي الذيـن يزرعـون الـذرة ونحوهـا، وإذا وجـد متعطـلًا عـن العمـل أو شـخصًا لا يعمـل، يقـوم بمعاقبتـه فـورًا مـما جعلـه مهابًـا مـن قبـل شـعبه.

(1) عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص32.

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، تاريخ مملكة تقلي الإسلامية، ص32.

عاصمة مملكة تقلي

تعتبر العباسية هي العاصمة السياسية والدينية لمملكة تقلي الإسلامية وقد انتقل إليها المكوك بعد أن كانت طاسين وكراية عاصمة تقلي في الفترات السابقة إبان القرن السادس عشر أو السابع عشر الميلادي، وظلت العاصمة تنتقل بين قريتي كراية وطاسين حتى في عهد الحكم الخديوي المصري في السودان، وامتد حكم ملوك تقلي إلى مناطق عديدة بما فيها المناطق تخوم النيل الأبيض وسهول شرق كردفان.

تم الانتقال للعباسية في فترة الحكم البريطاني في السودان في العام 1921م وبنيت فيها السرايا في العام 1928م. وتقع العباسية في الجبال الشرقية من جبال النوبة بجنوب كردفان وأطلق عليها هذا الاسم «العباسية» اعتزازاً بنسب مكوك تقلي العباسي الشريفي إضافة إلى أن وظيفة المملكة الدينية والسبب وراء قيامها وهو نشر الدعوة الإسلامية في الجبال الشرقية واليوم العباسية تقلي من كبريات الحواضر في السودان وتتميز بأنها منطقة إنتاج زراعي وبها قطعان المواشي والعديد من الموارد مع حسن مناخها.



صورة لبقايا منازل قديمة في كراية عاصمة مملكة تقلي (المصدر كتاب جانيت إيوالد، الزعامة والتغيير الاجتماعي في منطقة إسلامية مملكة تقلي 1780-1900م ترجمة معاوية عبد الرحمن الزيبق)

قصة خسارة تومالي المركز القديم

تقـع تومـالي إلى الغـرب مـن العباسـية تقلي وهـي الحاضنـة القديمة للسـلطة في تقلي، وقد خـسرت نفوذهـا السـياسي بعـد نشـأة المملكـة بعـد بروز سـلطة أحفاد السـائح الفقـير محمد الجعـلي الذيـن وصلـت إليهـم السـلطة عـن طريـق الوراثـة وقدمـت معهـم اللغـة العربيـة والثقافـة الإسـلامية اللتـان أصبحتـا مـن أبـرز معـالم مملكة تقلي التـي أضحت سـمة للمملكة.

ووجـد سـكان تومـالي أنفسـهم هدفًـا للهجـمات المتكـررة التـي كان يشـنها النخاسـة عـلى اعتبـار أن التحـولات لم تكـن فيهـا مواكبـة لمركـز المملكـة في طاسـين وكرايـة والهـوي ولاحقًـا العباسـية تقـلي، عـلى الرغـم مـن سياسـة المكـوك التـي كانـت تقـف أمـام هجـمات النخاسـة مـن التجـار النهاضـة الذيـن عاثـوا في هـذه المناطق فسـادًا وكان مـن يقبض عليـه مكوك تقلي يحاسـب حسـابًا صعبًـا، فالتاريـخ يذكـر دوكـة المـك نـاصر التـي يلقـي فيهـا تجـار الرقيـق.

أدوات الحكم والولاية في مملكة تقلي

راية المملكة

أول مـك في مملكـة تقـلي اتخـذ رايـة هـو المـك جيـلي عـون اللـه، وقـد اسـتعمل رايـة بيضـاء عليهـا كلمـة التوحيـد، وذلـك في مطلـع عهـده بالحكـم في مملكـة تقـلي الإسـلامية، حيـث هـرب أمـير مـن أمـراء الفونـج مـن سـنار وهـو الأمـير عاليـب حفيـد المـك بـادي والتجـأ إلى منطقـة تادنـك فأخـبره عيـون المـك فأرسـل إليـه وأكرمـه ووجـد الأمـير الفونجاوي أن تقاليـد المـك في مملكـة تقـلي ضعيفـة فنظـم ديـوان الملـك.[1]

الأمـير عاليـب بـن عمـر بـن المـك بـادي الفونجـاوي هـو مـن أدخـل أدوات الملـك في بـلاط تقـلي مـن نحـاس وككـر وطواقـي وأسـلحة وأصبحـت ذريـة الأمـير عاليـب الـذي اقتطـع لـه حوشًـا يدعـون الجنديـاب وهـم مـن العبـدلاب مـن جهـة أمهـم ومـن سـلاطين الفونـج مـن جهـة آبائهـم.[2]

وكان الأمـير عاليـب هاربًـا يريـد تأسـيس مملكـة في جبـال شـيبون في عهـد المـك جيـلي أبـو قـرون، وقـد اسـتقر في تادنـك فأرسـل لـه المـك جيـلي أبـو قـرون وأكرمـه واقتطـع لـه مـن الأرض وجعـل معاشـه مـن الفرشـة[3] وجعـل لـه حرسًـا ورجـالاً مـن حولـه فنظـم الملـك في تقـلي.

---

(1) مقابلة مع التجاني حاج أحمد، الخرطوم الشقيلاب، بتاريخ 18/6/2020م

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص26,

(3) الفرشة وهي ديوان المك ومكان سكناه.

تـزوج الملـك جيـلي أبـو قـرون عجائـب أم شـيلة، وتـزوج الأمـير عاليـب وأنجب منهـا الملك محمـد والملـك عمـر أبـو زنـتر وتنـازل جيـلي أبـو قـرون وعاليـب للمـك محمـد الـذي أصبحت تقـلي في عهـده قويـة مانعـة، وتـزوج عاليـب عائشـة الحـرم بنـت الملك جيـلي أبـو قـرون.[1]

أدخـل الأمـير عاليـب الفونجـاوي في مملكـة تقـلي مظاهـر الأبهـة السـلطانية وأشـار بـضرورة عمـل الرايـة فاتخـذت مـن قـماش أبيـض عليـه كلمـة التوحيـد وأصبحـت تحمـل أمـام الملـك عنـد خروجـه.

وكان الأمـير الفونجـاوي ذا درايـة بشـئون الحكـم فعـرض عـلى الملك جيـلي عـون اللـه أن ينظـم لـه السـلطنة فاتخـذ لـه الرايـة ونحـاس الملك وميـزه عـن النحاسـات الأخـرى المنتـشرة عنـد القبائـل التـي تنضـوي تحـت سـلطته، كـما سـاهم في تحديـد كـرسي الملـك (الككـر) وأضـاف نوعًـا مـن الأبهـة والعظمـة لمكـوك تقـلي وهـو مـن نظـم الإرث الملـكي.[2]

ويعـود اختيـار كلمـة التوحيـد إلى تأثـر مكـوك تقـلي بالـدور الطليعـي للمملكـة والهـدف الـذي ظهـرت مـن أجلـه وهـو نـشر الدعـوة الإسـلامية في جبـال النوبـة إضافـة إلى التأثـير الواضـح للطـرق الصوفيـة في الحيـاة السياسـية والاجتماعيـة ومـدى تقديـر المكـوك لحملـة رايـة الدعـوة الإسـلامية واهتـمام المكـوك بشـئون الديـن.

النحاس

والنحـاس عبـارة عـن طبـل كبـير مصنـوع مـن النحـاس الأحمـر، وهـذا مـا يميـزه عـن النوبـة والنقاقـير، وتكـون معـه مجموعـة طبـول نحاسـية صغـيرة، يـضرب بطريقـة معينـة فيصـدر أصواتًـا مفهومـة وهـو نـوع مـن التشريـف وواحـد مـن أدوات وآلات الملـك في الممالـك السـودانية.

ويسـتخدم في الحـرب أيضًـا وفي الأعيـاد وعنـد تنصيـب السـلطان، ويحافـظ عليـه جيـدًا عـلى اعتبـار أنـه إحـدى أدوات السـلطة ويعتـبر مـن العيـب الكبـير إهمالـه أو تركـه للعـدو في الحـرب، وتوجـد أنـواع عديـدة مـن النحاسـات ويعتـبر النحـاس الملـكي أو السـلطاني مـن أقيمهـا وأعلاهـا شـأنًا.

مملكـة تقـلي اشـتهرت بـأن نحاسـها المميـز لم يسـقط في يـد العـدو وهـذا دلالـة عـلى اسـتقلالية المملكـة وعـدم خضوعهـا لأي سـلطة خـلاف سـلطة مكوكهـا، كـما اشـتهر التقلاويـون بمعرفتهـم ومهارتهـم في ضرب النحــاس.

(1) نفس المرجع السابق، ص26.

(2) مقابلة مع التجاني حاج أحمد، الخرطوم الشقيلاب، بتاريخ 18/6/2020م

موسـم تجليـد النحـاس في الممالـك أو عنـد القبائـل السـودانية مـن الأعيـاد المهمـة، والتجليـد هـو إعـادة ترميـم النحـاس، فتذبـح الذبائـح ويختـار جلـد الثيران القويـة والجميلة فتدبـغ وتجلـد في احتفـال كبـير.

كـما للقبائـل والمكـوك نحـاس أيضًـا وتتميـز كل قبيلـة أو مملكـة بنـوع الضربـات والنغمة التـي تشـير إلى حادثـة بعينها.

النقارة

اشـتهرت مملكـة تقـلي بـين الممالـك السـودانية بوجـود النقاقـير وهـي جمـع للنقـارة، وهـي مجموعـة مـن الطبـول خـلاف النحـاس وتـضرب في الاحتفـالات وهـي مأخـوذة مـن المتصوفـة الذيـن عـرف عندهـم النوبـات وهـي جمـع النوبـة.

النقـارة مـن آلات الحـماس والطـرب والتمجيـد للمملكـة وتـضرب بنغـمات معينـة وقـد أورد عـن نقاقـير تقـلي ود ضيـف اللـه صاحـب كتـاب الطبقـات وكاتـب الشـونة وكتـب الرحالـة[1] والنقـارة مـن الآلات السـودانية القديمـة التي اسـتخدمت في كل الممالك السـودانية وتتميـز في كل منطقـة عـن الأخـرى في أحجـام الطبـول والدفـوف وطريقـة ضربهـا والنغـمات الصـادرة عـن النقـارة.

الككر

وهـو مقعـد مـن الخشـب ينجـر بطريقـة معينـة، وهـو يماثـل كـرسي الملـك، عنـد تنصيب المـك الجديـد يتـم إخـراج الككـر ويجلـس عليـه ويمـر الأعيـان والأرابيـب ويباركـون لـه ملكـه، والككـر اسـتخدم في كل الممالـك السـودانية وأصبـح رمـزًا للملـك والجـاه والسـلطة.[2]

الفاشر

وهـو ميـدان اسـتعراض الجيـوش والمحاربين، وقد أخـذه الأنصار في فترة حكـم الخليفة عبد اللـه التعايـشي مـن تقاليـد مملكة تقلي وأسـموه العرضة وهـو أيضًا مكان اسـتعراض الجيوش.

يقـوم عـمال المـك بترتيـب القبائـل ورجـال الطـرق الصوفيـة في ميـدان الفـاشر (العرضـة) وهـو ميـدان كبـير مفتـوح ويتقصدهـم المـك ويسـتمع لشـكواهم وبذلـك أخـذت العرضـة في مملكـة تقـلي شـكلًا مميـزًا لكونهـا ملتقـى لعـرض المظـالم واسـتعراض جيـوش المـك والقبائـل وتقـام الاحتفـالات الشـعبية (الألعـاب) وحلقـات الذكـر والإنشـاد الدينـي.

(1) د. محمد إبراهيم أبو سليم، أدوات الحكم والولاية، مرجع سبق ذكره، ص13.

(2) د. محمد إبراهيم أبو سليم، أدوات الحكم ولاية في السودان، دار الجيل بيروت، لبنان، 1992م، ص23.

السبحة والشال

وتعبير السبحة والشال من الإشارات الملكية التي توضح دور المملكة الديني ومكانة المك واهتمامه بنشر الثقافة العربية وارتباط المكوك بمراسم إجازة الشيوخ وإعلان خلافتهم، لذلك لم يكن مكوك تقلي بعيدين عن حلقات الذكر والتصوف التي وفروا لها الحماية والرعاية والدعم المادي والمعنوي.

وتقام العرضة في ميدان كبير بحضور المك والأعيان وجمهور غفير من سكان تقلي، ويمر الجيش أمام مجلس المك ويحييه، كما يتم استخدام الككر في الاحتفالات، والككر أخذ في الممالك السودانية من مملكة الشلك (مملكة شلو).

الككر والنقارات والسيوف الملكية يتم حفظها في مكان خاص وتكون ملفوفة بقماش فاخر، عرف الككر في كل الممالك السودانية كمظهر من مظاهر التتويج ويحفظ لا يستخرج إلا في حفل كبير، في الحالات العادية يجلس المك في سجادة مطرزة ويرتفع قليلًا عن الأرض.

كما عرف المتصوفة أيضًا الككر في مراسم اختيار الخليفة للشيخ المتوفى، وأشهر ككر عند المتصوفة كان عند اليعقوباب[1] وكذلك بعض الإدارات الأهلية العريقة كانوا يهتمون بإظهار الككر كمظهر من مظاهر النفوذ والسلطة في مجتمعاتهم.

الجيش في مملكة تقلي

كانت الجيوش في الممالك الإسلامية غير نظامية قوامها السكان المحليون الذين يتم استنفارهم في أوقات الطوارئ والغزو، لكن قلة قليلة من الرجال كانوا هم قوام الجيوش مهامهم حراسة المكوك والسلاطين وحفظ الأمن، وكانت تجرى لهم العطايا والرواتب.

في مملكة تقلي التي استفادت من جسارة إنسان جبال النوبة القوي والمحارب، فقد كانوا محاربين أشداء ولديهم ميل فطري للاستقلالية، كما وفرت طبوغرافيا الأرض الجبلية والوديان، لذلك استطاعت تقلي أن تحافظ على استقلاليتها السياسية ولم تخضع لمحاولات الفونج والمسبعات والفور والأتراك، فقد وقعت محاولات كثيرة لسلب مملكة تقلي استقلالها السياسي، إلا أن هذه الحملات كلها تكسرت أمام صمود وصلابة مقاتلي المملكة القوية.

فقد كان مكوك تقلي يقفون بحزم أمام حملات النهاضة وهم تجار الرقيق الذين

(1) نفس المرجع السابق، ص28

يغـزون جبـال النوبـة في موسـم الجفـاف مـن كل عـام، فقـد جهـز الملك نـاصر جيشًـا لتأديبهم وطردهـم مـن الجبـال ومـن يقبـض عليـه يعاقـب في (دوكـة الملـك نـاصر) وهـي صخـرة حامية يلقى فيها تجار الرقيق عرايا، وهي عقاب قاسٍ يؤدي إلى الموت. كان مكوك تقـلي يسـتنفرون القبائـل المحليـة مـن العـرب والنوبـة في حروبهـم، ويتـم منحهـم جـزءًا مـن الغنائـم في الحـروب التـي يشـنها المكـوك.

التدريب والرتب في الجيش

جعـل مكـوك تقـلي «حيشـانًا» مقفولـة لتدريـب مـن يقومـون بخدمتهـم، فكانـوا في المعسـكرات يدربونهـم عـلى الفروسـية واسـتخدام السـيف والحربـة والسـهام والأسـلحة الناريـة ويسـمى المعسـكر أو الحـوش بالورشـة[1] وفي الورشـة أو الحـوش تصنـع الـسروج والفرايـات واللجامـات وخياطـة الملابـس وسياسـة الخيـول وكذلـك آداب الحـوش ومعاملـة الأربـاب والأعيـان والمكـوك، ويسـمى هـؤلاء الجنـود الكربويـات وهـم المواليـد ومعهـم الأمنـاء وهـم مـن أبنـاء خشـوم البيـوت الضعيفـة والمواليـد وهـؤلاء يخدمـون في حـوش الملك.

القواويـد وهـم القـادة في الحـوش وهـم مـن يشرفـون عـلى تدريـب الجيـش وهـم أهـل الصنعـة ويـشرف أيضًـا الحـوش عـلى تأهيـل أولاد المكـوك يحضرهـم لحضـور مجالـس الملـك ولا يتكلمـون بـل يسـتمعون إلى المـداولات بغـرض تعليمهـم أدب الحكـم.

الانقلاب على الملك في تقلي

في المجمـل يمكـن القـول إن الحيـاة السياسـية في مملكـة تقـلي كانـت مسـتقرة ولم تحدث نزاعـات داميـة إلا في انقـلاب الملـك المريـود وانقـلاب نـاصر عـلى عمـه الملـك المريـود وحالـة أخـرى هـي خلـع الملـك نـاصر وتوليـة الملـك آدم أم دبالـو أو مـا تـم للملـك عمـر أبـو زنـتر الـذي خلعتـه أمـه الأمـيرة (شـلة) أم عجايـب ونصبـت أخـاه الملـك محمـد.

في الغالـب يتـم الاتفـاق عـلى توليـة الابـن الكبـير للملـك المتـوفى مـن قبـل الجنـدي والسـوكرابي والأرابيـب والأعيـان والمكـوك ويتـم إكـرام أبنـاء الملـك المتـوفى الآخريـن بتوليتهـم عـلى مقاطعـات المملكـة.

السرايا أو قصر الحكم

طـوال فـترة حكـم مكـوك تقـلي تنقلـت العاصمـة في المملكـة بـين طاسـين وكرايـة، إلى

(1) الورشـة معسـكر تأهيـل وتدريـب الشـباب لينضمـوا للجيـش وهـي معسـكر مقفـول يمكـث فيـه الشـاب مـدة معلومـة مـن الزمـان يتعلـم فيهـا العديـد مـن الصنائـع وفنـون الحـرب.

العـام 1921م حيـث اعتـبرت كرايـة مركـزًا حكوميًـا خاضعًـا لسـلطة مديريـة جبـال النوبـة التـي أصبحـت عاصمتهـا في تلـودي، بعـد أن نقـل المركـز مـن كرايـة إلى العباسـية تقـلي التـي خططـت عـلى نهـج حديـث في العـام 1928م، فبنيـت أول سرايـا لمـك تقـلي الـذي سـلبت سـلطاته وأصبـح لديـه سـلطات الإدارة الأهليـة مثلهـا ومثـل سـلطة مـك الفونـج.

بنـى السرايـا مقـاول مـصري في العـام 1928م وأصبحـت مـن معـالم مدينـة العباسـية تقـلي، وتفيـد كل المصـادر التاريخيـة أن مكـوك تقـلي الأقدمـين لم تكـن لهـم سرايـا في كرايـة بـل ديـوان عـادي وعليـه فـرش أرضي، يتميـز المـك بـأن فرشـه أطـول قليـلًا مـن الجالسـين معـه، وفي هـذا نـوع مـن التـأسي برجـالات وشـيوخ الطـرق الصوفيـة ولم يكـن هنـاك نـوع مـن الأبهـة السـلطانية التـي في كل الممالـك الإسـلامية، وذلـك يتـماشى مـع أهـداف المملكـة الراميـة إلى نـشر الدعـوة الإسـلامية وهدايـة النـاس إلى ديـن اللـه.

في السرايـا كانـت الفـروة مـن جلـد الثـور والسـبحة والأزيـار (التيبـار) والـبروش والسـجاد (الكليـم) مـن أهـم أدوات السـلطة في مملكـة تقـلي الإسـلامية.

العملات في مملكة تقلي

لم تعـرف مملكـة تقـلي سـك العملـة الخاصـة بهـا، ولم تسـك عمـلات خاصـة بهـا ولا يعـرف عـن تاريـخ تقـلي عملـة، إذ كان المواطنـون يتعاملـون بالتبـادل بـين السـلع والمقايضـة إلى عهـد المـك نـاصر حيـث حـدث انفتـاح في مملكـة تقـلي عـلى العـالم الخارجـي ودخلـت العمـلات المصريـة وريـال ماريـا تيريـزا والعمـلات التركيـة الأخـرى ولكنهـا لم تكـن كثـيرة وكان تداولهـا محـدودًا للغايـة.

إلا أن المملكـة اسـتمر سـكانها في المقايضـة والتبـادل بـين السـلع والخدمـات فكانـت الذرة والمـواشي والأعـمال يتـم الاتفـاق عـلى التبـادل، وبجانـب العمـلات التـي وفـدت مـع التجـار كان الأهـالي ميالـين للتبـادل التجـاري.

في عهد المهدية ظهر ريال مقبول وأصبح السـكان يتبادلون به لكنه لم يكن بالقوة المطلوبة في السـوق، وذلـك بسـبب عـدم اعـتراف الأهـالي بسـلطة المهديـة عليهـم والتي شـنت حملات كثـيرة عـلى جبـال النوبـة واسـتهدفت أخذ العشـور والضرائـب من الأهـالي بواسـطة الجهادية الذيـن كانـوا قسـاة في عملهـم مـع كـثرة النهـب والسـلب وكان حـظ العملـة المهديـة قليـلًا.

لم تشـهد منطقـة تقـلي تعامـلًا رسـميًا بالعملـة إلا بعـد العـام 1898م بعـد كـرري حيـث سـلم المـك للإنجليـز الذيـن افتتحـوا مراكـز إداريـة في جهـات تقـلي.

الأعراف والتقاليد في مملكة تقلي

العرف هو منظومة حياتية كاملة حافظت على إنسان جبال النوبة منذ الأزل، وتعتبر مناطق جبال النوبة من المناطق الغنية بالأعراف والتقاليد التي تحكم العلاقة بين النوبة ومن خالطهم من القبائل العربية، وتحدد الأنظمة الاجتماعية وتنظم العلاقة بين المواطنين وتحل الأزمات الكبيرة مثل الديات (في جرائم القتل) وعقوبات الجرائم الأخرى وتعاون العمل كحالة النفير وغيرها مما ينظم الحياة الاجتماعية والسياسية.

تجد الأعراف والتقاليد نوعًا من الاحترام والتقدير على اعتبار أنها مصدر من مصادر التشريع الملزم، وعلى الرغم من أن مملكة تقلي الإسلامية قامت على الشريعة الإسلامية والاحتكام لها، إلا أن بعض الأعراف بقيت حاضرة في الاحتفالات السنوية وحفلات تنصيب المكوك وفي موسم الزراعة وفي القنيص والنفير وغيرها من مظاهر الحياة.

من الناحية السياسية كان على رأس المملكة مك عموم تقلي تحته مكوك القبائل المختلفة ومناديب العرب الرحل التي تكون المملكة، وكل مك مستقل استقلالًا كاملًا عن المك الآخر بطريقة فدرالية وذات مرونة فائقة ويفوضه مك مكوك تقلي ويمنحه سلطاته كاملة بالنيابة عنه في حدود دائرته، وتحت كل مك عدد من العمد، وتحت كل عمدة عدد من الشيوخ.

فكان العرف السائد هو أن المك يحكم حكمًا مطلقًا وتتبع له كل الأراضي في المملكة والمك له سلطة على كل فرد من أفراد رعيته[1] لكنه يحكم شعبه بالشورى مع مجلس الأرابيب[2] والأعيان ووزيريه الجندي والسوكرابي، لكن يظل المك صاحب الكلمة الأخيرة في شئون المملكة.

مستوى العلاقة بين مك مكوك تقلي ومك كل قبيلة يتمثل في أربع علاقات كالآتي:

المجاعات، أن تلعب المملكة دورًا في توفير الغلال والغذاء إلى تلك الجهات التي تضررت من المجاعة لشح الأمطار أو الآفات.

مغارات الاحتلال، في حالات الغزو أو الاحتلال توفر المملكة قوة عسكرية لذلك كما أن الجبال المجاورة لذلك الموقع تصل للدفاع عن ذلك الموقع وهو أمر متفق

(1) نسيم مقار، الرحالة الأجانب في السودان، مرجع سبق ذكره، ص166.

(2) مقابلة مع شرف الدين حاج أحمد، تمت الإشارة إليها.

عليه حيث كان ذلك في فترة الحكم التركي بما يعرف بالصريف حيث تعسكر القبائل في خط الشمال من شركيلا حتى تخوم أبو زبد.

مغارات الاسترقاق، توضع قوات عشوائية متحركة من المملكة وكذلك تتحرك مجموعات من كل جبل في شكل أطواف تأمينًا للمنطقة وتصديًا للشناكيت «حملات صيد الرقيق» حيث لعب الحوازمة دورًا في مساعدة حملات صيد الرقيق بحكم معرفتهم لجغرافية المنطقة وكذلك لعبوا دورًا كسماسرة.

استخراج الذهب، ويستخرج من محجر جبل شيبون ومندي وهذا يمثل دور الثروة ومصدر دخل المملكة، حيث تم الاتفاق بين المك محمد بن المك جيلي أبو قرون 1668م-1702م وبين مك كادقلي وتم إحضار الصناعية من سنار وأرسل معهم مجموعة من تقلي إلى جبل شيبون كما أبقى برئاسة المملكة في طاسي الصناعي تبيدي جد التبيداب صناع الذهب حيث يصل الخام من جبل شيبون ويصنعه ثم يصدر حيث يعطى مك كادقلي نسبة متفقًا عليها من الإنتاج.

سبل كسب العيش والاقتصاد

ازداد نفوذ مملكة تقلي نتيجة لتوسعها واستقلالها وقدرتها على الدفاع عن مصالحها والتعامل الندي مع الإدارة الخديوية المصرية التي ابتلعت كل الممالك السودانية في إقليم سنار وكردفان ودارفور.

وأصبحت المملكة كما شاع تحكم 99 جبلًا في جبال النوبة الشرقية وقد ارتبط هذا العدد من الجبال بالذاكرة السودانية، فجبال بني شنقول والجبال المكونة لسلسلة جبل مرة بنفس الرقم وهذا ما يدل على اتساع المملكة وهيبة حكامها وإخضاعهم لسكان الجبال الأقوياء والأشداء، وبلغت مملكة تقلي أوج قوتها في عهد المك ناصر والمك آدم أم دبالو وفي عهد المك ناصر سميت بمملكة تقلي الإسلامية لاهتمامه بالعلم والعلماء ورجالات الدين وإكرامهم واقتطاعهم الأرض ليستقروا لنشر الدعوة فوفد إليها عدد كبير من رجالات الطرق الصوفية والدعاة وتركوا أثرًا طيبًا واختلطوا بالمجتمعات المحلية وصاهروهم.

الذهب في مملكة تقلي

في عهد المك جيلي أبو قرون توسعت مملكة تقلي وضمت جزءًا كبيرًا من الجبال الغربية وصلت حدودها إلى كادوقلي وضمت جبال مندي وشيبون اللذين اشتهرا بتعدين الذهب وكان عدد من المنقبين عن الذهب قد استقروا في جبال شيبون.

فأقام المك جيلي أبو قرون حوشًا كبيرًا في جبال شيبون، فعمد إلى استجلاب الخبراء في التعدين من مملكة الفونج واقتطع لهم قرية السمة لتكون سكناهم ومونهم بكل ما يلزم، لكن الأهالي ذكروا أن لهم كجورًا كبيرًا يقوم بعمله ليتمكنوا من استخراج الذهب فأخبروا المك جيلي أبو قرون الذي أعطى الكجور ما يطلبه من طلبات وكانت عبارة عن ملابس حمراء وتيوس زرقاء ونحوها، وأقاموا في كراية عاصمة تقلي أيامًا وعادوا إلى قراهم في جبال شيبون وبدأ المنقبون في تعدين الذهب واستخرجوا ذهبًا كثيرًا ساهم الذهب المستخرج في ثراء ومنعة وقوة مملكة تقلي.[1]

كان المعدنون عن الذهب في جبال تقلي يتعرضون لهجمات من الفونج للسيطرة على المعدن النفيس، ولكن الفونج لم يحققوا سيطرة تامة على جبال شيبون، وكذلك في فترة الحكم التركي المصري إذ أرسل محمد علي باشا الخبير روسيجير ومعه فرقة قوامها 400 رجل للسيطرة على جبال شيبون وفشلت حملات السيطرة على جبال شيبون حيث أرسل خورشيد باشا حملة في فترة حكمه ولم تفلح في السيطرة على مناطق تعدين الذهب ومن بعده حاول مصطفى بك حاكم كردفان أيضًا السيطرة على جبال شيبون.

إلا أن مقاومة الأهالي ومنعة وقوة مملكة تقلي كانت السبب الأساسي في فشل الحملات واكتفى الأتراك بالقيام بغارات لصيد الرقيق والاستيلاء على الذهب المعدن بواسطة الأهالي، ولم تدم سيطرتهم طويلًا، حيث كان محمد علي باشا يرغب في السيطرة على مناطق تعدين الذهب في السودان ولم يحقق آماله العريضة في استجلاب الذهب للقيام بغاراته ومغامراته الخارجية.

وكان محمد علي باشا خديوي مصر قد قام برحلة إلى جبال فازوغلي مستهدفًا في زيارته أماكن تعدين الذهب في السودان، وقد جاء في التقرير الرسمي لزيارة محمد علي باشا للسودان ما نصه (ويتضح من هذا أن معدن الذهب موجود بالفعل في هذه البلاد، ولهذا اعتزم جانبنا العالي زيارة السودان لما في هذه السياحة من مبررات حسنة، وقرر الوصول إلى معرفة حقيقة هذا التبر).[2]

ولم تكن جبال النوبة على وجه العموم وجبال شيبون على وجه الخصوص غائبة عن ذهن الباشا الطامع في الاستيلاء على هذا المعدن النفيس بأي صورة، لذلك استوفد الخبراء الأجانب لتعدينه لكن الهم الأمني وعدم الاستقرار أفشلا خططه التي كان يرغب في تنفيذها، بجانب قنص أكبر عدد من الرقيق لتجنيدهم في جيوشه وذكرت

(1) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص 50.

(2) حسن أحمد إبراهيم، رحلة محمد علي باشا إلى السودان التقرير الرسمي 1839-1838، معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية، الخرطوم،1991، ص14.

العديد من المراجع أن محمد علي باشا في كل مكاتباته كان يؤكد على الاستحصال على الذهب والعبيد بأسرع ما يمكن وإرسال العبيد والذهب لمصر بأعجل ما يكون.[1]

كنز الملك آدم أم دبالو المفقود

بعد خروج المهدي إلى كردفان وقراره بفتح حاميات الحكومة، فإنه أرسل للملك آدم أم دبالو أن يشترك في الهجوم على الأبيض وذلك قبل وقوع معركة الجمعة الشهيرة التي حاول الأنصار فيها اقتحام الأبيض عنوة، فقر الرأي على إخفاء الذهب والمتعلقات القيمة حيث كان عدد من الأرابيب والقضاة يعارضون سفر الملك آدم أم دبالو للاشتراك مع المهدي، حيث كان أبرز المعارضين القاضي ميرغني ود تميم كبير قضاة تقلي ومع إصرار الملك آدم أم دبالو على السفر تم الاتفاق على إخفاء الذهب والمتعلقات الثمينة، فجمع عددًا من العبيد وحملوا الكنز إلى جهة مجهولة، يقول الأستاذ عبد القادر محمد دورة إنه تم الحفر داخل حوش الملك آدم أم دبالو وتم حفر بئر عميقة وأودع فيها ذهبًا بالقناطير والسيوف الثمينة وأدوات الملك وكل أمر ثمين ودفنت وتم إعدام كل العبيد الذين ساهموا في حفر البئر للحفاظ على الأمر سرًّا.

وتقول رواية الأرتية حليمة العينة بنت الملك آدم أم دبالو إن عبيد الملك آدم حفروا بئرًا عميقة داخل بيتهم ووضعوا فيها الذهب وتم قطع رءوس العبيد الذين دفنوا الكنز المفقود.[2]

كانت محاولات المهدية في الحملات التي أرسلت في فترة حكم الخليفة عبد الله مركزة في إخضاع النوبة والعمل على تحصيل الذهب والبحث عن كنز الملك آدم أم دبالو لم تقف يومًا واحدًا حيث استجوب كل من له علاقة بالملك المذكور.

ويجب أن نشير إلى أن الخليفة عبد الله قد جمع قدرًا هائلًا من الذهب والمجوهرات والنفائس في أم درمان ووضعت في حوايا من الجلود، إلا أنها اختفت لحظة دخول الإنجليز لبيت الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان، ووجدت الحوايا ممزقة ومعها أواني فخارية مكسرة، وظل الكنز مختفيًا إلى يومنا هذا لم يظهر منه شيء حتى الآن حسب ادعاء ونجت باشا وفقًا لما جاء في تقارير المخابرات البريطانية التقرير رقم 60 ملحق كنز الخليفة عبد الله التعايشي.

---

(1) مكي شبيكة، مقاومة السودان للغزو والتسلط، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1972، ص29.

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره ص 51.

ويلاحـظ في كل الممالـك التـي نشـأت في السـودان بعـد سـقوط الممالـك المسـيحية أن غريبًـا مـن العـرب وشريفًـا صاهـر سـلطانًا محليًّـا ونتـج عـن المصاهـرة تـولي سـلالته الحكـم، فسـليمان العـربي أو سـولونج قـد صاهـر الفـور وحكـم أسـلافه، وقـوة الزبـير أيضًـا مـن مصاهـرة المـك تكمـة وزواجـه مـن رانبـوه وارتفـاع حظـه وتحولـه مـن تاجـر إلى حاكـم وتحالـف العـرب الأمويـين مـع الفونـج وحكمهـم لسـنار وغيرهـا، تطـول الأمثلـة لكثرتهـا.

ربمـا يكـون هـذا مـن أن الأفارقـة يتبنـون النظـام «الأمومـي» حيـث يحكـم أبنـاء البنـت وذلـك عـلى خـلاف العـرب الذيـن يتبنـون نظامًـا «أبويًـا» فنتـج عـن هـذا التـمازج بـروز جيـل مـن الحـكام الجـدد وجيـل مـن العـوام لا يمكـن أن يوصـف بأنـه عـربي خالـص أو زنجـي خالـص بـل هجـين، ويمكـن تطبيـق هـذه النظريـة عـلى حـكام مملكـة تقلي الإسـلامية أيضًـا، ونتيجـة للتـزاوج بـين العنـصر العـربي والزنجـي ظهـرت طائفـة مـن السـلاطين الذيـن امتـد حكمهـم لفـترة مـن نهايـة القـرن الخامـس عـشر إلى القـرن التاسـع عـشر.

كـما تشـير الأحاجـي السـودانية في المرويـات والشـفاهيات إلى أن مكـوك تقـلي قـد حكمـوا تسـعة وتسـعين جبـلًا وأن سـلاطين الداجـو إبـان حكمهـم كانـوا يحكمـون تسـعة وتسـعين جبـلًا أيضًـا، وهنـا يشـار إلى مرويـة السـلطان كسـو بـرو سـلطان داجـو الـذي قـال حسـب القصـص المرويـة (الجبـل داك قاعـد براهـو مالـو وباقـي الجبـال التسـعة والتسـعين قاعـدة مـع بعـض جيبـو جبـل مـع إخوانـو واجتهـد الداجـو في نقـل الصخـور ومـات عـدد منهـم ولم تخلصهـم إلا عجـوز حكيمـة منـه بـأن قالـت للسـلطان انـت ركبـت كل شيء مـا عـدا التيتيـل فغضـب وأمـر بإحضـاره ولمـا ركـب فيـه هلـك واسـتراح النـاس منـه).

وإن سـلاطين البنـي شـنقول أيضًـا يتمـددون في تسـعة وتسـعين جبـلًا، ومكـون إثنـي يدعـى بالقبائـل والجبـال الفابئيـة مثـل فامـكا فازوغـلي وفـداسي وفـددي ونحوهـا، وكذلـك تمـدد حكـم السـلطان عـلي دينـار إلى أكـثر مـن مئـة جبـل وهـو أمـر يشـير إلى منعـة السـلطنة واتسـاع رقعتهـا ولا يخلـو مـن ارتبـاط بالمفاهيـم الصوفيـة حـول أسـماء اللـه الحسـنى وتعـداد المسـبحة والأوراد التـي تـردد تسـعًا وتسـعين مـرة.

كـما يجـب أن نـورد عـلى سـبيل المقارنـة في الأدب الشـفاهي قصـة العجـوز التـي تسـاهم في إدارة الشـأن العـام، وهنـا في تقـلي نـورد قصـة (شـلة) أم عجايـب الأمـيرة الفونجاويـة وأم المـك أبـو زنتـير الـذي طغـى وبغـى فتخلصـت منـه بحكمـة وعجوبـة الخربـت سـوبا وعجوز مملكـة الداجـو دائمًـا ترتبـط قصـص ملحميـة وثوريـة بنسـاء واعيـات وماكـرات ومؤثـرات،

ولعل دور الحكامة في حالتي السلم والحرب من أحد أوجه المشهد التاريخي في السودان.

أخلص من هذه المقارنات السريعة إلى أن منطقة جبال النوبة بشقيها الشرقي والغربي لم تكن معزولة عن المجتمعات النيلية والكردفانية والوسطى أو عن مملكة دارفور بل كان هناك نوع من التفاعل والتداخل وكانت مملكة تقلي الإسلامية هي رأس الحربة في هذا التواصل ولم يكن النزاع تاريخيًّا تحركه العقائد بقدر ما، أو تحركه العرقيات لكن تحركه المصالح.

لم تكن تقلي استثناء من هذه القواعد على اعتبار أنها إحدى الممالك السودانية الإسلامية التي ارتبطت بمفهوم النسب الشريفي وحكم تسعة وتسعين جبلًا والعجوز الحكيمة أيضًا، وغيرها مما يورد في كثير من المرويات السودانية والشفاهيات التي يصعب التحقق منها لوجود العديد من النظريات التي لم تتشكل حول أصول الجنس العربي في السودان، هل هو كوشي أم نوبي أم عربي أم هجين؟ وهل الجنس الهجين هو الكوشي نفسه؟ المهم أن ملامح الشخصية السودانية الحالية عربية وزنجية تتطابق مع ما وجد من نقوش ورسومات، وتحتاج هذه الفرضيات إلى مزيد من البحوث التاريخية الجادة، وكان عليَّ تفجير رءوس هذه الموضوعات مع التقدير التام للمرويات والشفاهيات السودانية.

علاقة تقلي بجوارها الحروب والسلام

يمكن الجزم بأن فضل مملكة تقلي في نشر العقيدة الإسلامية في جبال النوبة الشرقية ومحاولتها لنشره في الجبال الغربية لم يكن كله باستخدام القوة، وإن لم تخلُ بعض المحاولات من خلال جهود المكوك في إدخال الناس في دين الله أفواجًا.

كانت مملكة المسبعات قد قامت بعد اقتطاع سلاطين الفور إقليم كردفان لابن عمهم الأمير مسبع الذي أسس مملكة المسبعات التي كانت تحاد مملكة تقلي الإسلامية، وقد استمرت العلاقة بين تقلي والمسبعات علاقة جارية قوامها الاعتماد المتبادل مما أبعد الأطماع في التوسع في مملكة تقلي التي استفادت من طبوغرافية الأراضي الجبلية التي شكلت ميزة دفاعية.

مراحل ازدهار مملكة تقلي الإسلامية

عاشت مملكة تقلي مرحلة ازدهار واستقلال سياسي منذ نشوئها إلى فترة قيام الثورة المهدية في العام 1881م، وعلى الرغم من أن المملكة عاشت فترات صراع قليلة

عـلى الحكـم إثـر التنـازع بـين أفـراد العائلـة المالكـة وفـترات دانـت فيهـا للفونـج، فإنهـا سرعـان مـا كانـت تسـتعيد عافيتهـا وتعيـد ترتيـب بيتهـا السـياسي وتتضامـن لتصبـح قـوة سياسـية وعسـكرية واقتصاديـة، ومهـد لها ذلـك موقعهـا الجيواسـتراتيجي ومواردهـا الزراعية والحيوانيـة، وبـأس إنسـانها وحبـه للاسـتقلال مـما جعلهـا المملكـة السـودانية الوحيـدة التـي وقفـت في وجـه الحكـم الخديـوي المـصري في السـودان.

مثـل عهـد السـلطان بـادي أبـو دقـن قمـة عهـد الازدهـار في سـلطنة الفونـج حيـث هاجـم مملكـة الشـلك واسـتولى عـلى مـشرع الكـوة (أليـس)[1] وذلـك خـلال فـترة حكمـه 1644-1680م ومثـل معـبر أليـس المنفـذ التجـاري وحلقـة الوصـل بـين مملكـة تقلي وسـلطنة الفونـج وقـاد أخـير السـلطان بـادي أبـو دقـن بالهجـوم عـلى تقـلي وبعـد معـارك ضاريـة تـم وضـع شروط الصلـح بـين السـلطنتين وعاشـت تقـلي مرحلـة مـن الازدهـار التجـاري والدينـي حيـث زارهـا العديـد مـن رجـال الديـن بغـرض نـشر الدعـوة الإسـلامية.

فوفـد عـبر معـبر الكـوة (أليـس) عـدد مـن العلـماء الذيـن بسـطوا الديـن مـن خـلال ضرب الطبـول (النـوب) والدفـوف (الطـار) والأناشـيد (الغنـاء) الـذي يسـتدعي حالـة الجذب الصـوفي (الطـرب) وهـو مـا تناسـب مـع الـذوق والمـزاج الإفريقـي ومـن ثـم دخـل النـاس في ديـن اللـه أفواجًـا مـع المداومـة عـلى تـلاوة الأوراد وإقامـة الصلـوات والدعـوة للهدايـة.[2]

كما لا يغفل أهمية موقعها الرابط بين مملكة الشـلك في جنوب السـودان وسـهول كردفان الشرقيـة واتصالهـا بالنيـل الأبيـض وعلاقاتهـا الطيبـة مـع سـلطنة الفونـج واحتضانهـا للدعـاة والمتصوفـة، فدخلتهـا شـتى أنـواع الطـرق الصوفيـة مـن السـمانية مـن أتبـاع الشـيخ بريـر ود الحسـين (راجـل شبشـة) والقادريـة مـن أتبـاع (الشـيخ يوسـف أب شرا) والعركيـين والطريقـة الهنديـة والختميـة والأنصـار مـما جعـل منهـا مجتمعًـا متسـامحًا مـع نفسـه ومـع الغربـاء الذيـن وفـدوا إليهـا واسـتقروا فيهـا وهـذا أكسـبها نوعًـا مـن التقديـر في نفـوس السـودانيين.

كـما أن تقـلي ومـا جاورهـا اشـتهرت بالتجـارة، فهـي سـوق رائـج وبالزراعـة وتوريـد الموالـح والفواكـه والخـضر والـثروة الحيوانيـة التـي تمتـاز بسـلالات طيبـة إضافـة إلى وجـود المراعـي والخدمـات البيطريـة.

إن وجـود المملكـة واسـتقرار الحكـم فيهـا بفضـل مكوكهـا المتعاقبـين وتشـديدهم عـلى الاسـتقرار وبسـط هيبـة الدولـة جعـل منهـا مكانًـا طيبًـا للعمـل والإقامـة، كـما أن منعتهـا

(1) يوسف فضل حسن، سلطنة الفونج الإسلامية، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد 22، الخرطوم،1999م، ص 58.

(2) يوسف فضل حسن، مملكة الفونج الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص63.

العسكرية حمتها من فوضى استقطاع الضرائب في فترة الحكم الخديوي المصري وما شاهده السودانيون من إذلال من قبل موظفي الإدارة الخديوية في السودان، وتعد فترة حكم الملك صابر وعمارة أبو شهيرة وعون الله وجيلي ابنه إضافة إلى فترة الملك آدم أم دبالو من فترات الازدهار والرخاء والاستقرار في مملكة تقلي.

وتركت مملكة تقلي الإسلامية تراثًا وأدبًا وعادات وتقاليد ومرويات كثيرة في مجال الحكم والإدارة والعمل والتصوف، بل إنها أصبحت واحدة من مناطق السودان التي يشار إليها بالبنان في كونها تضم كل أطياف الطرق الصوفية في السودان والتعايش السلمي بين مواطنيها وقدرة الأحفاد بعد تحولها إلى إدارة أهلية في العام 1847م على الحفاظ على حالة الترابط الاجتماعي بين مكونات المنطقة.

الفصل الخامس

مملكة تقلي والحكم الخديوي المصري

(التركية السابقة)

في العام 1821م تقدمت جيوش الأمير إسماعيل باشا بن محمد علي باشا خديوي مصر واحتلت إقليمي مملكة الفونج (السودان النيلي والشرقي) وتقدمت قوة أخرى بقيادة محمد خسرو الدفتردار واحتلت مملكة المسبعات (وسط كردفان وتخوم دارفور الشرقية) ولم تبقَ إلا سلطنة دارفور القوية والتي أسقطت على يد الزبير باشا في العام 1874م بيد الزبير باشا والذي بدوره سلمها إلى الإدارة الخديوية المصرية في السودان (التركية السابقة) ومن بعد تسلمها زمام السلطة غدرت به ونفته إلى مصر، ومملكة تقلي في الجزء الشرقي من جبال النوبة والتي احتفظت باستقلالها السياسي.

لم تبق إلا مجاهل الجنوب والتي كانت الإدارة الخديوية تقوم بحملات في بلاد الشلك لاصطياد العبيد وتجنيدهم في جيوش محمد علي باشا في العام 1826م حيث وصلت أول حملة عسكرية إلى فشودة ولم تفتح حامية فيها، كما سيرت رحلات الكشوف الجغرافية الثلاث بقيادة القومندان سليم في العام 1839-1841م، ولم تتوسع الإدارة الخديوية المصرية (التركية السابقة) في جنوب السودان إلى أن أعلن عن فتح فشودة في العام 1860م رسميًّا وفتح حامية فيها بعد حملة على مملكة الشلك وتعيين مدير عليها.

وسط هذا التحول الكبير لم تبق إلا مملكة تقلي التي صمدت في وجه القوات التركية حيث حاول خورشيد باشا التدخل واحتلال أراضيها إلا أنها استعصت عليه وذلك في العام 1838م حيث ارتدت جنودهم مهزومة واستفاد مكوك تقلي من الطبيعة الجبلية وقوة المحاربين النوبة التي هزمت حملات التركية الساعية لفتح مملكة تقلي الإسلامية التي أبدت مقاومة شرسة.

وبذلك أصبحت مملكة تقلي تظهر العداء والتمرد على السلطة المركزية في الخرطوم وظلت محتفظة باستقلاليتها واستمرت جبال النوبة بشقيها الغربي والشرقي

تشـهد نزعـات اسـتقلالية إلى يومنـا هـذا وهـي نـوع مـن الإحسـاس الـذاتي الداخـلي الـذي يجعـل هـذه الجبـال الحصينـة والمنيعـة رقـمًا لا يسـتهان بـه.

كـما أن مملكـة تقـلي حاربـت أطـماع الإدارة الخديويـة المصريـة في جمـع الرجـال مـن جبـال النوبـة وتعيينهـم في جيـوش الخديـوي محمـد عـلي باشـا، أو محـاولات تعديـن الذهـب في جبـال منـدي وشـيبون ومحـاولات التوسـع في الأراضي الطينيـة السـوداء التـي أطلـق عليهـا (طينـة القطـن)، فحـاول مصطفـى باشـا حاكـم كردفـان وبأمـر مـن الخديـوي محمـد عـلي باشـا أن يفتـح حاميـة في جبـل شـيبون يرافقهـا المسـتر روسـيجير النمسـاوي، إلا أنـه فشـل في إخضـاع النوبـة فحـرق قـرى شـيبون وأخـذ عـددًا مـن رجالهـا أسرى لتجنيدهـم في جيـوش التركيـة السـابقة.

حافظـت تقـلي عـلى اسـتقلالها السـياسي ولم تلتـزم بدفـع أي مكـوس أو ضرائـب للحكومة الخديويـة المصريـة حتـى بعـد أن هـرب الملـك نـاصر للـترك في صراعـه مـع عمـه المريـود ومنحـوه السـلاح والرجـال ووصـل إلى ككر تقـلي بمعاونة الأتـراك، إلا أنه لم يلتـزم لهم بوعوده السياسـية وإعـلان ولاء تقـلي لحكومـة الخديـوي في القاهـرة، كـما نجحـت مملكـة تقـلي في وقـف تقـدم القـوات الحكوميـة التركيـة السـابقة وسـاعدها في ذلـك طبيعـة الأرض والمنـاخ وقـدرة المملكـة القتاليـة. بـل يشـهد لهـا أنهـا حـررت السـودان بوجودهـا كمملكـة لم تنهـر أصلًا في وجـود الحكـم الـتركي المـصري حيـث كانـت تتمتـع بكامـل صلاحيتهـا واسـتقلاليتها.

عندمـا غـزت جيـوش محمـد عـلي باشـا السـودان كان الملـك في مملكـة تقـلي الملـك عمـر بـن الملـك أبـو بكـر 1814-1828م[1] وجـرت محاولـة مـن الحكمـدار خورشـيد لغـزو مملكـة تقـلي إلا أن الأتـراك ارتـدوا مهزومـين، فقـد كانـت التضاريـس الجبليـة توفـر دفاعًـا جيـدًا لجيـوش التقلاويـين الذيـن يقـال إنهـم حشـدوا قرابـة الخمسـين ألـف مقاتـل ونجحـوا في القضـاء عـلى جيـوش الحملـة التركيـة قضـاءً مبرمًـا جعـل محمـد عـلي يعيـد التفكـير في غـزو مملكـة تقـلي.

فرص التدخل التركي في مملكة تقلي

نتيجـة للـصراع الداخـلي في مملكـة تقـلي بعـد وفـاة الملـك الشـهير أحمـد بـن الملـك أبـو بكـر في العـام 1827م نشـب نـزاع داخـل المملكـة حيـث اسـتولى الملـك المريـود عـلى السـلطة وعارضـه الملـك نـاصر 1843م، وفكـر الملـك نـاصر في التحالـف مـع الأتـراك الذيـن رأوا في هـذا الـصراع فرصـة لفـرض هيمنتهـم عـلى مملكـة تقـلي ودعمـوا نـاصر في صراعـه بالجهاديـة

(1) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص16.

السود والسلاح وأصبح الملك بعد مقتل الملك المريود.

بعد أن أصبح ناصر الملك في العام 1844م واستفاد من الدعم الحكومي لخلع عمه الملك المريود، اتخذ من العنف سمة لحكمه في المملكة فلم يجرؤ أحد على معارضته أو حتى التحدث في حضوره، وعلى الرغم من إسهامات الملك ناصر في قيادة المملكة لتعمل في دورها الطليعي وهو نشر الإسلام في تلكم الجهات ونجح فيه، إلا أنه كان طاغية، فكثر معارضوه الذين اضطروا إلى الخروج من حدود مملكته إلى حكومة الترك في كردفان أو إلى غرب جبال النوبة حيث كان نفوذ الأتراك مهيمنًا ومحتلًّا لأرضها ويسعى في السيطرة على جبال شيبون مستفيدين من حالة الضعف والصراع السياسي في مملكة تقلي.

بعد أن أصبح ناصر مكًّا على تقلي في العام 1844م واتخذ سياسة العنف تميز الملك ناصر بالقسوة المفرطة وكان يعاقب معارضيه والخارجين عن القانون بوضعهم في حجر ساخن وهم عراة، أطلق عليه (دوكة ناصر) مما جعل ملكه مهابًا من الجميع وكان يحارب النخاسة الذين يزودون الأتراك بالشباب لتجنيدهم في الجيوش على اعتبار أن الأتراك كانوا معادين للمملكة وطامعين في الاستيلاء عليها.

عاد الملك ناصر للسلطة بمعاونة الأتراك الذين منحوه قوة عسكرية استطاعت أن تقتل عمه الملك المريود ومن معه، وأسكن الجنود السود من الجهادية في تقلي في مقابل أن يدفع لهم الجزية ويورد لهم عبيدًا من جبال النوبة يتم تجنيدهم في جيوش الحكومة الخديوية المصرية (التركية السابقة) وكانت هذه أول مرة يتم الاستعانة بالأجنبي في مملكة تقلي.

ولكن الملك ناصر لم يسلم من الكيد الخارجي، فبعد أن استقر حكمه رفض دفع الجزية ودخل معهم في حرب، إذ سير الأتراك له حملة عسكرية بقيادة عثمان بك ودخل معهم في معركة هزم فيها الأتراك شر هزيمة ولم يفكروا في استعادة مملكة تقلي الإسلامية مرة أخرى.

فترة حكم الملك آدم أم دبالو

في العام 1858 استولى آدم أم دبالو على السلطة في تقلي ونجح في إزاحة الملك ناصر الذي كان قد خرج في رحلة صيد سنوية، وكانت مؤامرة خلع الملك ناصر تطبخ على نار هادئة هذه المرة ولكن دونما الاستعانة بالأجنبي من الترك أو غيرهم.

خـرج المـك نـاصر إلى منطقـة الصريـف وهـي شرق العباسـية للصيـد فاجتمـع الأرابيـب والأعيـان ومعهـم الجنـدي والسـوكرابي وأعلنـوا خلـع المـك نـاصر وتوليـة المـك آدم أم دبالـو مـكًّا عـلى مملكـة تقـلي. فمكـث في الصريـف فـترة ثـم ارتحـل إلى أبـو دوم وهـب وقابـل الـترك ليعطـوه جيشًـا ليعـود إلى ملكـه إلا أن الـترك لم ينسـوا نكوثـه عهـده السـابق فسـافر للقاهـرة وعـاد إلى السـودان ولم يمنـح جيشًـا بـل منـح قطعـة أرض ليسـكن فيهـا في قريـة معتـوق جنـوب مدينـة الدويـم إلى أن تـوفي فيهـا.[1]

ومـما يذكـر أيضًـا أنـه عندمـا تـولى إليـاس باشـا أم بريـر منصـب مديـر مديريـة كردفـان في العـام 1879م أرسـل رسـله إلى جبـال تقـلي لتحصيـل الضرائـب مـن المـك آدم أم دبالـو فرفـض المـك آدم أن يدفـع لهـم الضرائـب وقـال لهـم: إني أدفـع فقـط قيمـة البضائـع التـي أشـتريها مـن التجـار، لكننـي لـن أدفـع أي ضرائـب.

وفي نفـس الوقـت أرسـل المـك آدم أم دبالـو إلى الحكمداريـة مسـتفسرًا عـما حـدث للأتـراك البيـض وهـل لقـوا مصرعهـم جميعًـا حتـى باتـت الحكومـة تعـين التجـار الجلابـة مـن الجعليـين والدناقلـة في وظائـف عليـا مـن دون منـح الوظائـف لرجـال ذوي شـأن عظيـم ومـرد خطـاب المـك آدم أم دبالـو الغاضـب هـو حنقـه عـلى تجـارة الرقيـق وسـعيه إلى الاحتفـاظ باسـتقلال مملكتـه أمـام السـلطة السياسـية التـي يقـف معهـا التجـار الجلابـة في الأبيـض عاصمـة كردفـان.

في فـترة نهايـة التركيـة السـابقة في العـام 1880م كان محمـد سـعيد باشـا حاكـم الأبيـض قـد قـرر تعقـب المهـدي الـذي كانـت معـه قـوة صغـيرة مـن أتباعـه مهاجـرة بعـد معركـة الجزيـرة أبـا قاصـدة مملكـة تقـلي، وكان المهـدي وأتباعـه قـد اخترقـوا سـهول كردفـان ودخلـوا جبـال قديـر، فقـرر محمـد سـعيد باشـا وهبـي أن يتقـدم بقواتـه ليقـضي عـلى التمـرد الـذي اسـتطاع أن يهـزم قـوات الحكومـة في معركـة الجزيـرة أبـا وكان طمـع حاكـم الأبيـض جـراب الفـول كبـيرًا في الفـوز بسـمعة كبـيرة، وكان يمكنـه أن يقـضي عـلى الثـورة فعـلًا لكنـه خـاف مـن المهـدي ورجالـه ومملكـة تقـلي المسـتقلة.

إلا أن عقبـة كئُـودًا وقفـت أمـام طمـوح جـراب الفـول وهـو المـك آدم أم دبالـو الملـك القـوي في مملكـة تقـلي وأوقـف الـترك بجيشـه وأرغمهـم عـلى التراجـع عـن حـدود مملكتـه فـورًا مـع دفـع غرامـة قدرهـا 200 ذهبـي مـع الاعتـذار للمملكـة التـي تدخـل في أراضيهـا.

---

(1)http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=292:b_3cA23&-catid=52&Itemid=552009 د. عمـر مصطفـى شركيـان/2 ينايـر

الإرساليات المسيحية في جبال النوبة

بـدأ التبشـير المسـيحي المنظـم في إقليـم جنـوب كردفـان في جبـال النوبـة الغربيـة في منتصـف فـترة الحكـم الخديـوي المـصري (التركيـة السـابقة) حيـث افتتحـت العديـد مـن الإرسـاليات المسـيحية الغربيـة في هيبـان والدلنـج والليـري وعـبري، لكـن الضربـة الكـبرى للنشـاط التبشـيري كانـت في عهـد مـا بعـد سـقوط مدينـة الأبيـض في يـد الأنصـار في العـام 1884م حيـث تـم أسر الرهبـان والراهبـات واقتيادهـم للخرطـوم، فقـد اقتيـد الأب بونومـي مـن إرسـاليته في جبـل الدلنـج إلى الأبيـض واسـتطاع الهـرب منهـا، عندمـا حـوصرت إرسـالية الأب بونومـي في العـام 1882م كان المهـدي في جبـال قديـر التـي تقـع في مملكـة تقـلي[1] وبعـد ذلـك تمـددت الطـرق الصوفيـة في مناطـق الإرسـاليات وعـلى الرغـم مـن حمـلات المهديـة الدمويـة في جبـال النوبـة إلا أن الأثـر المسـيحي لا يـزال موجـودًا إلى يومنـا هـذا حيـث اسـتفادت الإرسـاليات الغربيـة مـن دعـم الاحتـلال البريطـاني وقانـون المناطـق المقفولـة واسـتطاعت أن تمـارس نشـاطها بقـوة.

يمكـن إجـمال القـول إن أطـماع الأتـراك في غـزو مملكـة تقـلي كانـت كبـيرة، ولمـا فشـلت المحـاولات تـم التوصـل إلى نـوع مـن الاتفـاق الضمنـي مفـاده أن التجـارة والتجـار يمكـن أن يدخلـوا ديـار تقـلي أو الأبيـض عاصمـة كردفـان حيـث نشـطت التجـارة وقوافـل التجـار مـن دون أن يتـم اعتراضهـم، وكان مكـوك تقـلي يفرضـون الضرائـب والمكـوس عـلى التجـار وكذلـك قـام الأتـراك بفـرض الضرائـب عـلى التجـار أيضًـا.

كـما قـام أخـو المـك جيـلي عـون اللـه بـن المـك عـمارة بزيـارة الأبيـض في العـام 1838م ومعـه عـدد مـن التجـار وهنـاك قابـل الرحالـة التشـيكي اقناتيـوس بالمـة وعـرض عليـه زيـارة مملكـة تقـلي، لكـن حاكـم كردفـان في ذلـك الوقـت رفـض أن يسـمح للرحالـة بالمـة أن يـزور تقـلي بحجـة الخـوف عـلى حياتـه عـلى الرغـم مـن تأكيـدات وضمانـات أخـي المـك التـي قدمهـا ذاكـرًا أن أخـاه المـك جيـلي عـون اللـه يرحـب بالتجـار وليـس الجواسـيس الذيـن يعملـون لصالـح الأتـراك.

عنـد نشـوب حـوادث المهديـة في نهايـات الحكـم الخديـوي المـصري كان للمـك آدم أم دبالـو موقـف معـادٍ للأتـراك واسـتضاف المهـدي ورجالـه في جبـل قدير، وأرسـل محـذرًا حاكم كردفـان محمـد سـعيد وهبـي (جـراب الفـول) الـذي حـاول أن يخـترق حـدود تقـلي لمطـاردة المهـدي وأتباعـه مـما جعـل محمـد سـعيد باشـا وهبـي يرتـد هـو وجنـوده إلى الأبيـض.

(1) ونجـت باشـا، المهديـة والسـودان المـصري، ترجمـة محمـد المصطفـي حسـن، دار عـزة للنـشر، الخرطـوم، السـودان، 2009م، ص55.

الفصل السادس

مملكة تقلي والمهدية

عندما أعلن المهدي دعوته في الجزيرة أبا واستفحل أمره اضطرت الخرطوم في العام 1881م إلى عقد مجلس فقهي من كبار العلماء للإفتاء في شأن المهدي ودعوته والذي جزم بكذب دعوته، فأمر محمد رءوف العلماء بكتابة رسائل فقهية في شأن المهدية وتكذيبها من ناحية فقهية، وبعدها أمر الحكمدار محمد رءوف بالقبض على المهدي ومحاكمته في الخرطوم وقرر التحايل عليه من خلال دعوته ليناظر الفقهاء في الخرطوم في مجلسهم الفقهي، لكن محمد أحمد المهدي رفض ذلك وقال لرسول الحكمدار (أنا ولي الأمر في هذا الأوان على سائر الإنس والجان)[1]

بعد محاولات محمد أبو السعود مع المهدي في الجزيرة أبا لاستدراجه إلى الخرطوم ورفض محمد أحمد المهدي للذهاب معه إلى الخرطوم لمقابلة العلماء وإعلان توبته من ادعاء المهدية وحديثه بأنه صاحب الزمان والمسئول بأمر الدين وحاكم (الزمكان) حسب نظرية المهدية.

لم يكن أمام الحكمدار محمد رءوف باشا غير إرسال تجريدة مسلحة تقوم باعتقال المهدي وأنصاره أو القضاء عليهم، وكان قد أطلق الأتراك المصريون عليهم اسم (الدراويش) ومحاكمة محمد أحمد المهدي في الخرطوم بعد فتوى علماء الخرطوم ببطلان دعوته.

معركة الجزيرة أبا 1881م

تحركت القوة من الخرطوم بباخرة بقيادة محمد أبو السعود، رست في شاطئ الجزيرة أبا، وبدون نظام وبسرعة حيث كان يرى محمد أبو السعود أنه سيقود قوة في مهمة صغيرة وهي اعتقال أو قتل الدراويش وحيرانه والعودة إلى الخرطوم سريعًا لحصد المكافآت التي وعد بها، لكن محمد أحمد المهدي ورجاله كانوا على استعداد لقتالهم بالعصي والفئوس والسكاكين والأيدي، فوقعت المفاجأة وقتل من قتل من

(1) عبد المحمود أبو شامة، حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تلسهاي، مطبعة سيد المرسلين، أم درمان، السودان، 198م، ص8.

جيـش الحكومـة وانسـحب أبـو السـعود جريًـا وهربًـا إلى الباخـرة تـاركًا جثـث جنـوده القتـلى في الجزيـرة أبـا ليبلـغ الخرطـوم عـن أول هزيمـة مسجلة لقـوات الحكومـة مـن قبـل أتبـاع الدراويـش محمـد أحمـد.

لم يكـن أمـام الحكمـدار محمـد رءوف سـوى تجهيـز قـوة أكـبر وأسرع لتهجـم عـلى مركـز قـوات الإمـام المهـدي في الجزيـرة أبـا عـلى شـاطئ النيـل الأبيـض، لذلـك أسرع في تجريـد القـوة وتسـليحها للانتقـام مـن الدراويـش الذيـن هزمـوا جيـش الحكومـة، بالمقابـل كان محمـد أحمـد المهـدي وأعوانـه يدركـون أن جنـود الحكومـة سـيزحفون عليـه في أقـرب فرصـة، لذلـك كان عليهـم أن يهاجـروا مـن موقـع الجزيـرة أبـا الـذي يمكـن حصـاره والانتهـاء مـن الثـورة في مهدهـا.

وكان الإمـام المهـدي قـد قـام بجولـة في الجزيـرة ومناطـق النيـل الأبيـض وكردفـان شـمالها وجنوبهـا ويعلـم في أي الأماكـن يمكنـه أن يدافـع عـن أتباعـه ضـد أي قـوة يمكـن أن تهجـم عليهـم، وكان أيضًـا قـد قـام بتحريـض الأهـالي للقتـال ضـد الحكومـة الخديويـة المصريـة في السـودان أو مـا عرفـت باسـم التركيـة السـابقة حسـب ادعائهـا.

هجرة المهدي إلى مملكة تقلي

بعـد معركـة الجزيـرة أبـا أيقـن المهـدي أن الحكومـة سـترد الصـاع، فخـرج بمـشرع الطويلـة المقابـل للجزيـرة أبـا إلى الضفـة الغربيـة للنيـل الأبيـض في يـوم الاثنـين الموافـق الخامـس عـشر مـن أغسـطس 1881م الموافـق 19 رمضـان 1298هجريًّـا.

كان طريـق الهجـرة إلى جبـال تقـلي صعبًـا للغايـة لطولـه ووعورتـه واحتـمال وقـوع أي هجـوم، لذلـك لم يمـروا بمراكـز الحكومـة، بـل بالقـرى الصغـيرة في شـمال كردفـان وكان الموكـب يتجـه جنـوب شرق في اتجـاه جبـال النوبـة الشرقيـة، فعـبر بقريـة طليـح النبهـان، ومنهـا إلى قريـة مظلـول، فأغسـل جـماسي، وأم دقـن، والمقاريـن، وقـوز المبـين، وأم لفحـة وأم شـمال، وأم قـدور، وقـردود الجلـت، ودردمرمـي بيـوت، وأبـو صباعـة، وأم دقفـري، وأم شـبيل بـدار الأحامـدة، وهنـاك رحـب بـه ومـن معـه مـن أنصـاره فاسـتقر أيامًـا وخـرج منهـا في اتجـاه الجنـوب الغـربي قاصـدًا مملكـة تقـلي.

في ديـار تقـلي تحـرك إلى حلـة الغـول في جبـل فيـو ومنهـا إلى منهـل أب رجلـين بجهـات أم طلحـة بديـار تقـلي، وهنـاك بايعـه عـدد مـن النـاس ومنهـا تحـرك إلى خـور زمزميـة بتقـلي ثـم إلى جبـل الكمـر، ومـن هنـاك اسـتطلع تحـركات حاكـم الأبيـض محمـد سـعيد الشـهير بجـراب الفـول الـذي حـاول أن يتعقـب محمـد أحمـد المهـدي، إلا أنـه سـمع بمعلومـات

حـول ازديـاد أعـداد الرجـال الذيـن ينضمـون إلى المهـدي إضافـة إلى أن رجـالًا تابعـين للمـك آدم أم دبالـو كانـوا يتعقبـون تحركاتهـم يطلقـون عـلى جيـش محمـد سـعيد جـراب الفـول النـيران ويختفـون[1] مـما أحبـط روحـه المعنويـة فرجـع إلى الأبيـض وزاد تحصينهـا فأرسـل المهـدي القـرشي أحمـد الكنـاني ومحمـد ود أحمـد ومحمـد علـوان وهـؤلاء مـن فرسـان مـن دغيـم[2] لاسـتطلاع أي تحـركات معاديـة لثورتـه.

الإمـام المهـدي مـن جبـل الكمـر وجبـل كـرن كاتـب شـيوخ القبائـل ودعاهـم لنصرتـه، وكاتـب عـلي حمـد الكنـاني والمختـار الزبـير الكنـاني والمـك نـاصر مـك جبـل قديـر. لكـن المختـار الكنـاني رفـض الاعـتراف بالمهـدي فضـلًا عـن مبايعتـه، فوقعـت معركـة في جبـل الجـرادة في يـوم 24 أكتوبـر1881م وهزمـه، ومـن هنـاك توجـه إلى جبـال قديـر فوصلهـا في اليـوم الأول مـن نوفمـبر 1881م.

رحـب المـك آدم أم دبالـو بوصـول المهـدي ورجالـه إلى مملكـة تقـلي وطلـب منهـم البقـاء في جبـال قديـر، ويقـول ب. م. هولـت في كتابـه المهديـة في السـودان: عـلى فـرض أن هجـرة المهـدي هـرب لا رغبـة في المقاومـة، إلا أنهـا أكسـبت الثـورة منعـة وقـوة، وإن الإجـراءات التـي اتخذتهـا الإدارة الخديويـة المصريـة أدت إلى ازديـاد قـوة شـوكة المهديـة في السـودان.[3]

لذلـك هاجـر محمـد أحمـد المهـدي إلى جبـال النوبـة الشرقيـة حيـث كانـت توجـد أكـبر الممالـك الإسـلامية التـي تسـيطر عـلى الجبـال الشـاهقة التـي يمكـن الدفـاع عنهـا وصـد أي هجـوم حكومـي متوقـع، كـما أن التقلاويـين قـد اشـتهروا بمواقفهـم الحاسـمة والرادعـة للتدخـل الخديـوي المـصري في إقليـم حكمهـم، كـما شـاع عـن المملكـة أنهـا ملتزمـة بالكتـاب والسـنة وأنهـا مملكـة إسـلامية وأنهـا ذات موقـع جغـرافي مميـز وفي نفـس الوقـت توفـر الطبوغرافيـا فيهـا الملاجـئ العسـكرية.

رحـل محمـد أحمـد المهـدي إلى المـك آدم أم دبالـو مـك مملكـة تقـلي بعـد تضييـق الخنـاق عليـه مـن قبـل الاحتـلال المـصري الـتركي في السـودان، وكان يعلـم أن خـير مـن يمكـن أن يقـدم لـه الحمايـة هـم الأشراف العباسـيون في مملكـة تقـلي، فوصلهـا طالبًـا للحمايـة والعـون الـذي يمكنـه مـن تنامـي دعوتـه الجديـدة التـي كانـت في حالـة ضعـف ولم يكـن قـد انضمـت إليهـا الحشـود التـي تمكنـه مـن الدفـاع عـن فكرتـه وجماعتـه وحـده.

---

(1) ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، بدون تاريخ نشر، ص.

(2) عبـد المحمـود أبـو شـامة، حـروب حيـاة الإمـام المهـدي مـن أبـا إلى تلسـهاي، مطبعـة سـيد المرسـلين، أم درمـان، السـودان، ص16.

(3) ب. م. هولت، المهدية في السودان، ترجمة جميل عبيد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص62.

موقف الملك آدم أم دبالو من المهدية

قابل الإمام المهدي الملك آدم أم دبالو وقدم نفسه بأنه الإمام المهدي المنتظر وهو ثائر ومناهض للاستعمار المصري التركي، لم يتخذ الملك قرارًا فوريًا وإنما دعا علماء الدين بالمملكة للنظر وتقديم الرأي الفقهي في أمر ادعاء المهدية، أما الرأي السياسي فإنه شأن يخص الملك فأرجأه حتى يكون القرار النهائي متسقًا ومبرأ من العيوب، أقام علماء الدين مجلس مناظرة مع المهدي ورفع الأمر إلى الملك.

كان محمد أحمد المهدي قد زار في فترة سابقة قبل إعلان مهديته مملكة تقلي الإسلامية، كان الملك آدم أم دبالو قد مضى على توليته عرش مملكة تقلي نحو 22 عامًا وكان يعادي الحكومة الخديوية المصرية في السودان (التركية السابقة).

على الرغم من معارضة عدد من الأعيان للمهدي وعدم اعترافهم بمهديته وطالبوا بإعدام المهدي أو على الأقل طرده من جبال تقلي، وكان الداعون لهذا الرأي منهم القاضي ميرغني ود تميم، لكن الملك آدم أم دبالو رفض أن ينصاع لهذا النصح بل أرسل ابنه عمر للانضمام للمهدية والذي أصبح أحد الأمراء فيها وشارك في وقائعها وحوادثها.

معركة راشد مدير فشودة

وهو مدير فشودة، وتقع الجزيرة أبا في مديريته وتجاور جبال تقلي أيضًا نطاق سلطته فكان عليه أن يحسم المهدية في مهدها، فقاد جيشًا مكونًا من 700 جندي نظامي ومعه رث الشلك الرث كيو كوان ومعه ألف من المقاتلين من الشلك، وتسلل الجيش ليهجم من اتجاه الجنوب الشرقي إلا أن رابحة الكنانية أوصلت نبأ تقدم قوات راشد، وقعت المعركة في ديار تقلي بجبال قدير يوم السبت الموافق 29 ديسمبر 1881م [1] انتهت المعركة بقتل 1500 قتيل بما فيهم قيادات الجيش ورث الشلك ومن تبقى عددهم 110 رجل وقعوا في الأسر وتمكن 100 رجل من الهرب عبر الغابات، وكان من المشاركين في جيش راشد أيمن أهالي جبل فنقر فسار إليهم فحاصرهم وكتب إلى زعيمهم الملك تفرا وعرض عليهم الصلح مقابل الخضوع فآثروا السلم لحين وسلم الملك تفرا ورجاله.

استفاد المهدي في فترة بقائه في ديار تقلي في تنظيم جموعه ومكاتبة رجالات القبائل والأعيان وتنظيم تمرده المسلح الذي استطاع أن يهزم قوة حكومية واستفاد من الغنائم المتمثلة في الأسلحة النارية والجبخات في تنظيم قوة الجهادية التي كانت قوام جيوش

(1) عبد المحمود أبو شامة، نفس مرجع السابق، ص20.

المهديـة وقوتهـا الضاربـة لاحقًـا، ولم يكـن المـك آدم يبخـل عـلى المهـدي وأتباعـه بالحمايـة والمـؤن وكل مـا يلزمهـم بعـد أن توصـل لقناعـة واتفـاق مـع المهـدي إذا نجحـت ثورتـه فـلا علاقـة لـه بمملكـة تقـلي التـي ناصرتـه وهـو معـدم ومطـارد، ولكـن هـذا الاتفـاق لم يتـم الالتـزام بـه مسـتقبلًا.

يوم الشلالي في مملكة تقلي

جهـزت الحكومـة الخديويـة المصريـة اللـواء يوسـف الشـلالي في جيـش عظيـم قـدر عـدده ب13 بلـوكًا مـن العسـاكر النظاميـة و1500 مـن جيـش الباشـبوزق وقـوات الخطريـة (قـوات خاصـة وقتهـا) وتـم تجميـع الجيـش في مـشرع زينوبـة والجبلـين.

فقـام رجـال المـك آدم أم دبالـو بنقـل تحـركات قـوات الشـلالي، فـوزع المهـدي اسـتطلاعه فوضـع نقطـة مراقبـة متقدمـة في جبـل فنقـر مـع المـك تيفـرا وأرسـل اسـتطلاعًا مكونًـا مـن محمـد شرفي وعثـمان زلفـي وأحمـد ناكلـوه والفـكي عـلي لمـده بمعلومـات تحـرك قـوات اللـواء يوسـف الشـلالي، ووقعـت معركـة كبـيرة في فجـر الاثنـين الموافـق 29 مايـو 1882م الموافق بالهجري 10 رجب 1299هـ وكانـت النتيجـة هزيمـة قـوات اللـواء يوسـف الشـلالي ومقتـل عـشرة آلاف رجـل وقيادتهـم بمـا فيهـم يوسـف الشـلالي ومحمـود أفنـدي عبـد العزيـز وسـليمان أفنـدي الصـاغ وسـليمان أغـا الأرتـوزي ويوسـف أغـا السرسـواري، ومـن الموظفـين عبـد اللـه محمـد دفـع اللـه والهـادي صـبر وطـه الشـايقي.[1]

فبعـد هـذا النـصر قويـت شـوكة المهديـة وكـثر أتباعهـا وذاع صيتهـا وأصبحـت قـوة عسـكرية وسياسـية يحسـب لهـا ألـف حسـاب وأصبحـت الأوضـاع في اضطـراب شـديد في كل السـودان مـما ينـذر بتوسـع أعـمال المهـدي المنتـصر والقـوي.

الخروج من ديار تقلي

في منتصـف أغسـطس 1882م قـرر الأنصـار النـزول مـن جبـال مملكـة تقـلي التـي قدمت لهـم الحمايـة والغـذاء وشـاركت معهـم في معركتـين كبيرتـين (يـوم راشـد أيمـن ويـوم يوسـف الشـلالي) وكان الأنصـار قـد غنمـوا أسـلحة وذخائـر كثـيرة مـما حـول اسـتراتيجية الحـرب مـن الدفـاع إلى الهجـوم، فقـرر المهـدي النـزول إلى وسـط كردفـان وتحريـر الأبيـض بعـد أن قويـت الثـورة وانضـم إليهـا المزيـد مـن القبائـل وأصبحـت جيوشـها قـوة لا يسـتهان بهـا.

إن التطـور في الخـبرات العسـكرية والأسـلحة التـي غنمهـا الأنصـار إضافـة إلى معرفتهـم

---

(1) عبد المحمود أبو شامة، مرجع سبق ذكره، ص26.

بالأرض جعل الثورة تتدحرج إلى الأمام، وبدلًا من الاعتماد على أساليب التخفي والتحصن في الجبال وضعت المدن في كردفان الوسطى نصب عين محمد أحمد المهدي وقرر مهاجمة الحاميات الحكومية في بارا وأسحف والتيارة والأبيض وتحريرها ومن ثم الاندفاع نحو العاصمة السودانية الخرطوم لتحرير كامل تراب السودان.

كان شرط المك آدم أم دبالو أنه إذا نجحت الثورة المهدية ألا تتعدى وتتدخل في شئون مملكة تقلي الإسلامية، إلا أن تحرك محمد أحمد المهدي إلى وسط كردفان يعني أنه يترك وراء ظهره بعض المكوك الغاضبين عليه في جبال النوبة، فقرر أن ينزل من الجبال ومعه عدد من الزعماء، المك آدم لم يلحق به إلا في مطلع العام 1884م حيث وافاه في الأبيض، وتشير الروايات إلى اعتراض بعض أعيان تقلي منهم القاضي ميرغني ود تميم قاضي قضاة تقلي من سفر المك آدم أم دبالو للمهدي في الأبيض وفور وصوله ومعه أبناؤه الثلاثة أودعوا في الحبس، وعلى الفور بدأ القاضي ميرغني ود تميم في سب المهدي، فأمر بإعدامه فأعدم على الفور.

وسار بهم المهدي في هجرته لفتح الخرطوم، وتوفي أم دبالو في شبشة، وفي شبشة هرب أبناء المك آدم أم دبالو بعد دفن والدهم في النيل الأبيض، وعادوا إلى تقلي التي تم تعيين عامل عليها من قبل المهدي، وشهدت جبال النوبة حملات عسكرية قادها الأمير عبد الرحمن أبو عنجة الذي دمر المملكة واضطر السكان إلى الجوء إلى قمم الجبال والمغارات، وكان الأمير عبد الرحمن أبو عنجة قد تزوج بنت مك جبل الرشاد وكانت تسمى أم قرون، وبذلك نجا سكان جبال رشاد من العسف والتدمير الممنهج الذي قامت به جهادية الأمير عبد الرحمن أبو عنجة.

المك آدم وعلاقته بالمهدية

ناصر المك آدم أم دبالو الثورة المهدية وقدم لها الحماية والدعم المادي والعيني ووفر للمهدي وأتباعه الملاذ الآمن في جبال بطن أمك ولم يك يقصد في عمله هذا سوى مواجهة نظام الحكم الخديوي المصري (التركية السابقة) الذي لم تكن علاقاته مع مملكة تقلي على ما يرام.

اشترك المك آدم أم دبالو وجنوده في كل حوادث المهدية، إلا أن المهدية تنكرت للجميل الذي قدمته له ممكلة تقلي الإسلامية ودمرت الأسرة المالكة وسعت إلى ضم مملكة تقلي إلى حوزتها.

الغدر بمملكة تقلي 1881-1884م

بعد أن قويت شوكة المهدية وحققت انتصارات كبيرة على جيوش الحكومة التركية، وقضائها وهزيمتها الماحقة لجيوش هكس باشا، وبعد أن نجح المهدي من فتح الأبيض كان قد طلب من الملك آدم أم دبالو أن يمده بالمال والرجال فرفض ذلك، أرسل المهدي وفدًا من أعوانه إلى تقلي لمقابلة الملك آدم أم دبالو ودعوه لزيارة الأبيض والوقوف على انتصارات المهدية ومطالعة ومذاكرة المهدي في الأبيض.

وعلى الرغم من أن مجلس الملك آدم رفض أن يقوم الملك بزيارة الأبيض حسب استشارته للعلماء والأعيان ومحاولات القاضي ميرغني ود تميم من منع الملك أم دبالو من الذهاب إلى المهدي في الأبيض، فإن الملك قرر قبول دعوة المهدي، عند وصول الملك آدم أم دبالو للمهدي تم توثيقه ورميه في السجن وتم قتل القاضي ميرغني ود تميم الذي رافق الملك آدم أم دبالو، واقتيد الملك مخفورًا هو وأبناؤه ضمن قوات المهدي المتجهة لفتح الخرطوم المحاصرة، وبعد وصول المهدي ورجاله إلى شبشة حيث كان فيها العارف بالله الشيخ برير ود الحسين الذي استضاف المهدي في بلدته، هناك توفي الملك آدم أم دبالو وذلك في العام 1884م.

غزو المهدية جبل الداير 1884م

وقام المهدي بتجريد جيش قوامه أربعون ألفًا من الأنصار للهجوم على جبل الداير وأوكل الأمير حمدان أبو عنجة ومعه الأمير عبد الرحمن النجومي لقيادة الجيش وتأديب النوبة الرافضين لدعوة المهدية مدعيًا أن المسيح الدجال سيظهر في تلك الجهات، وقال إن هجوم الأنصار سيندك الجبل تحت أقدامهم، ولكن الحملة التي أرسلت للهجوم على جبل الداير لم تحقق أهدافها وتخضع النوبة، وأمر المهدي حمدان أبو عنجة للحاق به وترك قتال النوبة.

الأوضاع في مملكة تقلي بعد وفاة الملك آدم أم دبالو

في تقلي بعد أن عرف أهلها وفاة الملك آدم أم دبالو في أثناء زحف المهدي في حلة شبشة على الضفة الغربية للنيل الأبيض، تم تحميل المهدي وأنصاره مسئولية موت الملك المغدور الذي قدم كل ما يمكن أن يقدمه للمهدي، واتهموا الأنصار بقتل الملك آدم لأن ملابسات وفاته كانت خافية على الأهالي وأبنائه، وكان معه في الحبس أبناؤه (الجيلي، الطاهر، أبو فلج) الذين استطاعوا الهرب من حبس المهدية بعد وفاة والدهم الملك آدم أم دبالو.

بـدأ أبنـاء الملـك آدم أم دبالـو الذيـن كانـوا موجوديـن في تقـلي آنـذاك في الـصراع والتصادم وأعلـن كل مـن (الطيـب وعـلي أبـو زنيـت وأخوهـم الزئبـق) نفسـه مـكًّا عـلى تقلي وشـهدت تقـلي مرحلـة عصيبـة مـن الحـروب والمؤامـرات والتشـتت في داخـل بيـت الحكـم فيها.

في ذلـك الوقـت كان عمـر بـن الملـك آدم في معيـة جيـوش المهديـة ووصـل معهـم إلى الخرطـوم واشـترك في تحريرهـا، وأصبـح مـن المقربـين، لكنـه كان غاضبًـا مـن تسـبب المهديـة في وفـاة والـده الملـك آدم أم دبالـو، وبعـد فتـح الخرطـوم بفـترة قصـيرة في يـوم 22 يونيـو 1885م تـوفي محمـد أحمـد المهـدي بعـد شـهور قصـيرة مـن فتـح الخرطـوم وخلفـه عـلى مقاليـد الدولـة المهديـة في السـودان الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي.

تقلي في فترة حكم الخليفة عبد الله التعايشي 1885م إلى العام 1898م.

بعـد أن اسـتقرت الأوضـاع للخليفـة عبـد اللـه التعايـشي وكان محتاجًـا إلى تنظيم جيوشـه وتزويدهـا بالمـؤن والرجـال، طلـب مـن الأمـير عمـر بـن الملـك المرحـوم آدم أم دبالـو أن يرجـع إلى جبـال النوبـة حيـث أهلـه في مملكـة تقـلي ويسـتقدم دعـمًا مكونًـا مـن الرجـال والمـؤن إلى الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي.

فـور وصـول الأمـير عمـر بـن الملـك آدم أم دبالـو إلى مملكـة تقـلي وجـد أن إخوتـه في حالـة صراع وانقسـام وغضـب مـن المهديـة واتهمـوه بالتخـلي عـن والـده إلى أن تـوفي وعـدم الوقـوف مـع إخوتـه الذيـن كانـوا في حبـس المهـدي وانغماسـه في المهديـة وعـدم تعاونـه مـع أهلـه وأعلنـوا رفضهـم لطلـب الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي.

فـور وصـول عمـر بـن الملـك آدم أم دبالـو إلى أم درمـان بلـغ الخليفـة عبـد اللـه بموقـف إخوتـه ورفضهـم الاسـتجابة لطلـب الخليفـة وتقريعهـم لـه، مـما أغضـب ذلـك الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي واعتـبر ذلـك نوعًـا مـن التمـرد في فـترة عصيبـة مـن تاريـخ حكـم الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي حيـث كـثر فيهـا تمـرد القبائـل عـلى سـلطته وقـام بحسـم هـذه التمـردات بقـوة السـلاح.

حملة حمدان أبو عنجة لتأديب النوبة وأهالي مملكة تقلي.

صـارت مملكـة تقـلي مسرحًـا للغـزو المنظـم واسـتباحة أموالهـا وأخـذ الرجـال لتجنيدهـم في جيـوش المهديـة وقتـل خلـق كثـير مـن أهـالي المملكـة التـي دمـرت واسـتبيحت مـن قبـل الأنصـار الذيـن تناسـوا الخدمـات الجليلـة التـي قدمهـا مكـوك تقـلي للمهديـة.

في العـام 1885 جـرد الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي قـوة جـرارة مـن جيوشـه بقيـادة

الأمير حمدان أبو عنجة لتأديب النوبة وأهالي مملكة تقلي الذين رفضوا الانصياع إلى أوامر المهدية، وشارك في هذه الحملة النور عنقرة ولحق به الأمير يونس ود الدكيم التعايشي، استمرت الحملة لمدة ثلاث سنوات قتل فيها من النوبة حوالي 7 آلاف خلافًا للجرحى والمشردين من قراهم ومن سيق ليجند في قوات الجهادية التابعة للمهدية. وقتل كل أفراد الأسرة الحاكمة وقتل من أبناء المك آدم أم دبالو كل من الزئبق والطيب ونحج علي أبو زنيت في الهرب.

توغلت جيوش المهدية في أراضي مملكة تقلي وكان يقودها الأمير حمدان أبو عنجة ودخلت إلى جبال قدير وفر مكها بوش إلى الغابات حنوبًا ودمرت ولم ينجُ من القتل إلا من هرب أمام قوات المهدية، وبعدها تم ضرب قبائل كنانة والحوازمة وأخذ مواشيهم غنائم، ولكن لم تدخل جيوش الخليفة عبد الله التعايشي إلى جبال رشاد لأن الأمير أبو عنجة كان متزوجًا من الأميرة قرون فيلة بت المك عبد الرحمن مك جبال رشاد وبهذا ضمنوا سلامتهم.

وعلى الفور عين الخليفة عبد الله التعايشي الأمير عمر ود المك آدم أم دبالو أميرًا للمهدية على تقلي وعموم جبال النوبة بعد انسحاب الأمير حمدان أبو عنجة لقيادة الجبهة الشرقية في القلابات، قام الأمير عمر أم دبالو بشن حملات منظمة على القبائل الوثنية والمسيحية في الجبال والمعارضين للمهدية ولكنه لم يستمر طويلًا فرجع إلى أم درمان.

استطاع أخوه الهارب علي أبو زنيت أن يجمع أهله في منطقة كندورو وأن يقوم بهجمات ناجحة ضد المتحالفين مع الخليفة عبد الله التعايشي، وأعلن نفسه مكًّا على تقلي، وكان قد هرب من معتقله أخوه جيلي الذي كان مخفورًا في القضارف وفور وصوله عين وزيرًا لأخيه المك علي أبو زنيت في العام 1892م.

الصراع داخل الأسرة الحاكمة في مملكة تقلي.

لكن شبح الخلافات أطل برأسه مرة أخرى بين الأخوين ووقعت معارك بين أتباعهم هزم فيها جيلي على يد رجال علي أبو زنيت، ولكنه جمع قواته ورتب رجاله وفي معركة فاصلة بعد عدة معارك في العام 1896 استطاع أن يهزم قوات أخيه المك علي أبو زنيت ونجح في طرده إلى جبال الداير في شمال كردفان، في تلك الفترة كان خطر الغزو الإنجليزي يهدد دولة الخليفة عبد الله التعايشي من الشمال بقيادة الجنرال كتشنر باشا ولم يعر الخليفة عبد الله التعايشي للمخاطر في جبال النوبة بالًا.

فنجح جيلي في استقطاب الهاربين من الأنصار في قواته مما عزز موقفه في صراعه ضد إخوته ووصوله إلى ككر مملكة تقلي، وكان قد أعلن تضامنه مع الخليفة عبد

الله التعايشي وخضوعه له، لكن معركة كرري ألقت بتغيرات في الخارطة السياسية السودانية بانتصار البريطانيين ونهاية حكم الخليفة عبد الله التعايشي.

تقلي بعد معركة كرري.

بعد كرري التجأ الخليفة عبد الله التعايشي ومعه حوالي أربعة آلاف من الهاربين من أم درمان إلى سهول شرق كردفان واتصل بالمك جيلي لكي يوفر له الملاذ الآمن، إلا أن المك جيلي لم يستجب له وأعلن خضوعه للبريطانيين وذلك في العام 1898م واتصل بحاكم فشودة العسكري الميجور جاكسون.

عين الخليفة عبد الله التعايشي بمشاورة أخيه الأمير يعقوب جراب الرأي الأمير إبراهيم مخير ليكون دليل انسحاب الخليفة عبد الله التعايشي إلى كردفان إذا هزم في معركة كرري والأمير إبراهيم مخير من المقربين للخليفة عبد الله التعايشي وهو من أمراء الملازمين[1] ينتمي إلى قبيلة الزيادية[2] وشاع أن يعقوب جراب الرأي وضع جمالًا تحمل المؤن والمياه في نقطة معينة شرق مدينة شركيلا من أعمال كردفان قبيل المعركة تحسبًا لأي انسحاب مفاجئ أو هزيمة لما كان يصله من معلومات عن استعدادات جيوش الإنجليز التي لم ترها قارة إفريقية قط وكان الخيار هو الانسحاب إلى جبال قدير في مملكة تقلي أو الانسحاب إلى دارفور.[3]

قاد الأمير إبراهيم مخير الخليفة عبد الله التعايشي ومن معه لمدة ثلاث ليال صعبة مات عدد من مرافقيهم جوعًا وعطشًا[4] إلى أن وصلوا إلى نقطة في شرق شركيلا ووجدوا الطعام والمياه.[5]

---

(1) الملازمون جيش استبقاه الخليفة عبد الله التعايشي بالقرب منه وأطلق هذا الاسم لملازمتهم للخليفة عبد الله التعايشي وكان هذا الجيش مسلحًا ببنادق نارية ويقوده شيخ الدين ود الخليفة عبد الله

(2) قبيلة الزيادية من نسل فزارة بن شيبان بن محارب بن فهم بن قيس بن عيلان بن مضر جد النبي صلى الله عليه وسلم، والزيادية قبيلة لها كيان وعظمة وهي ربة إبل وماشية وأهلك جلها غارات الأنصار عليها في أيام الخليفة عبد الله خليفة المهدي وسطا على البقية السلطان علي دينار فأبادها ولها بقية بدارفور كردفان والبعض مع دار حامد في أنحاء كردفان وتحديدًا في ضواحي الأبيض، اشتغلوا في تجارة الملح والنطرون ينقسمون إلى ثلاثة فروع كبيرة تحتها عدة بطون وهي أولاد جربوع وأولاد مفضل وأولاد جابر (عون الشريف،الموسوعة، ج2،ص1035).

(3) عصمت حسن زلفو، كرري، مطبعة سيد المرسلين، أم درمان، ص554.

(4) يقال إن عددًا من لم يستطع المسير تركوه خلفهم خوفًا من أن تلحق بهم سرايا الإنجليز إضافة إلى أن القبائل التي مروا بأراضيها كانت تنتقم من أتباع الخليفة مما حتم على الخليفة ومرافقيه السير مسرعين للخروج من دائرة الخطر.

(5) شاع أن الأمير يعقوب جراب الرأي أخا الخليفة عبد الله التعايشي قد وضع الزاد والمياه في نقطة ينسحب لها الخليفة ومن معه وتكتم على الأمر وظل سرًا من أسرار المهدية، فعلًا التجأ إلى هذه النقطة الخليفة عبد الله التعايشي بعد هزيمته في معركة كرري ووصلها بعد مشقة هلك عدد من أتباعه جوعًا وعطشًا.

إلا أن أعيـان تقـلي ومكهـا قـرروا الوقـوف بقـوة أمـام محـاولات الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي وأعوانـه ومنعهـم مـن دخـول كـرري واسـتعدوا لذلـك ووصلـت الأخبـار للخليفـة الـذي لم يوفـق في الالتجـاء إلى دارفـور التـي اسـتولى عليهـا عـلي دينـار وأعلـن خضوعـه للإنجليـز وكاتبهـم بذلـك وكذلـك فعـل أعيـان تقـلي ومكهـا واتصلـوا بالحاميـة الإنجليزيـة في فشـودة ليعلنـوا ولاءهـم وعـدم اسـتقبالهم للخليفـة وأتباعـه حتـى قتـل في معركـة أم دبيكـرات في العـام 1899م.

الفصل السابع

مملكة تقلي والاحتلال البريطاني للسودان

بعد معركة كرري في يوم 2 سبتمبر 1898م وسقوط أم درمان في يد البريطانيين كتب سردار الجيش الغازي رسالة وجهها للأعيان والنظار والمكوك يعرفهم فيها باحتلال السودان وإنهاء حكم المهدية وإعادة احتلال السودان والسلطة الجديدة ويطلب فيها منهم الخضوع وعدم المعارضة وكذلك عدم التعاون مع فلول النظام المهدي الذي فرقته الآلة العسكرية البريطانية.

بعد معركة كرري وهزيمة قوات الخليفة عبد الله بدأت عملية مطاردة الخليفة وكان أول عمل مضاد قام به سلاطين باشا ومعه عبد العظيم بك وقوة من الكتائب السودانية وقوات العرب الأصدقاء التي توغلت إلى جنوب أم درمان ووصلت إلى شمال الدويم وفي قرية الشقيق عرفوا أن موكب الخليفة عبد الله التعايشي قد رحل قبل يومين من وصول مطارديه وأنه توغل غربًا في سهول كردفان وأنه ربما يقصد دارفور أو مملكة تقلي الحاضنة الأولى للمهدية عند اندلاعها في العام 1881م.

كما تم تسيير دورية نهرية بالبوارج الحربية وقاد الدورية الكابتن كتشنر الصغير ووصلت الدورية وهي تصعد جنوبًا إلى مشرع الدويم لمنع أي تجمعات للأنصار معادية وقامت القوات البريطانية بتحذير الأهالي وشيوخ القبائل من أي تعاون مع الخليفة عبد الله ورجاله.

جاء في تقرير المخابرات البريطانية[1] بعد معركة كرري وانسحاب الخليفة عبد الله إلى سهول كردفان ووجد مقاومة منعته من دخول جبال قدير الواقعة في أطراف مملكة تقلي في جبال النوبة الشرقية إلا أن حالة السخط ضد حكم الخليفة وعدم ترحيب المك جيلي ود آدم أم دبالو بالخليفة وأتباعه أجبرهم على التحرك في سهول كردفان الشرقية دون الدخول في منطقة محصنة يمكن أن توفر لهم تأمينًا من أي غارة يقوم بها الجيش البريطاني.

---

(1) الملحق رقم 58 أوراق فشودة دار تقلي، تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان، التقرير رقم 60، ترجمة وتحقيق البشير أحمد محيي الدين موسى، دار رفيقي للطباعة والنشر، ص 235.

(لقد وصل الرسل المبعوثون من الملك جيلي مك تقلي وقدموا تقريرًا عن بلادهم وأنهم علموا أن الجيش المصري قد أعاد احتلال فشودة. وأفادوا أن مملكة دار تقلي لا يوجد بها دراويش، رسل الملك تقلي ذكروا أنهم سيعيدون خط التجارة مع فشودة وأعلنوا ولاءهم للحكومة. الشيخ العرب السراجية وصل إلى نقطة الحكومة وأعلن نيته مبايعة الحكومة).[1]

إعلان جناب السردار للمشايخ والزعماء المحليين على الفور وزعت على الشيوخ وزعماء كردفان ودارفور والذي أورد في تقرير المخابرات رقم 60 الملحق رقم 97 وإليك نص الإعلان (إعلان السردار إلى المشايخ في كردفان ودارفور:

لكم في كل مناطقكم التي أنتم فيها، فقد سمعتم بنصرنا وإعادة احتلالنا للسودان. وقد أجلينا (الخليفة) من (أم درمان) وقد احتللنا هذه البلاد إلى أقصاها في النيل الأزرق والنيل الأبيض والخرطوم ودنقلا والقضارف وقد أدخلنا كل هذه البلاد عمليًا تحت حكمنا وقامت قواتنا بالانتشار وأمنت الأهالي ومنحناهم الأمان وتم تأمين التجارة وطرقها وعادت الأعمال التجارية المتنوعة تعمل بنشاط في سلام وأمان وبصورة أفضل.

كتبت إليكم هذا الإعلان لتعلموا مجريات الأمور وأن الحكومة قد فرضت سيطرتها على كردفان ودارفور وكل غرب السودان. ولكننا في هذه المرحلة قد أسسنا دوائر الحكومة في السودان النيلي ومحافظات شرق السودان وحددنا المديريات وعينا عليها المديرين والمآمير لتحقيق الرفاه في هذه المديريات للأهالي وستتقدم قواتنا إلى كردفان ودارفور في أقرب وقت. وسيتحول جهدنا إلى كردفان ودارفور لإعادة سلطة الحكومة وتحديد المديريات والمآمير لتحقيق الرفاه للأهالي والقبائل وسيعود الاستقرار والسلام مرة أخرى في مناطقكم.

الآن أعطيكم أمان الله ورسوله وأمان جناب (الخديوي) وأماني. وعليه أرجو أن تحافظوا على الهدوء لأنكم تحت سلطة الحكومة ستكونون قريبًا. ليس عليكم أن تخشوا بعد اليوم من سطوة (الخليفة) الذي هو الآن هارب وقد هزمنا قواته في (كرري) ونحن صادقون في مطاردته هو وأتباعه القلائل الذين معه والذي لجأ إلى جنوب (جبال النوبة) في كردفان وهو مطلوب بالنسبة لنا ومعه نساؤه وعدد من الأطفال وسنقوم بهزيمته وهو الآن يختفي خوفًا من قوات الحكومة المنتصرة.

وقد قمت بإعلام كافة القبائل للامتثال للحكومة والعمل على القبض على

(1) نفس المصدر السابق، ص 237-235.

(الخليفة) في أي مكان وقدمت دعوة لأتباعه ومرافقيه للاستسلام للحكومة الذين يساعدونه ويعاونونه في الاختباء وحذرتهم من هذا.

وقد أعلمتكم أن الحكومة قد أعادت سيطرتها على كل السودان والآن تعمل على إعادة تنظيم شئون الحكم في مناطقكم ويجب عليكم ألا تضيعوا الزمن في أن تكتبوا بأنكم استلمتم هذا الإعلان وأنكم تحت سلطة الحكومة.

سردار الجيش المصري

السير هيربرت كتشنر باشا

الاتصال بالمك جيلي بن آدم أم دبالو

قام سلاطين باشا الذي عين مفتش عام حكومة السودان الاستعمارية (1899-1914م) والذي له إلمام جيد بالسودان والزعماء المحليين وطرق التفاوض معهم بالاتصال مع إدارة مملكة تقلي للتفاوض بخصوص إدارة جبال النوبة حيث وافقت إدارة الحكم الثنائي على الشروط التي وضعها مك تقلي عدا الشرط السادس. حيث تم تقسيم جبال النوبة إلى غربية وشرقية حيث أصبحت الجبال الشرقية تعرف باسم إدارة تقلي الأهلية حسب قرار الحاكم العام فيما بعد تنظيم الإدارات الأهلية ومنحها صلاحيات قضائية موسعة وأنشئت المحاكم وحددت حدود الإدارات الأهلية.

احتفظت تقلي بالوضعية المميزة خلال فترة الحكم البريطاني وأصبح مكها من الأعيان والذين يشار إليهم في إقليمهم وفي المقابل ذابت سلطات المملكة لكن بقيت الأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية مستمرة دونما تدخل من السلطات الاستعمارية.

كغيرها من الإدارات الأهلية كإقليم الفونج أصبح المك حسن ود عدلان ناظرًا على إقليم الفونج إضافة إلى تقسيم مناطق وديار القبائل ذات الوحدات الإدارية والتي تضم حولها العديد من العموديات لتسهيل إدارة البلاد التي تم فتحها والتي تعتبر أكبر مساحة من الجزر البريطانية نفسها، لذلك كان لا بد من تفعيل دور الإدارات الأهلية لحسم القضايا بين الأهالي وتقليل كلفة حكم السودان، ويشير المستر جيمس روبتسون وهو مفتش إنجليزي عمل في العديد من المراكز مفتشًا وترقى في خدمة حكومة السودان إلى أن أصبح السكرتير الإداري (أن أعلى عدد من الإداريين الإنجليز وصل إلى 700 إنجليزي في السودان وتمت إدارة السودان بفضل النظم الإدارية مثل الإدارة الأهلية).

الأحداث في تقلي بعد احتلال فشودة

بعد كرري بحوالي عشرة أيام فقط تحرك السردار كتشنر باشا ومعه ونجت باشا وعدد عشر بوارج حربية والكتيبة 13 السودانية وعدد كبير من الضباط الإنجليز إلى فشودة وذلك بعد وصول باخرة الأنصار والصافية وفيها الأمير سيد صغير ليبلغ الخليفة بنتيجة حروبه مع السواحين البيض في فشودة ولم يكن الأمير سيد صغير يعلم أن الخليفة عبد الله التعايشي وجيوشه قد هزموا في سهل كرري، فتم أخذ الأمير سيد صغير أسيرًا وتم استجوابه ومن بعدها تحركت قافلة البوارج جنوبًا نحو فشودة لتجد قوة فرنسية صغيرة بباخرة قديمة تحمل اسم فيدهيربن وعدد تسع مراكب شراعية ويقودها مارشند ومعه كابتن يدعى جيرماني وعدد من الجنود السود السنغاليين.

بعد نقاش حاد كاد أن يتحول إلى حرب، اتفق القائدان كتشنر ومارشند على رفع الأمر إلى حكومتيهما لحسم القضية عبر التفاوض الذي أنهى الوجود الفرنسي في حوض نهر النيل وتم إعلان تشكيل مديرية فشودة وإعلان الميجور جاكسون مديرًا وحاكمًا عسكريًّا عليها ووضعت الكتيبة السودانية في فشودة.

إقليم جبال النوبة الشرقي والغربي الذي يضم مملكة تقلي أصبح جزءًا من مديرية فشودة وشهدت حضور زعماء القبائل من المكوك والنظار والعمد إلى فشودة لتقديم فروض الولاء والطاعة للحكومة الاستعمارية الجديدة في السودان.

كان الزعيم المحلي لقبيلة السراجية قد قدم على الجيش البريطاني في فشودة في يوم 28 أكتوبر 1818م ويدعى مختار ود حامد وقدم معلومات للبريطانيين عن تحركات الخليفة عبد الله بعد هزيمته في معركة كرري وقد أشارت معلومات قلم المخابرات بأن الخليفة ومن معه يرغبون في الالتجاء إلى جبال قدير في مملكة تقلي.

وقد أفاد زعيم قبيلة السراجية مختار ود حامد بأنه أمضى الفترة من يوم 19 أكتوبر إلى يوم 28 أكتوبر في ديار فونجي وهي تقع بين مملكة شلك ومملكة تقلي وهي منطقة رعوية وهم من قبيلة الحمادي وكان أغلب أهلها من الأنصار الذين قاتلوا مع الأنصار في كل حوادث المهدية وبعد كرري عادوا إلى ديارهم مثلهم كبقية جيش الخليفة عبد الله التعايشي.

البحث أو الإدلاء بأي معلومات عن تحركات الخليفة عبد الله التعايشي من أهم الجهود التي قام بها البريطانيون في العام الأول من احتلال السودان، وكانت آخر المعلومات التي تحصل عليها البريطانيون أن الخليفة عبد الله لا يزال في سهول كردفان

الشرقيـة متجـولًا وقـد وصـل إلى قريـة العجيلـة القريبـة مـن شركيـلا في وسـط كردفـان، لذلـك اتجـه التركيـز بالبحـث عـن طريـق مصـادر المعلومـات عـن موقـف مـك تقـلي مـن اسـتقبال الخليفـة ومرافقيـه.

وقـد كتـب الخليفـة رسـالة سريـة للمـك جيـلي بـن المـك آدم أم دبالـو كواحـد مـن أتباعـه الذيـن يدينـون لـه بالـولاء أن يحـضر فـورًا إلى منهـل العجيلـة للتشـاور معـه حـول كيفيـة وصـول أتبـاع الخليفـة وترتيـب تموينهـم وحمايتهـم في جبـال مملكـة تقـلي.

إلا أن المـك جيـلي بـن آدم أم دبالـو رفـض أن يذعـن لأمـر الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي وحـذره مـن مغبـة القـدوم إلى جبـال تقـلي، وكان المـك جيـلي وإخوتـه وأبـوه المـك آدم أم دبالـو في سـجن المهـدي قبيـل فتـح الخرطـوم وتـوفي المـك آدم في (حلـة شبشـة) عـلى ضفـاف النيـل الأبيـض وبعـد فتـح الخرطـوم هـرب أبنـاء المـك آدم أم دبالـو وبعدهـا سـير الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي حملـة تأديبيـة لجبـال النوبـة بمـا فيهـا ديـار تقـلي بقيـادة الأمـير حمـدان أبـو عنجـة هلـك فيهـا أكـثر مـن 7000 مـن النوبـة والقبائـل العربيـة التـي رفضـت تمويـن الخليفـة عبـد اللـه بالـذرة والمقاتلـين وتـم تنصيـب الأمـير عمـر أخـي المـك جيـلي مـكًّا عـلى أهلـه في جبـال تقـلي إلا أنـه كان مكروهًـا عـلى اعتبـار أنـه لم يقـف مـع أبيـه وهـو في سـجن المهديـة حتـى تـوفي وكذلـك إخوتـه حتـى هربـوا، لذلـك لم يجـد القبـول فلـم يمكـث إلا فـترة قليلـة واعتـذر عـن مككيـة تقـلي وكان هـو مـن أمـراء المهديـة الكبـار في ذلـك الوقـت.

نتيجـة لـكل ذلـك لم يجـد الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي الترحيـب الـكافي مـن قبـل المـك جيـلي آدم أم دبالـو الـذي أعلـن خضوعـه واعترافـه بالسـلطة الجديـدة وحـذر الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي بأنـه سيسـلمه للبريطانيـين ولـن يكـرر خطـأ أبيـه الـذي اسـتضاف المهـدي وأتباعـه في العـام 1881م وهـم قلـة مطـاردون مـن قبـل الحكومـة الخديويـة المصريـة (التركيـة السـابقة) ولمـا اسـتقوى المهـدي وكـثرت انتصاراتـه فـكك مملكـة تقـلي وسـجن الرجـل الـذي قـدم لـه الحمايـة.

لذلـك أرسـل المـك جيـلي تسـعة مـن أعضـاء مجلـس (الأرابيـب) أي الأعيـان إلى فشـودة التـي أصبحـت مركـز الحكومـة الاسـتعمارية الأقـرب إلى جبـال النوبـة الشرقيـة وقـد وصـل المبعوثـون وأكـدوا خضـوع المملكـة التاريخيـة إلى السـلطة الاسـتعمارية الجديـدة وأكـدوا أيضًـا للحكومـة اسـتحالة اسـتضافة الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي الهائـم في سـهول وسـط كردفـان بالقـرب مـن شركيـلا، ولتأكيـد التزامهـم أبقـوا عـلى واحـد مـن أعيـان مملكـة تقـلي

في فشودة في رئاسة الجيش البريطاني وفي يوم 19 أكتوبر1898م عاد رسل المك جيلي من فشودة إلى جبال تقلي على أمل أن يزودوا البريطانيين بأي معلومات مستجدة عن تحركات الخليفة عبد الله التعايشي وأنه سيتعاون مع مك جبال قدير المحلي المدعو أحمد صاغة للقيام بعمل مشترك ضد الخليفة وأتباعه.[1]

الهاربون من جيش الخليفة عبد الله التعايشي

معلومات قلم المخابرات أكدت أن الهاربين من جيوش الخليفة عبد الله التعايشي والذين فروا وأصبحوا لاجئين في إقليم كردفان لجئوا إلى جبل الداير ويقدر عددهم بحوالي 3000 لاجئ من الرجال وأعداد كبيرة من النساء والأطفال وذلك بعد هزيمة جيوش المهدية، وفي يوم من الأيام كان سكان جبل كدارو من النوبة والذي يقع قرب جبل الداير قد احتموا به أيضًا في فترة سابقة.

كما أن أغلب السكان من كردفان الذين كانوا تابعين للمهدية قد تفرقوا أو دخلوا جبال الداير كلاجئين ويقدر عدد السكان الأصليين الذين لجئوا إلى جبال الداير بحوالي 2000 بينما سكان الجبل الأصليون يقدرون بحوالي 3000 من الرجال وكل هؤلاء الهاربين من الخليفة لا يرغبون في مقاتلة جيوش الحكومة.

وكان الإعلان الذي أصدره سردار الجيش إلى زعماء القبائل في كردفان ودارفور قد طمأن بعض الأهالي نوعًا ما، إلا أن حالة الذعر من (المكن) الإنجليزي والذي كان يقصد به الأهالي السلاح الذي حارب به الإنجليز في كرري جعلت الكثيرين يلجئون إلى جبل الداير وأن يهربوا من الخليفة الذي لم تسمح له القبائل بدخول جبل الداير.

التجاء قوة من الجهادية للمك جيلي آدم أم دبالو

قوة الجهادية وهي القوة الرئيسية في جيوش المهدية أيضًا أغلبهم هرب من الخليفة وذهب لجبال النوبة وهناك 400 من الجهادية هربوا إلى مملكة تقلي استفاد منهم مك تقلي المك جيلي بن آدم أم دبالو في تعزيز موقفه العسكري خصوصًا بعد ورود إشاعات أن الخليفة عبد الله التعايشي سيقوم بهجمات على مملكة تقلي.

إن الأهالي في جبل الداير أصبحوا يتخوفون من هجمات رجال الخليفة المتكررة وأغلبهم التجأ إلى حلة أم روابة التي تقع شرقهم مسيرة يوم واحد وأم ركبة التي تبعد عنهم يومين إذا كان المسير متصلًا، وكانت ديار تقلي تقع جنوب شرق جبل الداير

(1) د. البشير أحمد محيي الدين موسى، تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان، ترجمة وتحقيق، دار رفيقي للطباعة والنشر، القاهرة، 2020م، ص243.

وتبعد مسيرة 3 أيام، إذا افترضنا أن الخليفة ينوي التحرك إلى دار التعايشة وينضم إلى أهله ولكن قبائل دغيم لا ترغب في الانضمام إلى تلك البلاد النائية وأن الخليفة عبد الله التعايشي أما أن يطلب العفو من الحكومة أو يقوم بالانضمام إلى مناطقهم القريبة من جبل قدير، والخليفة عبد الله تخلى عن فكرة الرحيل إلى ديار التعايشة وقرر أن يقوم بعمليات نهب السكان والعرب حول جبل قدير، وأن الخليفة سيتحرك للاستقرار في جبل قدير.[1]

وكان بوش ود ضو البيت مك جبل قدير الذي خلعه الخليفة من مكوكية جبال قدير وينافس الملك الحالي أحمد صاغة حول الزعامة يعتبره امتدادًا لسلطات الخليفة في جبال النوبة.

بوش ود ضو البيت قام بزيارة إلى معسكر البريطانيين في فشودة وأعلن خضوعه للسلطة الاستعمارية الجديدة ورغبته في الانتقام من الخليفة ومرافقيه وقد قدم بوش معه أرباب مناطق الحمادي ودار الفونج وبعض من أعيان النوبة، لكن اللافت أن الوفد الذي قدم مع آدم بوش كان موزع الولاء بينه وبين أحمد صاغة.

وقد قدموا فروض الولاء والطاعة وأعلنوا أنهم يعملون على فتح الطرق أمام التجارة ويخطرون السكان ويسهمون أيضًا في انتشار قوات الحكومة، ولعل الملاحظ أن وفود عدد من الأعيان خلافًا للممثلين عن الملك في مملكة تقلي يشير إلى انفراط عقد المملكة وافتقاد الملك جيلي بن آدم أم دبالو للسلطة التي كان يسيطر عليها مكوك تقلي، ومرد ذلك أن الخليفة عبد الله عمل على تفكيك المملكة وإضعافها مما منح زعماء القبائل الجرأة على التواصل مع البريطانيين، ولربما كان هناك سبب آخر هو أن الأنباء عن قوة الآلة الاستعمارية العسكرية التي سحقت الأنصار في كرري وما ورد من معلومات للأهالي والأعيان عنها جعلهم يسارعون في الخضوع والحصول على أمان الحكومة، في كل الأحوال انتهت مظاهر السلطة الفعلية بعد خضوع الملك جيلي بن آدم أم دبالو ومكوك القبائل القريبة من تقلي لصالح السلطة الاستعمارية التي عمدت إلى الإبقاء على الوضع كما هو حتى تتفرغ من مسألة اعتقال أو قتل الخليفة عبد الله التعايشي الذي راج أنه سيتوجه إلى جبال تقلي أو تخوم دارفور إن استطاع.

رسل الملك جيلي بن الملك آدم أم دبالو للإنجليز

في يوم 19 أكتوبر 1898م واحد من التسعة مبعوثين من جبل قدير قد بقي بينما

(1) د. البشير أحمد محيي الدين، تقارير المخابرات البريطانية، مرجع سبق ذكره، ص251.

غـادر البقيـة فشـودة إلى ديارهـم، مـضى فـترة وعـاد أحـد المبعوثـين يحمـل رسـالة وهدايـا إلى حاكـم فشـودة البريطـاني الميجـور جاكسـون، وعندمـا عـاد المبعـوث كان معـه شـيخ قبيلـة الحوازمـة ومعـه والشـيخ أحمـد حامـد زعيـم العـرب السراجيـة وتمـت عمليـة إعـادة اسـتجوابهم بواسـطة قلـم المخابـرات عـن تحـركات الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي وموقـف زعـماء القبائـل والتأكـد مـن صحـة المعلومـات السـابقة.

أفـادوا بـأن بـوش ود ضـو البيـت هنيـة زعيم قبيلـة الحمادي وهـي مـن مناطـق البقارة في جبـال النوبـة ومعـه خليـل الفنجـراوي كانوا تعرضـوا لحادثة نهب مـن قبل 30 نوباوي سـلبوا منهـم الخطابـات والهدايـا الحكوميـة وفي آخر الأمر أرجعوهـا إليهم لما عرفـوا حقيقتها وكانت الخطابـات والهدايـا مرسـلة إلى شـيوخ الحوازمـة مـن قبـل مديـر وحاكـم فشـودة العسـكري وخافـوا مـن انتقـام البريطانيين الذين عمت سـيرة ما أحدثوه من رعب نتيجة لتفوق التسـليح.

مـن الطريـف والجيـد أن نذكـر أن عـددًا ممن تـم تجنيدهـم في كتائب الجيـش الإنجليزي المـصري الـذي أعـاد احتـلال السـودان وانتـصر في معركـة كـرري كان جـزء مقـدر منهـا مـن أبنـاء النوبـة والبقـارة عمومًـا ومـن جبـال النوبـة الشرقيـة عـلى وجـه الخصـوص، حيـث دونـت أول حادثـة هـروب عسـاكر هـذه المجموعـة الهاربـين مـن الكتيبـة 9 السـودانية وهـم غيـاب مـن محطـة كاكا مـن يـوم 17 سـبتمبر وهـم يتبعـون لإقليـم الشـيخ هنيـة.[1]

إحصائيات الأسلحة والذخائر في مملكة تقلي وما جاورها بعد معركة كرري

شيخ الدرديـري وهـو تاجـر قـدم معلومـات تفصيليـة وإحصائيـات للسـلطات البريطانيـة عـن الأسـلحة الموجـودة وهـي مفرقـة في أيـدي العـرب في الجبـال كـما هـو موضـح:

حلة ساردية (جبل الداير) ــــــــــــــــــــ 200 بندقية.

حلة عقيرة فرو (جبل الداير) ــــــــــــــــــــ 200 بندقية.

حلة رحمات رحمة (جبل الداير) ــــــــــــــــــــ 100 بندقية.

حلة دار موسى رحمة (جبل الداير) ــــــــــــــــــــ 200 بندقية.

حلة العين داين (جبل الداير) ــــــــــــــــــــ 80 بندقية.

حلة مندر الخليفة (جبل الداير) ــــــــــــــــــــ 60 بندقية.

حلة كيملا نمر (جبل الداير) ــــــــــــــــــــ 150 بندقية.

---

(1) د. البشـير أحمـد محيـي الديـن، تقاريـر المخابـرات البريطانيـة عـن الثـورة المهديـة التقرير رقـم 60، مرجع تـم ذكره، ص.

حلة فيرلا فرلا (جبل الداير) ــــــــــــــــــــــــــــــ 50 بندقية.

الإجمـــــــــــــــــــــــــــالي ـــــــــــــــــــ 1040 بندقية.

الملك جيلي آدم (تقلي) ــــــــــــــــــــــــــــــ 500 بندقية.

جبل طاطوق (الملك عديل) ــــــــــــــــــــــــــــــ 300 بندقية.

جبل رشاد (الملك إسماعيل) ــــــــــــــــــــــــــــــ 300 بندقية.

جبل كاجاجا (الملك عبد الله) ــــــــــــــــــــــــــــــ 300 بندقية.

جبل تكوم تكم (الملك الخليفة) ــــــــــــــــــــــــــــــ 300 بندقية.

الإجمـــــــــــــــــــــــــــالي ـــــــــــــــــــ 1700 بندقية.

جبال كدرو (تحت قيادة جبريل) ــــــــــــــــــــــــــــــ 600 بندقية.

جبل الكواليب (تحت قيادة ناصر) ــــــــــــــــــــــــــــــ 700 بندقية.

جبل الدلنج (تحت قيادة عبيدة) ــــــــــــــــــــــــــــــ 100 بندقية.

جبل النومة (نيمنج - نما) ــــــــــــــــــــــــــــــ 1000 بندقية.

جبل المندل ــــــــــــــــــــــــــــــ 100 بندقية.

جبل الغلفان ــــــــــــــــــــــــــــــ 100 بندقية.

جبل ديري ــــــــــــــــــــــــــــــ 100 بندقية.

جبل واتي ــــــــــــــــــــــــــــــ 100 بندقية.

جبل أم حيطان ــــــــــــــــــــــــــــــ 100 بندقية.

جبل أبو عضام ــــــــــــــــــــــــــــــ 120 بندقية.

الإجمـــــــــــــــــــــــــــالي ـــــــــــــــــــ 3030 بندقية.

جبل قوقواب (تحت قيادة الملك رحال) ــــــــــــــــــــــــــــــ 600 بندقية.

جبل تلودي ــ 400 بندقية.

جبل الليري ــ 400 بندقية.

جبل تيرا ــ 1400 بندقية.

جبل الليري ــ 300 بندقية.

جبل أبو جنوك ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 200 بندقية.

جبل داجو ــ 200 بندقية.

جبل سيليقي ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 200 بندقية.

الإجمــــــــــــــــــــالي ــــــــــــــــــــــ 3700 بندقية.

البنادق الموجودة في أيدي بقارة جبال النوبة:

الحوازمة ــ 300 بندقية.

الحمر ــ 200 بندقية.

المسيرية ــ 200 بندقية.

الرزيقات ــ 300 بندقية.

أولاد حميد ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 200 بندقية.

كنانة ــ 200 بندقية.

الإجمــــــــــــــــــــالي ــــــــــــــــــــــ 1400 بندقية.

البنادق الموجودة في حوزة قبيلة البديرية (عرب):

البنادق تحت سيطرة (عبد الصمد الطاهر) في جبال الكواليب ــــــــ 150 بندقية.

البنادق تحت سيطرة (العبيد الحاج) ــــــــــــــــــــ 130 بندقية.

الإجمــــــــــــــــــــالي ــــــــــــــــــــــ 280 بندقية.

دخول القوات الإنجليزية إلى تقلي

وتنفيـذًا لذلـك جهـزت الإدارة الإنجليزيـة سريـة مـن الجيـش برئاسـة الميجـر بنتـلي وطلبـت مـن مـك عمـوم تقـلي تجهيـز مئـة مـن الأدلاء بجانـب منـدوب المـك حيـث تـم اختيـار منـدوب المـك عبـد النبـي عبـد القـوي مـن الكواهلـة وينـوب عنـه أبـو بكـر بـن المـك جيـلي وعـلى رأس هـذه المجموعـة مسـتر فايكـر، حيـث قـام هـذا الفريـق برسـم حدود جبـال النوبـة الشرقيـة التـي عرفـت بمركـز تقـلي. ومـضى هـذا الفريـق في ترسـيم الحـدود لمـدة ستة أشـهر و11 يومًـا لتسـليم الموقـع عـلى الأرض وبعـد ذلـك تـم تسـليم الخرائـط كل واحـدة داخـل علبـة «توتيـا» تجنبًـا للحرائـق والأمطـار والضيـاع لـكل عمـدة عـلى الحـدود «مرفـق خريطـة جبـال النوبـة 1903».

المـك آدم جيـلي اعتـلى عـرش تقـلي في العـام 1921م في فترة الحكـم البريطاني في السـودان، وكان الإنجليـز يشـجعون الحكـم المحـلي والإدارات الأهليـة، وكانـت منطقـة الجبـال الشرقيـة جـزءًا مـن مديريـة كردفـان وتحولـت إلى مجلـس ريفـي بعـد إلغـاء مديريـة جبـال النوبـة وتـم تكويـن مجلـس إداري للمنطقـة، وكان المـك آدم الثـاني قـد اختـار آبـار كـتري بـدلًا مـن كرايـة وأطلـق عـلى آبـار كـتري اسـم العباسـية لتكـون عاصمـة لـه، سرعـان مـا تطـورت العباسـية تقـلي بفضـل موقعهـا المميـز وأصبحـت مركـزًا تجاريًّـا وسياسـيًّا وعاصمـة لـكل الجبـال الشرقيـة وتـم فتـح المحكمـة الأهليـة في العباسـية تقـلي وأصبـح المـك هـو قاضيهـا بسـلطات قضائيـة وإداريـة كبـيرة.

إداريًّـا أصبـح إقليـم مملكـة تقـلي يحكمـه المـك بسـلطات الإدارة الأهليـة وجـرى هـذا العـرف أيضًـا في إقليـم مملكـة الفونـج حيـث أصبـح المكـوك بسـلطات قضائيـة وإداريـة أهليـة كذلـك في ديـار المسـاليت وأحفـاد سـلاطين دارفـور، وهـذا مـا سـهل عمليـة إدارة السـودان في فـترة الحكـم البريطـاني حيـث اسـتفاد الإنجليـز مـن العمـد والنظـار في إدارة مناطقهـم مـما قلـل كلفـة إدارة أطـراف السـودان المتراميـة.

وتشـير الوثائـق التاريخيـة إلى أن أعـلى عـدد للمفتشـين الإنجليـز في السـودان كان 700 مفتـش، وكان كل مفتـش عـلى رأس مركـز ويتبـع المركـز إلى مديريـة ومجلـس الحاكـم العـام مـما أسـهم في الضغـط عـلى الميزانيـة العامـة لحكومـة السـودان الاسـتعمارية في الفـترة مـن 1898م إلى العـام 1956م.

تم تقسيم مملكة تقلي بحدودها الجغرافية في العام 1947م إلى قسمين، هما:

- الإدارة الشـمالية وتضـم ثلاثـة أقسـام (تقـلي، الحوازمـة، رشـاد) وفيهـا قبائـل التقوي والترجـوك والحوازمـة، وعـين عليهـا المـك حـاج طاهـر جيـلي وهـو شـقيق المـك آدم الثاني.
- الإدارة الجنوبيـة وتشـمل أربعـة أقسـام، وهـي: أولاد حميـد - كنانـة، الكواهلـة في كلوقـي، واللـيري، وعموديـة تلـودي، وأوكل عليهـا الناظـر راضي كمبـال وهـو أول مـن عـين عليهـا.

الفصل الثامن

تقلي بعيون وأقلام الرحالة الأجانب

على الرغم من أن مملكة تقلي لم يزرها أي من الرحالة، فإن الرحالة الذين زاروا السودان على وجه العموم وإقليم كردفان على وجه الخصوص قد استقوا معلومات عن مملكة تقلي وكتبوا عنها في العديد من الكتب واعتبرت بلاد تقلي في كتابات الرحالة هي كل إقليم جبال النوبة، ومنهم من وصفها بأنها قبيلة، ومنهم من ذكر أنها واحدة من السلطنات السودانية.

أغلب تدفق الرحالة الذين كتبوا عن تقلي بعد احتلال السودان بواسطة الأتراك، فقد كان محمد علي باشا متأثرًا بالحضارة الغربية، والأثر الأكبر كان للفرنسيين حيث حاول تقليد أعمال الفرنسيين في إرسال البعثات العلمية وتشجيع الرحالة الأجانب لدخول السودان والكتابة عنه، وتعتبر فترة التركية هي أول فترة في تاريخ السودان شهدت تدوينًا للمعالم والقبائل والمدن السودانية.

وعلى الرغم من عدم وجود عوائق حقيقية تمنع الرحالة من دخول تقلي والكتابة عنها، فإن الانطباع السائد وسط مسئولي الحكومة الخديوية المصرية (التركية السابقة) عن مملكة تقلي وسكانها ومكها أنهم لا يرحبون بزيارة الأجانب من الأوروبيين، ويمكن أن يتعرضوا إلى مصاعب جمة.

لذلك اكتفى عدد من الرحالة بإيراد المعلومات التي جمعوها عن طريق المقابلات والأحاديث مع أشخاص لهم علاقة بالأسرة الحاكمة والتجار الذين يتجرون في مملكة تقلي الإسلامية والذين أكدوا ترحيب التقلاويين بالأجانب والاستفادة من معارفهم، إلا أن الرأي العام الغالب وسط النخب الحاكمة من الأتراك كانت ضد زيارة الرحالة مملكة تقلي وذلك مرده أن العلاقة بين الحكومة ومك تقلي لم تكن على ما يرام ونشبت بينهم معارك، لذلك لم يشجع الحكام الأتراك الراغبين في زيارة مملكة تقلي.

الرحالة الأمير بكلر بسكاو1837م

الأمير بكلر بسكاو هيرمان لودوينج هندريك سائح ألماني زار السودان في العام

1837م، وصل إلى مصر سائحًا في القاهرة، اشترى خادمة إثيوبية تدعى محبوبة، رافقته في رحلته إلى السودان التي زار فيها الخرطوم وود مدني ورجع ومعه خادمته إلى فيينا وهناك أصدر كتابه (مصر في عهد محمد علي باشا)[1] نشر كتابه في جزأين في العام 1845م، في الجزء الأول تحدث عن مصر، والجزء الثاني عن السودان ووصف مدنه وقبائله وتاريخه، ووقف في جزئية من كتابه في الأوضاع في مملكة تقلي وعلاقتها بالممالك استعرض شيئًا من تاريخها العام.

وصل الرحالة الألماني بكلر بسكاو إلى السودان وكان مك تقلي هو المك جيلي عون الله بن المك جيلي عمارة والذي اشتهر بأنه مك عادل واشتهر بالحزم والعزم وكانت الحكومة الخديوية في السودان أن تغزو بلده فصدها وحافظ على استقلال بلاده، مما جعل الأتراك يعزمون على فتح طرق التجارة مع مملكته، لذلك أصبح التجار يتنقلون بكل يسر وراحة وأمان، ولكنه اشتهر بأنه لم يسمح للذين يدخلون تقلي بأن يهددوا استقرارها، وعلى الرغم من ذلك كانت الفكرة العامة بأن دخول الأوروبيين إلى تقلي يمكن أن يسبب لهم مصاعب جمة.

كتب الأمير بكلر بسكاو عن إقليم كردفان وخصص فصلًا كاملًا لأقاليم السودان ووصف مدينة الأبيض عاصمة كردفان والثروة الحيوانية التي يزخر بها وتطرق إلى معدن الذهب وأشار إلى جزء من مملكة تقلي جبال شيبون ونظرة الأهالي للحكومة المشوبة بالحذر لمنافستها لهم في استخراج الذهب وعمليات قنص الرقيق من جبال النوبة والحملات التي تقوم بها حكومة محمد علي باشا وتجار الرقيق.[2]

يركز بسكاو على اهتمام حكومة الترك بمعدن الذهب في جبال شيبون وأن محمد علي باشا أرسل خبراء نمساويين لتعدين الذهب وكانت البعثة برئاسة النمساوي روسيجر ويرافق البعثة 400 حارس من الجيش، وأنه وجد الأهالي يغسلون الذهب بطريقة تقليدية ثم يباع في سنار والأبيض ودنقلا، وأن المنطقة بها أقوام سود شرسون وميالون للقتال للحفاظ على ذهبهم، وأن الحاكم التركي مصطفى بك قد اشتغل بحرب السود فأحرق قرى شيبون، وبالرغم من هزيمة السود، فإن الأتراك لم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم في جبال شيبون.

إقليم تقلي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من كردفان، وهو إقليم أقل شأنًا من

(1) نسيم مقار، الرحالة الأجانب في السودان، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1995م، ص 154.

(2) نفس المرجع السابق، ص 164.

الأقاليـم الأخـرى، إلا أنـه يمتـاز بموقـع حصـين يشـد أزره نظـام حـربي ممتـاز، وفي اسـتطاعة أهلـه صـد الهجـمات، والحكومـة صارمـة للغايـة، والسـلطان الحـالي في تقـلي شـاب ذكي ذو شـخصية قويـة قـادر عـلى أن يجمـع جيشًـا قوامـه خمسـون ألـف رجـل محـارب، وجميـع الأراضي ملـك للسـلطان الـذي لـه أيضًـا السـلطة عـلى كل فـرد مـن أفـراد رعيتـه، ومـع ذلـك يقـال إنـه يحكـم شـعبه حكـمًا عـادلًا ليـس فيـه قسـوة أو جـبروت.[1]

أمـا عـن نشـاط أهـالي تقـلي الأبـرز فإنهـم يعملـون في الزراعـة والتجـارة وغسـل الذهـب في جبـال شـيبون ومنـدي وجبـل تـيرا وأماكـن أخـرى، فيغسـلون الـتراب ويسـتخرجون منـه الذهــب، وإن كل شيء في خدمــة ســلطان تقــلي، ويقــوم بعــض التقلاويــين بالتجــارة مــع الجلابـة والأجانـب في الأبيـض، ولا تبـدو عليهـم أي مظاهـر الرفاهيـة التـي تتجـلى بوضـوح في قـصر السـلطان.

لم يقـم الأمـير بزيـارة تقـلي، ولكنـه اسـتقى معلوماتـه مـن المقابـلات والأحاديـث المعروفة عـن مملكـة تقـلي، وقـد التقـى بمصطفـى بـك حاكـم كردفـان في ذلـك الوقـت، إذ تحـدث معـه عـن إمكانيـة دخـول تقـلي، فقـال لـه حاكـم كردفـان إن أي أجنبـي تبـدو أغراضـه واضحـة مثـل التاجـر لا يجـد صعوبـة في الحصـول عـلى تصريـح لدخـول تقـلي، حيـث لا يوجـد تعصـب دينـي هنـاك، ولكـن مصطفـى بـك لا يسـتطيع أن يؤكـد أن جميـع سـكان تقـلي قـد اعتنقـوا الإسـلام.[2]

انطباعات ومرويات اقناتيوس بالمة عن تقلي

وهـو رحالـة تشـيكي زار السـودان في الفـترة مـن 1837 إلى العـام 1839م بعدمـا وصـل مـصر لتأسـيس عمـل تجـاري، ومنهـا اخـترق صحـراء النوبـة إلى كردفـان حيـث وضـع مؤلفـه الموسـوم (رحـلات في كردفـان) والـذي ترجمـه الأسـتاذ أربـاب مـوسى بخيـت والـذي تنـاول فيـه جولاتـه في كردفـان وأحاديثـه ومشـاهداته عـن القبائـل والمناطـق وأنظمـة الحكـم والعـادات والتقاليـد ومنتجـات كردفـان وأسـواقها ومكوكهـا وممالـك المسـبعات والفـور وتقـلي والفونـج.

لم يوفـق بالمـة في زيـارة مملكـة تقـلي بعـد أن اسـتقر في الأبيـض، لكنـه قابـل أخـا مك تقلي في الأبيـض، وقابـل التجـار القادمـين مـن تقـلي وسـمع الكثـير مـن الروايـات الشـفاهية التـي أدرجهـا في مؤلفـه القيـم الـذي حـوى قصصًـا عـن تقـلي فيهـا نـوع مـن المبالغـات والخيـال.

---

(1) نفس المرجع السابق، ص166.

(2) نسيم قار، الرحالة الأجانب في السودان، ص 167.

صادفت زيارة اقناتيوس بالمة لكردفان إبان جلوس المك جيلي عون الله بن المك جيلي عمارة الذي حكم مملكة تقلي في الفترة من العام 1826-1840م[1] وكانت سيرة المك جيلي عون الله العطرة قد طارت في الآفاق بأنه حاكم عادل، وفي عهده حاول الأتراك غزو مملكة تقلي وفشلوا في الاستيلاء عليها.

يقول بالمة (إن قبيلة تقلي تبعد على مسافة أربعة أيام جنوب شرق كرفان، وعليها سلطان يقيم بقرية طاسي يتحكم بكل شئونها)[2] وقد قام بالمة بجمع هذه المعلومات خلال بحثه وتدوينه لرحلاته في الأبيض حيث صادف وجود عدد من التجار الجلابة الذين أطلق عليهم الدناقلة وهو تقرير ليس صحيحًا أن كل التجار الذين كانوا يتجرون بين تقلي والأبيض من الدناقلة، لكن ما وقع في سمع الرحالة اعتبره من المسلمات حيث أطلق على عدد من تجار الرقيق بالدناقلة في جنوب دارفور وبحر الغزال في ذلك الوقت من تاريخ السودان، والحقيقة أن التجار الجلابة من مختلف قبائل الشمال العربية ولم يكونوا كلهم تجار رقيق ونخاسة كما ذهب العديد من الرحالة الأجانب في السودان وكانت كتاباتهم السالبة من أعظم الفتن التي لا نزال نعاني منها إلى يومنا هذا.

يواصل ويقول في كتابه رحلات في كردفان إن أغلب رعايا (مك تقلي) يعتنقون الإسلام في سابق الزمان عندما كانت كردفان وما حولها تحت سيطرة ملوك دارفور كانت قبيلة تقلي تدفع الجزية لحكومة دارفور واستمر الحال كذلك حتى عندما استولى محمد علي باشا على كردفان)[3] وبهذا يكون الرحالة التشيكي وقع ضحية لمقولات لم يراجعها جيدًا حيث إن مملكة تقلي لم تدن لمملكة الفور ولم تدفع لهم جزية حيث كانت سلطنة المسبعات في وسط سهول كردفان هي الدويلة الفاصلة بين جبال النوبة ودارفور.

محاولات غزو مملكة تقلي

حدث أن حاول المسبعات غزو مملكة تقلي لكنهم ارتدوا مهزومين أمام جيوش تقلي التي استفادت من طبوغرافيا جبال النوبة وألحقت بهم هزيمة منكرة وحتى في العهد التركي المصري ظلت مملكة تقلي محافظة على استقلالها على الرغم من المحاولات المتعددة للأتراك في إخضاع التقلاويين، فإن جميع المحاولات باءت بالفشل الذريع.

(1) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، تاريخ مملكة تقلي الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص16.

(2) اقناتيوس بالمة، رحلات في كردفان 1839-1837م، ترجمة أرباب موسى بخيت، دار المصورات للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، ص117.

(3) نفس المرجع السابق، ص117.

وقد قامت الحكومة الخديوية المصرية بحملات عسكرية لغزو مملكة تقلي حيث أرسلت ثلاث حملات منيت بالفشل الذريع مما اضطر محمد علي باشا إلى إلغاء حملاته العسكرية على جبال تقلي بعد أن تكبد فيها خسائر وسط جنوده وصلت إلى مقتل نصف عددهم والسبب في ذلك أن قبيلة تقلي (المملكة) كان لها جموع كبيرة من القوات غير النظامية ذات بأس وشجاعة كبدت المصريين خسائر فادحة.[1]

كان تكتيك جيش تقلي مثل تكتيك البجاة الذين استفادوا من الأرض وطبيعتها ومعرفتهم بها، لذلك كان عليهم جر العدو من السهول إلى حواف الجبال ومنها إلى الجبال، ثم يتم سحقه تمامًا ولا ينجو إلا من يهرب برجليه، فقد أشار بالمة من خلال المعلومات التي جمعها من أشخاص عبروا إلى تقلي أو من حكايات سمعها في الأبيض يقول يباغت مقاتلو تقلي جيوش الأتراك في كل مكان، فقد كانوا يتركونهم يتجمعون ليبدوهم وبعدها ينسحبون في اتجاه جبالهم الحصينة التي يصعب على عدوهم ملاحقتهم، وفي كل مرة عندما يعجز الأتراك عن هزمهم يأمر قائد جيوش الحكومة بالانتقام بحرق ما يجده من قرى وحرق محاصيلهم التي وقعت تحت يده[2]ثم ينسحب إلى كردفان منهيًا جولة من القتال مع التقلاويين.

يواصل اقناتنوس بالمة عن مملكة تقلي فيقول إن التجارة في تقلي رائجة حيث يتحرك التجار من بارا والأبيض في كل أرجاء مملكة تقلي وبحرية دون أن يعترضهم أحد أو ينهب تجارتهم، وكذلك يصل تجار تقلي إلى كردفان وينقلون البضائع القيمة على رأسها الذهب من جبال شيبون.

وصف مملكة تقلي

يصف مملكة تقلي فيقول إنها تتميز بأنها منطقة جبلية يحصنها سلاسل متصلة ببعضها البعض وكأنها جبل واحد حيث يستغرق عبورها يومين كاملين. وقبيلة تقلي تتوزع على 99 جبلًا ويسكن النوبة جبلًا واحدًا ليصير العدد مئة، لكن النوبة أكثر عددًا من أهالي تقلي[3] ولكن بالمة يعود ويناقش مسألة الأرقام فيقول نصًا (عمومًا لا

---

(1) اقناتيوس بالمة، مرجع سبق ذكره، 117.

(2) نفس المرجع السابق، ص 118.

(3) قلنا في جزء سابق من هذا الكتاب إن قوة الممالك السودانية والملوك ارتبط بالرقم 99 صدقًا أم خيالاً ويبدو أن الراوي الذي التقاه بالمة متأثر بهذه الخيالات لذلك نقل له أن مكوك تقلي يحكموا 99 جبلًا وهو أمر غير صحيح إضافة إلى ذكره أن النوبة يسكنون جبلًا واحدًا وأن جبال تقلي عبارة عن سلسلة متصلة كأنها جبل واحد وهذا يدعونا للوقوف عند كثير من المعلومات التي أوردها الرحالة التشيكي اقناتيوس بالمة فهو لم يقم بزيارة جبال تقلي ولم يقف على كثير مما أورده عن النوبة الآخرين وجزء من شمال كردفان

يجب أن تؤخذ هذه الأرقام حرفيًا لأنهم يقولون لكل عدد يتعدى الـ33 يكون بعده الرقم 99 وبدلًا من أن يقولوا 40 و80 خروفًا فإنهم يقولون 99 خروفًا، وقد قابلت زنجيًا من تلك النواحي معرفته بالحساب محدودة جدًا لا تتعدى الرقم 5 الذي يشير إليه بعدد أصابع اليد.. وإذا سألت الناس بتلك المحدودية بمعرفة الأرقام الحسابية فمن المستحيل أن تتحصل منهم على إجابة مقنعة.[1]

بلاد أهلها أكثر اهتمامًا بتصنيع منتجاتهم من بقية أهالي كردفان ولهم اهتمام كبير بالزراعة، وبارعون في حصاد القطن، وتصنيعه في مغازلهم الخاصة، وكذلك لديهم جياد نبيلة (في الغالب أصولها دنقلاوية أو من دارفور)، كما يتاجر زنوج تقلي في العاج، فهم ماهرون في قنص الأفيال ولهم حيل في قنص الفيل ويهاجرون لصيده، وكذلك بارعون في قنص الأسود بالحراب ويقذفون حرابهم وحجارتهم ببراعة عجيبة دون أن يخطئوا.

عن سكان تقلي

يقول اقناتيوس بالمة إن سكان تقلي من عرق نبيل، وكل الذين قابلهم هادئون ورزينون، منهم من يلبس أزياء الزنوج الآخرين في البلاد، لكن الأثرياء يرتدون قصمانًا بيضاء أو زرقاء وعاداتهم وتقاليدهم مثل نوبة الشمال، ويقال إن سلطان تقلي إنسان فاضل وكل من تشرف بمعرفته يتحدث عن فضائله فهو رجل محبوب عند رعيته والأهالي لا يأتون له إلا راكعين ويدعون له في صلواتهم[2] وليس هناك من يجرؤ على الجلوس وهو واقف في مجلس يكون فيه السلطان حاضرًا.

الديوان الذي يستقبل فيه مك تقلي ضيفه عبارة عن صالون كبير مبني من الحجر ومزين بالسيوف والحراب ومعدات الحرب التذكارية ويحيط به عدد من الحراس يصل عددهم إلى 20 مسلحين بالحراب مشكلين درعًا بشريًا لحماية السلطان.

يجلس السلطان في الديوان بعد صلاة الصبح يستمع للشكاوى ويصدر أحكامه، وسلطان تقلي مغرم بالصيد ويخرج له، وله عدد من النسوة يصل عددهن إلى 300[3] يقمن بمنزله الكبير في عاصمته طاسي، منزل المك مبني من الحجر ومحصن بصورة

---

(1) اقناتيوس بالمة، مصدر سبق ذكره، ص118.

(2) اقناتيوس بالمة، نفس المرجع السابق، ص 120

(3) للمك أربع زوجات حسب أحكام الشريعة، ولعل الرحالة بالمي يقصد أن للمك عددًا كبيرًا من الخدم لأن مكوك تقلي اهتموا بنشر الشريعة الإسلامية ولم يرد في تواريخ مكوك تقلي مخالفتهم للشرع الإسلامي، وكما أشرت أن معلومات بالمي استقاها من مجموعة مقابلات أجراها في مدينة الأبيض ولم يتمكن من زيارة مملكة تقلي.

جيدة ويحيط به الحراس وله باب واحد.[1]

أخو مك تقلي مع الرحالة اقناتيوس بالمي

صادف في أثناء مكوث الرحالة التشيكي بالمي أن زار الأبيض أخو مك تقلي وهو شقيق الملك أحمد بن الملك أبو بكر في 1843/1827م [2] فسارع إلى لقائه وأخذ منه الكثير عن مملكة تقلي على أمل أن يصحبه في رحلة رجوعه إلى تقلي، يقول بالمي أن أخا الملك كان يرتدي قميصًا أزرق وينتعل صندلًا ولا يضع طربوشًا على رأسه وعرضت عليه فكرتي لزيارة تقلي التي لم تطأها قدم أوروبي[3] وعرف بالمي أن أخا الملك يزور الأبيض سنويًّا وذكر له أن مك تقلي سيتقبله بكل ترحاب في بلاده وبالتالي ليس هناك ما يخشاه على نفسه في رحلته وأن مك تقلي له الرغبة في التعرف على الإفرنج، لكن رجال الحكومة التركية في الأبيض نصحوه بعدم الذهاب إلى تقلي وأكدوا له أنه سيتعرض لكل المخاطر إن قام برحلته تلك إلى بلاد تقلي، لأن الأتراك والرجال البيض مكروهون في تقلي[4] وهنا اضطر إلى إلغاء فكرة زيارة تقلي، على الرغم من أن الأمير التقلاوي حاول إقناع بالمة بأن هذه الفكرة غير صحيحة وأكد أيضًا أن مك تقلي يتوق إلى زيارة الفرنجة لبلاده ليتعلم منهم بعض الأشياء، ولكنه لا يرغب في زيارة جاسوس تركي.[5]

قام بالمة بصنع طربوش جميل أعجب به أمير تقلي ولبسه في فترة إقامته في الأبيض ولكنه حينما قرر العودة إلى مملكة تقلي رفض أن يحمله لأن مك تقلي ليس لديه طربوش بتلك الفخامة وليس من الأدب أن يضع هو طربوشًا هكذا والملك ليس لديه، لذلك أعاد إليه الطربوش على الفور واعتذر له، على إن رجع فسيلبسه في الأبيض.

الجيش في تقلي

على رأس جيوش تقلي قائد الجيش، وعليه أن يظهر نوعًا من الشجاعة والقوة ويتقدم قواته، وهو يركب فرسًا ويقوم بشن الغارات على الجبال البعيدة عن العاصمة لإخضاعها، ومن يأسرهم يأخذهم رقيقًا يباع أو يجند في جيش الملك، كما كان

(1) اقناتيوس بالمي، مرجع سبق ذكره، ص121.

(2) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص 16.

(3) نفس المرجع السابق، ص121.

(4) يعود ذلك إلى أطماع الترك في تقلي وغزوهم لها محاربين وفشلهم في الاستيلاء عليها لذلك تكونت عندهم فكرة المخاطر الجمة للرجل الأبيض لأنه كان من المشاع أن كل أبيض هو تركي وانتقلت هذه الفكرة إلى فترة المهدية في السودان وهي فكرة مغلوطة تكونت في أذهان حكام التركية وانتقلت للسودانيين فكانت أفعال الأتراك الظلم والعسف الأمر الذي جعلهم مكروهين.

(5) اقناتيوس بالمة، مرجع سبق ذكره، ص122.

جيش تقلي أيضًا يحارب صائدي الرقيق من (النهاضة) ويعاقبهم بعنف.

يورد محاولة أحد قواد تقلي في تعقب البقارة الذين ترددوا على المك ومصرع قائدهم الشجاع الذي كان في المقدمة مضحيًا بنفسه وهو لا يهاب الموت، وكان مع البقارة مغربي يحمل طبنجة فقذف قائد جيش تقلي الشجاع حربته فأخطأ المغربي الذي أطلق بدوره عيارًا ناريًّا أردى قائد جيوش تقلي على الفور وانهزم جنود مك تقلي لأنهم كانوا لا يستخدمون السلاح الناري.

لم تعرف تقلي الأسلحة النارية إلا في عهد المك ناصر الذي حكم من العام 1844م إلى العام 1859م والذي استجلب السلاح الناري من الأتراك الذين عاونوه في جلوسه على كرسي الحكم في مملكة تقلي.[1]

الرحالة جيمس بروس

من أشهر الرحالة الذين زاروا السودان في القرن الثامن عشر وهو من أصول اسكتلندية ولد في العام 1720م ودرس القانون في جامعة إدنبرة، لم يلتحق الخدمة الحكومية بل قام برحلات في أوروبا وسوريا ومصر والحبشة والسودان[2] وصل السودان في العام 1722م قادمًا من الحبشة إلى سنار.

يتحدث جيمس بروس في إطار وصفه لأقاليم السودان المختلفة وعندما يتطرق إلى كردفان يقول تقع إلى الجنوب من كردفان على مسيرة ثمانية أيام والبعض يقول ستة أيام والبعض يقول على مسيرة عشرة أيام مرتفعات جبل الداير وتقلي، وهذه المرتفعات تقطنها قبائل متنوعة في حالة حرب دائمة مع السلطات الحاكمة في كردفان، ومنها يأتي الرقيق كما يوجد بها الكثير من الذهب والعاج وغيره. والذي قال إن هناك العديد من القرى التي تحيط بسنار كان يقطن فيها رقيق مجلوبون من جبال النوبة وبشكل رئيسي من جبال الداير وتقلي، شكل الجنود النوبة فرقة المشاة لجيش سلطنة سنار.

عن ثروة إقليم كردفان المعدنية يؤكد الرحالة جيمس بروس عدم وجود معدن الذهب في هذا الإقليم، إنما يأتي الذهب من جنوب كردفان من جبال تقلي حيث عدن في جبال شيبون (لا يوجد ذهب في كردفان، إنما يأتيها من مكان يقال له شيبون كما جاء في سياحة براون).[3]

---

(1) عبد القادر محمد عبد القادر دورة، مرجع سبق ذكره، ص 16.

(2) نسيم مقار، الرحالة الأجانب في السودان، مرجع سبق ذكره، ص 9.

(3) نسيم مقار، مصدر سيق ذكره، 15.

الباحثة الأمريكية جانيت إيواليد 1977-1979م

باحثة دكتوراه أمريكية الجنسية قامت بإعداد بحث لنيل درجة الدكتوراه بعنوان (الزعامة والتغيير الاجتماعي في منطقة إسلامية، مملكة تقلي 1780-1900م) وقامت جانيت بزيارة العباسية تقلي، ومكثت فيها من العام 1977 إلى العام 1979م، نالت على إثرها درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ ويسكونسن - ماديسون بالولايات المتحدة الأمريكية في العام 1982م.

اعتبرت دراسة جانيت من الدراسات الميدانية التي وصلت إلى العباسية وزارت كل مدن وقرى المملكة القديمة وأجرت العديد من المقابلات واطلعت على وثائق من دار الوثائق السودانية ومن المتاحف الأمريكية والأوروبية، كما استعانت بعدد من المتخصصين في التاريخ السوداني مثل البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم والبروفيسور يوسف فضل حسن والمؤرخ جي اسبولدنج والمؤرخ البروفيسور ريتشارد هل والمؤرخ الكبير آر. إس. أوفاهي. بالإضافة إلى أعيان تقلي مثل الأستاذ عبد القادر دورة مؤلف كتاب تاريخ مملكة تقلي الإسلامية وإدريس الزيبق جيلي وهم من أحفاد مكوك تقلي، مما أكسب بحثها أهمية وعلمية في طرحها.

وقد قام مشكورًا الباشمهندس معاوية عبد الرحمن الزيبق حفيد الملك آدم أم دبالو بترجمة كتابها إلى اللغة العربية مما مكن من الإفادة من هذا البحث، ويرجع ذلك إلى إلمامه بالتاريخ والجغرافيا والمكوك وسيرهم والقبائل والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

تقول جانيت في مقدمة بحثها عن مملكة تقلي إن المؤرخ يجد صعوبة في تحديد عمر مملكة تقلي وتحديد اللحظة التي أصبح فيها مجتمع ما مملكة، ولا بد أن يتضمن ذلك بصورة قاطعة تعريف ما يميز ذلك النظام عن النظم الاجتماعية والسياسية السائدة، وعلى أقل تقدير فإن السلالة الحاكمة احتفظت بالسلطة في الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي[1] كما أن حجم ومساحة مملكة تقلي فقد وصفها الرحالة بأنها تمتد في 99 جبلًا والتي اعتبرها الرحالة الأجانب نوعًا من التعبير عن حجمها بدلًا من الوصف الدقيق لمساحتها كما هو شائع في الثقافة السودانية، وكانت مملكة تقلي تتحصل على الضرائب من كل جبال النوبة الشرقية وأراضي القيزان الرملية والأراضي الطينية المحيطة بمملكة تقلي مما يمكن القارئ لوضع تصور لحدود المملكة الجغرافية.

(1) جانيت إيوالد، الزعامة والتغيير الاجتماعي في منطقة إسلامية، مملكة تقلي 1900-1780م، بحث دكتوراه من جامعة ويسكونسن الولايات المتحدة الأمريكية، 1982م، ترجمة معاوية عبد الرحمن الزيبق، ص10.

تضيـف جانيـت أن أكـثر مـا يمكـن ملاحظتـه في إقليـم تقـلي المؤسسـات الإسـلامية (الخـلاوي) والتـي تلعـب دورًا رئيسـيًّا في الحيـاة الاجتماعيـة فأغلـب القـرى فيهـا مـدارس قرآنيـة ويحـضر الأولاد في المسـاء لدراسـة القـرآن[1] عـلى ضـوء التقابـة ويرتبـط ذلـك بهجـرة الفقيـه محمـد الجعـلي الـذي أسـهم هـو وأحفـاده في تحويـل المنطقـة كلهـا للإسـلام.

وتضيـف جانيـت أن سـكان العباسـية يتقاسـمون ثقافـة واحـدة مركزهـا شـمال السـودان، وتـرى أن قلـة روابـط القرابـة والتضاريـس الصعبـة هـو التفسـير الأكـثر وضوحًا لاتجاه سـكان العباسـية عـن سـكان المرتفعـات القريبـة[2] منهـم والتـي تقـع إلى الغـرب مـن ديـار تقـلي لأن الطـرق الأسـهل تقـع شـمال وشرق العباسـية، ويقـول أهـالي العباسـية إن سـلفهم جـاء مـن الشـمال وتـزوج بنـت الحاكـم المحـلي وحـول كل النـاس إلى الإسـلام، وقسـمت جانيـت إيواليـد المملكـة إلى مركزيـن بينهـما نـوع مـن الـصراع المسـكوت عنـه بـين تومالي والعباسـية، فالأخـيرة مركـز النخبـة، والأولى هـي مركـز قيـم تجاوزتـه الحركـة الثقافيـة والاجتماعيـة في المملكـة فهـي تقـع إلى الغـرب مـن العباسـية والطريـق إليهـا وعـر وتحفـه المرتفعـات لكنهـا مـن المراكـز القديمـة في مملكـة تقـلي.



سلسـلة جبـال تقـلي بـين تريفـت وطـاس المصـدر كتـاب جانيـت ايوالـد الزعامـة والتغيـير السـياسي في منطقـة اسلامية ترجمـة معاويـة عبـد الرحمـن الزيبئـق ص 8

(1) نفس المرجع السابق، ص13.

(2) نفس المرج السابق، ص ص17_18.

أنساب مكوك تقلي

أما عن أنساب مكوك تقلي وأصل التقلاويين فتقول جانيت إن الروايات حول أنساب المكوك لا تختلف إلا قليلًا وتتعدد الروايات إلا أن أغلبها يعتمد على الذاكرة الشفاهية وكذلك عن تقلي قبيل هجرة الشيخ محمد الجعلي وحواره آدم أبو حامة إلى المنطقة، وتورد أيضًا بعض القصص حول الإله الثعبان شبضري وقتله بسيوف محمد الجعلي وآدم أبو حامة وزواج النساك من الأسرة المالكة وتحول المملكة إلى نسله والدخول في دين الله أفواجًا.

تشير الباحثة جانيت إيوالد إلى أن الحدود بين الفونج وتقلي والحدود مع المسبعات والتركية السابقة كانت أماكن خطرة على وجه التحديد وهو ما تسبب في امتناع العديد من الرحالة الأجانب من دخول مملكة تقلي وإن كانت لهم كتابات عن المملكة من خلال الروايات السماعية والمقابلات، إلا أن جانيت تورد ما لم أقف عليه حول مرافقة الدكتور ألكسندر بيني Alexander Peney لبعثة تركية إلى تقلي في العام 1843م.[1]

من أبرز الرحالة الذين وضعوا فصولًا في مؤلفاتهم عن مملكة تقلي والذين زاروا السودان في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر منهم برنج Brung وبراون Browne وبروشي Brocchi.

إدوارد روبيل 1794-1884م

عالم ومستكشف ألماني ولد في مدينة فرانكفورت في العام1794م، زار السودان وتحديدًا إقليم كردفان في العام 1824م، وهو عالم أحياء ومستكشف نال ميدالية الراعي الألمانية وهي ميدالية رفيعة وقتها.



رسم لرحال من الرحالة الأجانب في السودان

كتب إدوارد روبيل عن إقليم كردفان من زاوية تخصصه وخصص جزءًا من بحثه للحديث عن مملكة تقلي التي لم يوفق في زيارتها حيث كان قد مضى على احتلال

(1) جانيت إيوالد، نفس المرجع السابق، ص 21.

الأتـراك ثلاثـة أعـوام عندمـا قـام برحلتـه للسـودان.

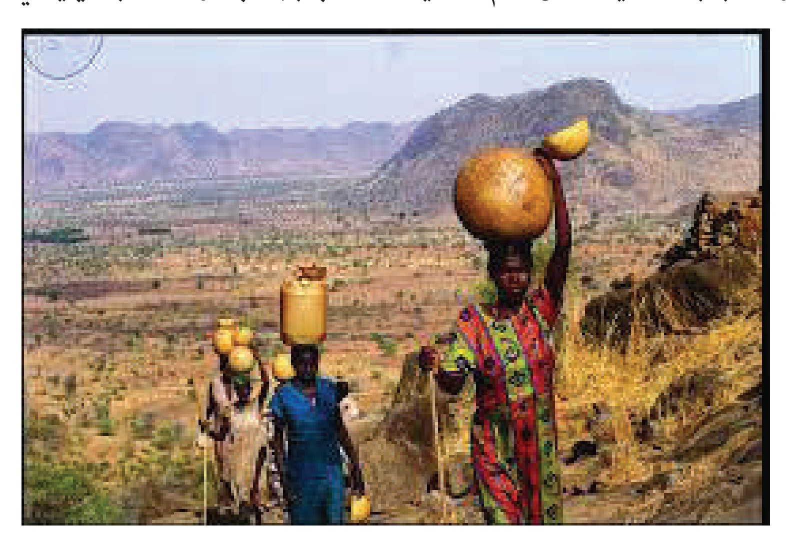
قـام إدوارد بجمـع مـواد شـفاهية -حسـبما جـاء في كتـاب الدكتـورة جانيـت إيوالـد- تعلقـت بتاريـخ مكـوك تقـلي والأنظمـة الاجتماعيـة في المملكـة.

جوزيف فون روسيجير

عـالم وجيولوجـي ومنقـب عـن معـدن الذهـب وصـل إلى السـودان مـع بعثـة كهنـة التبشـير المسـيحي التابـع لمعهـد فيرونـا، وزار الجـزء الغـربي مـن جبـال النوبـة وأشركـه حاكـم كردفـان مصطفـى بـك في بعثـة للتنقيـب عـن الذهـب في جبـال شـيبون ومعـه 400 عسـكري لحراسـته، ومعـه عـدد مـن الأوروبيـين في مهمتـه التـي فشـل فيهـا بسـبب مقاومـة النوبـة فاضطـر الجنـود إلى إحـراق قـرى جبـال شـيبون بعـد فشـلهم في إخضـاع الأهـالي وذلـك في العـام 1837م.

وكان جوزيـف فـون روسـيجر في أثنـاء زيارتـه لمـصر كتـب عـن الأديـرة في الوجـه البحـري في مـصر ووثـق أيضًـا لزيارتـه مـع البعثـة لجبـال النوبـة ولكنـه لم يدخـل إلى عمـق أراضي تقـلي واكتفـى بزيـارة جبـال شـيبون وكتـب عـن إقليـم النوبـة في جبالهـم.

كان مهتـمًّا بالبحـث أيضًـا عن خام الحديد والذهب بجانب مهمته التبشـيرية في السـودان.



صورة لجبال النوبة

كارل توشيك والتحقيق عن تقلي

جانيـت أوردت في بحثهـا لنيـل درجـة الدكتـوراه الزعامـة والتغيـير في منطقـة إسـلامية

قصة عن العالم البافاري كارل توشيك والذي تحدث إلى شاب استرق من تومالي يدعى جالو حيث اختطف ومنها هرب إلى القاهرة ومنها إلى بافاريا وهناك استنطقه العالم توشيك وأفاده بمرويات عن الأوضاع في مملكة تقلي وعلى وجه الخصوص قصة استلاب مركز تومالي وذلك في العام 1830م.[1]

الروايات التي قدمها جالو تضمنت موضوعات حول السكان الأوائل وأبطالهم ومؤسسة الأسرة الحاكمة، وتحدث عن ارتقاء وانحطاط أجناس وقبائل حكمت تقلي وهي أربع مجموعات متصارعة استطاعت الأخيرة الانفراد بحكم المملكة.

وتذكر الرواية أن بطلًا جاء إلى تومالي ونشر ديانة لم تحدد، واسمه (الوت) ويشير جالو إلى أن (الوت الون) قد جذب الأتباع وبنى المدن وخطط المناطق، وأتباعه ختنوا المؤمنين وشنوا حربًا ضد عبدة الشيطان غير المختونين الذين يطلق عليهم (هامديج) بقيادة ملكهم (بويلو) وانتهى النزاع بغير حل حيث كان كل من الون وبويلو قد صعدا إلى السماء.[2]

توشيك ذكر أن القوى الأجنبية ذات الثقافة المغايرة للثقافة المحلية سواء كانت وافدة من ديار الفونج أو شمال السودان النيلي هي التي سيطرت وتغلبت على الثقافات المحلية وخفضت من سقف التطور الاجتماعي والسياسي للثقافة المحلية، وهذا ساهم في بناء قوة النخبة الحاكمة في مملكة تقلي التي اقترنت بالثقافة العربية والإسلامية وكانت هذه أحد عوامل استقلالية المملكة وقوتها التي استطاعت من خلالها الحفاظ على كينونتها الثقافية.

فالنزعة الاستقلالية للنوبة عمومًا وتمردهم على ثقافة المركز منذ التركية والمهدية وفي فترات من الحكم البريطاني في السودان ولاحقًا بعد الاستقلال كذلك نشب تمرد مسلح مقاوم للثقافة التي وفدت إلى الجبال بدعوى خصوصية المنطقة والتهميش والسعي لنيل حقوقها السياسية والاقتصادية.

فقد كانت تومالي مركزًا من مركز مملكة تقلي لكنها تراجعت لعوامل كثيرة منها بروز النخبة الحاكمة القادمة من شمال السودان واندماجها مما أوجد قيادة تتمتع بتفوق سياسي، وإن كانت ثقافة التراث المتجذر في جبال النوبة الشرقية لم تنفصل عنه بل وضعته في اعتبارها مع اهتمامها بنشر الإسلام والثقافة العربية.

---

(1) جانيت إيواليد، الزعامة والتغيير في منطقة إسلامية مملكة تقلي، بحث قدم لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ، ترجمة معاوية عبد الرحمن الزيبق، جامعة ويسنكوسن، الولايات المتحدة الأمريكية، 1982م، ص33.

(2) جانيت إيوالد، نفس المرجع السابق، ص34.

إبراهيم فوزي أسير المهدية

وهو لواء في جيش الخديوي خدم في السودان لفترة وبالتحديد في الجنوب وقبلها في الخرطوم ورافق الجنرال غردون إلى الاستوائية ومكث فيها مدة من الزمان، عوقب بإرجاعه إلى مصر بعد أن تباطأ في تنفيذ أمر عسكري أوكل إليه.

بعد تعيين غردون باشا حاكمًا عامًّا للسودان عاد معه في وظيفة كبيرة وشهد حصار الخرطوم ومصرع غردون باشا، ووقع في أسر الأنصار وبقي في الأسر من العام 1885 إلى العام 1898م حيث حررته حملة كتشنر باشا بعد احتلال أم درمان، ثم عاد إلى مصر ووضع بإشراف قلم المخابرات مؤلفه الموسوم بـ (السودان بين يدي غردون وكتشنر) وجاء الكتاب في شكل مادة اعتمدت على ذاكرة المؤلف الذي عاصر كثيرًا من الأحداث، وكان أسيرًا يتقلب بين السجن (الساير) وبين إطلاق سراحه وعاش أوضاعًا مأساوية واضطر إلى العمل في قهوة افتتحها على شط النيل ومهن أخرى كثيرة.

لم يشر إبراهيم فوزي في مؤلفه اليتيم إلى مملكة تقلي إلا في وصفه العام لجبال النوبة حيث استعرض أحداثًا وقعت هناك خصوصًا بعد وفاة الملك آدم أم دبالو في نهاية العام 1884م قبيل تحرير الخرطوم.

يورد معلومات عن حملة حمدان أبو عنجة إلى جبال النوبة قبيل وفاة المهدي وهو متحرك لتحرير الخرطوم، فيقول إبراهيم فوزي في شعبان من العام 1302هـ أبدى التعايشي رغبته في إنفاذ حملة إلى جبال النوبة بهدف الغزو وجلب الأرقاء والماشية من تلك الجهات[1]وكان حمدان أبو عنجة قد اصطحب معه 15 ألف مقاتل ودخل جبال النوبة وتسبب في تشريد وقتل النوبة وأسر عدد كبير منهم أرسلوا إلى أم درمان.

إبراهيم فوزي استعرض أيضًا بصورة سريعة موقف الأمير عمر بن الملك آدم أم دبالو الذي التحق بالمهدي وصار من كبار أمراء المهدية وشهد مقتل النوبة في عهد الخليفة وعين أميرًا في لك الجهات، إلا أنه لم يواصل عمله واعتذر عن أن يكون عاملًا في جبال النوبة وعاد إلى أم درمان.

إبراهيم فوزي يورد شذرات متفرقة في كتابه الذي تحدث فيه بالتركيز على فترة حكم الخليفة حتى معركة كرري في العام 1898م.

الرحالة الفرنسي م. ج. جيوروس

وكتب الرحالة الفرنسي جيوروس فصلًا عن حملات الأتراك ضد مملكة تقلي وأطلق

(1) إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر، ص60.

علـى مقالتـه عنوانًـا جاذبًـا أسـماه (طريـق رحلـة مـن دنقـلا إلى كردفـان 1824- 1825م)، وعنـوان المخطوطـة الأصـلي بالفرنسـية:

"Voyage de Dongola a Cordofan fait dans l'annee 1824 et 1825 par"

كاتبـه: M.J. Chiros نُـشرت بالعـدد التاسـع والعشريـن مـن مجلة «السـودان في رسـائل ومدونـات» الصـادرة عـام 1948م، ترجمـة وتعليـق المـؤرخ البريطـاني الشـهير ريتشـارد. ل. هيـل (1901- 1996م) ومـما جـاء في المخطوطـة مـا يـلي: الأبيـض بهـا أي ليـس فيهـا آثـار فنيـة تذكـر خـلا بعـض أعـمال الفضـة، ولا تتعـدى هـذه الأعـمال مـا يصنعـه الصاغـة مـن حِجْـل وأسـاور وخواتـم فضيـة للنسـاء. ويوجـد بالمدينـة الكثـير مـن مناجـم الحديـد، والتـي يسـتغل الحـدادون مـا تنتجـه مـن حديـد ممتـاز النوعيـة في صناعـة الحـراب والسـيوف التـي يسـتخدمها الزنـوج. ولا يوجـد في تلـك الأنحـاء معـادن أخـرى مثـل النحـاس أو الفضـة، رغـم وجـود القليـل مـن مناجـم الذهـب بتقـلي، التـي تقـع عـلى مسـيرة سـتة أيـام جنـوب الأبيـض، والذهـب كان يسـتخرج مـن منطقـة قريبـة مـن جبـل شـيبون. وفي تقـلي 32 جبـلًا لم يقـع أي منهـا تحـت سـيطرة الباشـا أو الدفـتردار، ويحكـم سـكان تلـك الجبـال مـن الزنـوج سـلطان محـلي واحـد، وعجـز الأتـراك عـن السـيطرة في كردفـان إلا عـلى السـهول التـي تقـع فيهـا المدن[1]وبقيـت تلـك الجبـال مسـتقلة. وبكردفـان حاميـة مكونـة مـن كتيبتـين مـن الجنـد الذيـن أتى بهـم الباشـا، وأسـس بهـم جيشـه عـلى النمـط الفرنـسي، وكان عـلى رأسـه بالأبيـض القائمقـام سـليمان بيـه الخربوطـلي. وعلمـت بعـد السـؤال أن بكردفـان 400 مـن جنـود المشـاة مـع عـدد مـن العـرب، و50 مدفعًـا.

وفي غضـون إقامتـي بمدينـة الأبيـض عـزم حاكمهـا عـلى تسـيير غـارة عـلى الزنـوج في جبـل تُكـم (Tukam) الـذي يقـع عـلى مسـيرة ثلاثـة أيـام، وهـي أقـرب الجبـال إلى الأبيـض. ووضـع عـلى رأس تلـك الغـارة شريـف أغـا، وكان جيشـه مؤلفًـا مـن 10 - 12 ألفًـا مـن العـرب الذيـن يحملـون الحـراب، معظمهـم مـن النيـل الأبيض، وكانـوا على ظهـور الخيول والجـمال والثيران. غـير أن معظـم حيوانـات تلـك الحملة نفقت في الطريـق وذلك لأن القائمين عـلى أمر تجهيزات ذلـك الجيـش نسـوا أن يحضروا معهـم ما يكفـي لعلف بهائمهـم، ووصلوا في نهايـة المطاف إلى مقصدهـم قـرب الجبل في خمسـة أيام، عوضًا عن ثلاثة، وأقاموا لهم معسـكرًا في سـفح الجبل.

وفي صبـاح اليـوم التـالي لوصولهـم بعـث القائـد برسـول إلى زعيـم ذلـك الجبـل يطلـب منـه إرسـال 2000 مـن الرقيـق الذكـور، ومئـة لفـة مـن القـماش لتغطيـة تكاليـف الحملـة،

(1) ج. م. جيورجيـوس، الطريـف مـن دنقـلا للأبيـض، ترجمـة البروفيسـور ريتشـارد هـل مـن الفرنسـية إلى الإنجليزيـة وترجمـه بـدر الديـن حامـد الهاشـمي مـن الإنجليزيـة إلى العربيـة، مجلـة السـودان في رسـائل ومدونـات، 1948م.

ويذكر «ريتشارد هيل» أن لفائف القماش كانت تستخدم في كردفان بحسبانها عملة نقدية، حيث تعادل اللفة الواحدة نصف قرش إسباني أو 40 قرشًا مصريًا. ورد الزعيم بأنه لم يقم بدعوة الجيش التركي حتى يدفع له، ولكنه الآن يدعوه للمغادرة، وأضاف بأن على ذلك الجيش إن أراد نيل ما طلبه منه أن يتقدم ويحاول أخذه عنوة، وسيلقى ترحيبًا مناسبًا. غضب القائد التركي لذلك الرد المتحدي، فأمر بإطلاق نيران مدفعيته لإخافة الزنوج، غير أن ذلك لم يفلح في إخراج هؤلاء من مخابئهم في الجبل وعلى قمته، حيث تسلح كل واحد منهم بعدد من الحراب، وبقي في انتظار هجوم الأتراك.

لم يجد القائد من وسيلة لهزيمة سكان الجبل غير أن يأمر جنده بالصعود إلى قمم الجبل، وكانت منحدرات ذلك الجبل شديدة التعرجات والميلان، مما جعل الصعود فيها أمرًا عسيرًا، بينما كان السكان المحليون يتحركون فيها في رشاقة الماعز. وبدأ هؤلاء في قذف الجنود الأتراك بالصخور، مما أثار في أوساطهم الارتباك الشديد، وعادوا إلى معسكرهم عند سفح الجبل دون نظام. وعندما حل الظلام باغت الزنوج معسكر الجيش التركي بصورة مفاجئة لم تتح لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم، فقُتل خمسة وعشرون من الأتراك الضباط والجنود، وجُرِح ثلاثون، واكتفى العرب في الجيش التركي بمشاهدة ذلك الصراع دون المشاركة فيه.

عاد جنود الحملة التركية إلى الأبيض وهم في حالة مزرية، خاصة بعد فقدانهم لجمالهم، ودون أن يفلحوا في جلب زنجي واحد. أغضبت تلك الهزيمة حاكم كردفان، فقرر أن يسير حملة أخرى يقودها بنفسه، غير أن حظه لم يكن بأفضل من حظ سليمان بيه الخربوطلي، وفقد كثيرًا من جنده رغم نجاحه في جلب 600 من الرقيق من كبار السن والأطفال الذين عجزوا عن الهرب أمام الجيش الغازي.[1]

يصور لنا المقال استماتة الأتراك في محاولاتهم فتح مملكة تقلي بالقوة للسيطرة على الموارد في السودان ومحاولات السيطرة عليها ومقاومة السكان المحليين لهذه الحملات البغضة.

(1) نفس المرجع السابق.

الخاتمة

عرفت مملكة تقلي الذاكرة السودانية بدعمها للمهدي إبان نشوب ثورته وإيواء رجاله في جبال بطن أمك في جبل قدير ومشاركة الأمير عمر بن المك آدم أم دبالو في أعمال وحوادث المهدية، إلا أن دور المملكة المحوري تمثل في أنها كانت رأس الرمح المتقدم في نشر الدعوة الإسلامية في جبل النوبة.

وقد خلفت تاريخًا مشرقًا يكاد يكون منسيًّا في الذاكرة الجمعية السودانية وهي من أشرفت على استضافة العلماء وأصبحت من التخوم المهمة للدعوة الإسلامية وعرفت بتنوعها الإثني وتداخله والتعايش بين مكوناتها، وهذا مكنها من القيام بدورها الطليعي الذي قامت المملكة من أجله.

لم يدخل الرحالة الأجانب إلى مملكة تقلي، وذلك بسبب تخويف الإدارة التركية لهم ونشر أخبار كاذبة عن قساوة أهلها ومعاداتهم للبيض، وعلى الرغم من أن المك جيلي عون الله 1826-1840م لم يكن يمانع في زيارة الرحالة اقناتيوس بالمة إلى تقلي، فإن حاكم كردفان التركي مصطفى بك قد زرع الشكوك في نيات مك تقلي لاستضافة إفرنجي في بلاده، وبذلك أصبحت المادة التي جمعها ودونها الرحالة الأجانب عن مملكة تقلي هي مادة شفاهية أو مجموعة مقابلات مما حرمنا توصيف الأوضاع كما يراها الرحالة في وقتها.

كما عرف إقليم جبال النوبة بنزعته الاستقلالية من المركز والمحافظة على إرثه الطويل وعاداته وفلكلوره الذي لا يزال قائمًا إلى يومنا هذا، كما لم تكن المملكة تابعة لأي من الممالك أو السلطات الاستعمارية من الترك والإنجليز وغيرهم من المحتلين إلا بعد كرري حيث تحولت سلطات المك إلى سلطة إدارية وأهلية ضمن مستعمرة السودان الإنجليزي.

تقسيم جبال النوبة إلى جبال شرقية وغربية تم في فترة الحكم البريطاني في السودان حيث سعى الإنجليز إلى فصم عرى التواصل، وخلق قانون المناطق المقفولة الذي كان شر وبال على السودان والسودانيين.

إسهامات مملكة تقلي ودورها المهم في تاريخ السودان القديم والحديث لم يتم توثيقه بالصورة المطلوبة، وظل ما تتذكره الذاكرة الجمعية الوطنية هو فقط قصة

وصـول المهـدي إلى جبـال قديـر وتحصنـه في بطـن أمـك عـلى الرغـم مـن أن مملكـة تقـلي حافظـت عـلى كينونتهـا السياسـية والاجتماعيـة ولم تسـقط أمـام المحتلـين الأجانـب الأتـراك.

الملاحق والصور

الملحق الأول

التراث الأدبي في تقلي

المرجع كتاب: (تاريخ مملكة تقلي الإسلامية) تأليف عبد القادر محمد دورة

مراجعة وتحقيق: معاوية عبد الرحمن الزيبق

قالت الحكامة أم بريد في المك عمر أبو زنتر ود المك جيلي أبو قرون الذي شارك مع الفونج في حربهم ضد الحبشة حيث هزموا الأحباش:

عيال دوري الشُكر حاقنو

خبارين للدروب كل الدسيس عارفنو

البغمس والببقى في لجج البحار شايفنو

طياعين للبلود حتى المقز[1] جايبنو

من قصيدة للحكامة فاطمة التركاوية بت إدريس تمدح فيها المك ناصر ود المك أبّكُر

شيلي لي يا أم برير

واختمي لي يا خاطره

نمشي للتمساح نذاكره

الدود الكجرن فواطره

أنشدت آمنة الدمور بنت أحمد البدوي المشهور بقنجار تمدح أخويها آدم ود قنجار وعبد الله الذين قُتلا في معركة ضد الفحل ود المك ناصر، وتهجو من كان مع أخويها لهروبهم من المعركة، فقالت:

الأرباب كتالي عينو بيضه[2]

والحسن[3] مِن قام ربيده[4]

(1) المقز: ربما تقصد «أياسو» ملك الحبشة الذي هزمه بادي أبو شلوخ.

(2) العين البيضاء هي عين المرأة لأن الرجل يُوصف بالعين الحمراء.

(3) الأرباب كتالي والحسن ود عمر كانا مِمنْ ذهبوا لقتال الفحل وهربا في أثناء المعركة.

(4) الربيدة أُنثى النعام توصف بالخوف.

ود قنجار كرف الدم

شقّا العيقان[1] وِحَيَده

من قول نور المدينة بت أحمد الجرنوسي: بعد نهاية المهدية بدأ سكان تقلي في العودة إلى ديارهم، وكان رجل اسمه علي المنتق قد ذهب مع أخيه إبراهيم قرض المُلقب ب «أبو الهجرة» وعاد بدونه، وعندما سُئل عنه قال بأنه مريض ثم شاع خبر بأنه مات، ولم يكن له ولد في تقلي فقام أهله ووزعوا أمواله، وبعد فترة جاء إبراهيم عائدًا إلى تقلي، فأنشدت الحكامة نور المدينة:

يوم جابوا الخبر

أبو الهجره كيف حاله

ما قالوا مات ودفتروا ماله[2]

بلا المملوك ياتو البجافي داره

ردت عليها عائشة بت الأرباب الضو فقالت:

وريني الكضب الماجاب أكيده

أبو الهجره طيب يحمد سيده

داير السير إلا البلد بعيده

الحكامة فاطمة بت كباشي، عاصرت المك جيلي ود المك آدم أم دبالو في زمن الإنجليز حيث احتلوا كل السودان، وبدءوا جمع السلاح من القبائل ومن ضمنهم تقلي، بدأت قصيدتها بمخاطبة المك جيلي وأهل تقلي عمومًا بأن من شيمتهم عدم الغرور بالسلطة (ما بغركم المُلك) وحتمية نهاية حكم الإنجليز (وصفتهم بالتُرك) فقالت (وبروح زمن التُرك)، وأرض تقلي ستكون (درق) حماية من تغول الآخرين، ثم تمدح المك جيلي (أنا فيك بقول بحر أوزان) وتتناول صفاته والصفات التي يجب أن يكون عليها الشباب عمومًا:

(1) العيقان: المعارك الحربية، مفردها العوق وهو الصياح في الحرب، لذلك أُطلق أسماً للمعركة، وهو من العامية السودانية.

(2) دفتروا ماله: أي وزعتم ماله

ما بغركم المُلك

وبروح زمن التُرك

وواطاتكم بتبقى درق

أنا فيك بقول بحر أوزان

كذب من يقول بطران بلا أخوان

يا دُخري الزمان

أنا أخت الولد البجالس العِنقان

أنا أخت الولد للضيف يتب عجلان

أنا أخت الولد ما نط السحيل وكران

أنا أخت الولد ما هو تربابة نسوان

أنا أخت الولد العَشْمانو قام فرحان

أنا أخت الولد الخصيمو قام خجلان

عاجباني جلستو في محكر الديوان

أنا أخت الولد ما هو السُكرجي الطاش

أنا أخت الولد ما هو البليد أبو راس

أنا أخت الولد البِعِزو بيهو الناس

أنا أخت الولد كان اتخابت الرصاص

يمسك باليمين وفوق الشمال تُركاش[1]

قديم جدو وأبوه الزُمر والنحاس

أنا أخت الولد النداذتو ما قدروه

أنا أخت الولد الحُسادو ماكادوه

أنا أخت الولد يوم الشينه بطروه

(1) تُركاش: الحربة

صحت بركة أُمه بالخميس ولدوه

أنا أخت الولد الما بيغدر جار

أنا أخت الولد البقرو ليهو انفار

أنا أخت الولد البفرّح الصغار

أنا أخت الولد في مضب الجبال

أنا أخت الولد الشارب رأي الرجال

أنا أخت الولد الساتر عِرضو ما هو الزايغ أب فرار

الحكامة الشول بت الكناني تحث أهل تقلي على الثبات والصبر والاستعداد لما هو أسوأ، وذلك عندما صادر الإنجليز الذرة من المواطنين لإرساله للجيوش في الحرب العالمية الثانية، فقالت:

تتغافر السيئات

خلوها المضت انستروا في الجايات

يا إخوان البنات

جاييكم يومًا تعيسًا شين

جاييكم يومًا تكفوا بيهو الدين

جاييكم يومًا تطروا المراتب وين

كتير يتباشروا وكتير يصيبُن هم

وكتير في ابوعوق[1] أبان شرابًا دم

جاييكم يومًا ساخن وحار

جاييكم يوم تتفارز العيال

كتير يبقوا وراي ويدخلوا الجحار

البتبكي ليكم يوم بدوركم يا رجال تغزّروا ليّ الكوم

(1) العوق هي الحرب، تقصد به أحمد العوق ود محمد ود أحمد ود المك عمر ود المك أبّكُر.

بريئين صِحه من فضيحه ولوم

بدوركم يا رجال للكتر فجوه

بدوركم يا رجال للقدح أب خُرس تملوه

بدوركم يا رجال للدرب تمشوه

بدوركم يا رجال للخصيم كيدوه

بدوركم يا رجال للمتقلوز[1] وحِطوا

بدوركم يا رجال تتركوا البطال

بدوركم يا رجال لي وساع البال

بدوركم يا رجال كان إتحادفن[2] حلال

بدوركم يا رجال تنظروا لأُمات عيال

بدوركم يا رجال بسرع تابين

خاتيكم ليوم في الدموم خايضين

خاتيكم ليوم تشربوا بالهين

خاتيكم ليوم يشتغل القربين[3]

الحي يسمع نباه ويموت ستين

خاتيكم ليوم ساخن وحار

خاتيكم ليوم الكسب والمال

خاتيكم ليوم تتباشر الصغار

خاتيكم ليوم تنظروا عواقب العار

العمر كان قصر ما بطولنو حبال

(1) المتقلوز: المتفلهم، المزدري

(2) إتحادفن حلال: أي حدث بينهم نزاع فيتدخلوا لوقفه ويصلحوا بينهم

(3) القربين: نوع عتيق من السلاح الناري

قالت بخيتة الطريفية في ولدها المك أبّكُر ود المك جيلي ود المك آدم أم دبالو:

سلام عليك يا الخير

يا الدربك زلق ما بمشوه في الليل

شربيك شربيك كان قلت سويت

وكان دفعت أديت

انت نمر الفروع الشبيت

قول معليش يا الغالي

انت قيد البكاري

قالت إحدى الحكامات تمدح المك أبّكُر ود المك جيلي ود المك آدم أم دبالو عندما نشب نزاع في الحدود بين تقلي والهبانية في منطقة «عرش اليوي» فأراد قتالهم إلا أن أخاه آدم ود المك جيلي منعه من ذلك لِما بين الجانبين من علاقات جوار حسن:

دُقوا الكتور السكة وسعوها

والجاتكم من الله أرضوها

جِمال الشيل الكلمة امهلوها

ولدت بت التور[1] وعقرت براها

أبو عين حمره[2] شنو البملاها

كان ما ممسوك كان أم رخيم[3] غداها

المنقوض قرن الزباد والدولتي زيادي[4]

البقاري من قديم جدو الوادي

شقوا الحد من عرش اليوي وغادي

(1) بت التور: هي فاطمة بت التور والدة المك أبّكُر ود المك جيلي

(2) أبو عين حمره: هو المك أبّكُر ود المك جيلي

(3) أم رخيم: طير الرخم وهي من الصقور التي تأكل الجيفة

(4) هما الفكي إدريس قرن الزباد والشيخ بدوي إسماعيل الدولتي من زعماء تقلي أولاد المكوك بُعثوا لحل المشكلة

الحكامة الشول بت الكناني تحث على الشجاعة وتمدح الملك آدم ود الملك جيلي ود الملك آدم أم دبالو:

البتبكي الرجال قُلال

بدور الدوسه أم شرار

بدور الفارس المغوار

بدور الخاتي الخِلال

بدور لعيب أم سوار

بدور الدوسه أم شرار هوي الليله

بدور الراجل الفي الخلا

بدور الخايض البلا

بدور الطاري الورى

بدور الدوسه أم شرارهوي الليله

بدور الدوسه أم بحور

بدور البشبعوا الصقور

بدور خُوال البتول

بدور الدوسه أم شرارهوي الليله

بدور الولد الأصم

البغنوا ليهو وبحق النّم

كان حي بخوض بحور الدم

بدور الدوسه أم شرار هوي الليله

بدور الدوسه أم دموم

بدور البغدو البِحوم[1]

بدور حمال اللزوم

(1) البحوم: هو الصقر يحوم في الجو

بدور الدوسه أم شرار هوي الليله

بدور الولد العنيد

الكمل رأي العبيد

عاجبني ميزو بعيد[1]

حقو وهِيل أبوه

يا الخاصمنو ما تحسدوه

الرجال ما قال ما بتبعوه

بدور الدوسه أم شرار هوي الليله

الحكامـة الشـول بـت الكنـاني تمـدح المـك آدم ود المـك جيـلي ود المـك آدم أم دبالـو وكان قـد سـافر إلى مـصر

مع زعماء من تقلي وجنوب كردفان:

فارس أمات لجم

خاته البال عليهو

الشايل الفُصاح والعجم

انت بحر العاديك

يا قمرنا الضويت

والقبايل عزن بيك

يا الحلفت ووفيت

وحقيت الاسم ود شربيك

خاته البال عليك بالشابك[2]

إنت صافي العكور

إنت المالح في البحور

(1) ميزو بعيد: أي يميز الأشياء لبُعد نظره

(2) الشابك: هو حاج أحمد الفكي آدم الشابك حفيد الملك آدم أم دبالو (جده لأمه)

إنت التبري ما مغزول

إنت كنز فاطمة[1] المدخور

أبو درب للخصيم عتمور[2]

من قمت ما مندلع

وجبلك ما بنطلع

وضلك رهين مو فرع

خاته البال عليك

يا الشايل باجة السمحات

ما شفت الوراك كيف جات

كتير بقو فتوات

وكتير مِن أبوهم مات

انت ضي القبيله

إن شاء الله غيبتك ما طويله

وقت الرجال بتغلب حيله

إنت الحَمالة بتشيله

قالت الحكامة الشول بت الكناني في قصيدة لها في المك آدم ود المك جيلي ود المك آدم أم دبالو عندما اختلف مع كنريك J.W.Kenrick المفتش الإنجليزي بمركز رشاد وأصر على التنحي فحضر مدير مديرية كردفان مستر جيلان J. A. Gillan وحل المشكلة ونقل المفتش ومساعده المأمور المصري من رشاد حسب طلب المك آدم جيلي:

يالنيل[3] ود بحر التاتوله

المُلك هيلك ما عتوله

بس أقروا يس تقلي من زمان منصوره

(1) فاطمة: هي فاطمة الزينبية بت حاج الطاهر ود المك آدم أم دبالو زوجة المك آدم جيلي

(2) صحراء العتمور التي يصعب اجتيازها

(3) يُلقب المك آدم جيلي بآدم النيل لكرمه وشجاعته

ما ببقى شيء من دون إرادة المولى

يوم جاك المدير[1] وقال أمرك يسير

على الطويل وعلى القصير[2]

فـي الحث على الزراعــة وعـدم المشاركة قالت إحدى الحكامات في تقلي:

بمشي بزور فوق قبة التجاني

العيال النزّلوا الطلياني

أحرتوا الكف خلوا مال النصراني

قولوا للبليد ما تشارك الجلابي

المن تبّ في القلم حسابي

المد إنكال المره في العراقي

في ظني الشراكه ما ضريبة الأفندي

خش في الزريبه عندو ترتيب الكشف في السبيبه

خاتم الحجاز دقاقه في بيت مكه

أبو حروف قال الحرام انفك

ود الخادم الرساله جوبك

نكتب الجواب نوديه لي شندي

ما جابو جريقندي[3]

تفيدوني يا ناس طه أفندي[4]

طارت أم بشار[5] فرحوا أهل المصالح[6]

(1) المدير هو مدير كردفان مستر جيلان

(2) الطويـل هـو مسـتر كتريـك مفتـش المركـز، كان طويـل القامـة، والقصـير مسـاعده المأمـور المـصري فقـد كان قصـير القامـة

(3) جريقندي: حرس الملك آدم جيلي

(4) طه أفندي: كان باشكاتب في مجلس ريفي تقلي برشاد

(5) أم بشار: هي سحابة تظهر فى السماء مبشرة بقدوم فصل الخريف

(6) فرحوا أهل المصالح: وهم المزارعون والفلاحون والرعاة أصحاب الماشية، فرحوا ببداية الخريف

شوفوا السفيه زي السخيل[1] السارح

ما تسألوه إلا من المطعونه أم بارح

يا امبتاري[2] الما بتخافوا الله

دعيت الخليفة عبد الله[3]

أقروا يسن خلوا المطر يدّل

قالت النصرة بت المك آدم أم دبالو تهجو الماحي الذي كان ضمن القوة التي حاربت المك القديل وقد هرب في أثناء المعركة:

الماحي بت خالتو غنايه

قال ناولوني الفرس الجرايه

ركع في تقوي وسلم في كرايه[4]

قالت النصرة بت المك آدم أم دبالو تمدح المك القديل ود الجبوري عندما تمرد على الإنجليز وقاومهم وقُبض عليه وشُنق في كراية مقر مركز المفتش الإنجليزي قبل أن يُنقل إلى تاندك ثم رشاد:

القديل ود الجبوري جابو لي نباك

النصراني ما تديهو قفاك

البارود كان كمل أنا بجري بتلافاك

---

(1) السخيل هو الحمل

(2) امبتاري: هم الدجالون

(3) الخليفة عبد الله الشيخ برير الشيخ إسماعيل البصيلي خليفة الطريقة السمانية في تقلي

(4) كناية عن الخوف، لأن المسافة بين تقوي وكراية مقر مك تقلي بعيدة

قصيدة بعنوان ديار تقلي

للشاعر الأستاذ/ محمد عثمان عووضة

من أهالي الدبة بالولاية الشمالية

ألف هذه القصيدة في زيارة لتقلي ضمن بعثة المجلس القومي للدعوة والإرشاد

في 20 رمضان 1423 هـ الموافق ديسمبر 2002م

نستأذنه بنشرها

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة ديار تقلى

للشاعر الأستاذ / محمد عثمان محجوب عووضه

أمير القافلة الدعوية إلى تقلى ضمن بعثة المجلس القومى للذكر والذاكرين ، فى ٢٠ رمضان ١٤٢٣ هجريه الموافق ديسمبر ٢٠٠٢ م ، وهو من أهالى الدبه بالولاية الشمالية .

هُمُ المُـــلوكُ وقدْ جاءوا علـى قَدَرِ ... هُــــمُ السلاطينُ فـي عزْمٍ وفـى نَقَلِ

يُسطِّرُ العلِمُ فى ألواحِهَا صُحُفَـــاً ... كأنهــــــا غَدَاةٌ تَزْدَانُ بالحُــلَلِ

ومــا المِدادُ سِوى خيطٍ مِنْ الذهبِ ... ومــا الحُروفُ سِوى رسْمٍ على طَلَلِ

مـاذا تقولُ عن الأقوامِ فى تقلـى ... هُمُــوا الأباةُ وهُمْ شَعْبٌ مِنْ الأمَلِ

مـا بارَحَتْهَا شُمُوسُ الكَونِ مُذ رَقَلت ... ومــا تَخَلفَ عَنْهــا كوْكَبُ الفَــألِ

أرْضُ المُـلوكِ التى غنَّتْ جداولُها ... وصَفَقَ السَّعدُ مِنْ حلفــا إلى نِمُولى

فيـا جِبـالاً تَسَامَتْ فـــى جَوانِبِها ... إنى ســـألتُكِ عــنْ حــافٍ ومُنْتَـعِلِ

قُـولى فِدَاكِ أبِـى فَالشَوقُ مُعتَـلِقٌ ... علـــى فُؤادِى وأجْرَى الدَّمْعَ فى مُقَلِ

ما بَالُ راياتِكِ الخُضرِالتى رقصتْ ... علــى المَنارَاتِ هَزّتْ مُهْجَـــةَ الجَبلِ

ما بالُهــا وطُيورُ الدَّوحِ تَنْدُبُهـــا ... فــلا تُجِيبُ نِدَاءَ المُدنِــفِ العِــلَلِ

جبـالُكِ الدُّهْــمُ فـــى عَليَائِها خَبَرٌ ... شَلالُهـا فـــى رَشَاد الخَيرِ فـــى شَلَلِ

خفَّاقةٌ لم يُصِبْهَا فى الهَوَى عَطبٌ ... كـــلا ولا مَسَّهَـــا شَىءٌ مِنْ العَطَــلِ

أمَّـا جيادُكِ فوق الصَّخْرِ حَـافِرُهَا ... يَبِينُ في الصخرِ يحكى اليومَ عنْ بطَلِ

تهـابهُ الجّنُ كَمْ أوْدَى بفارسِهــــا ... وكُماةُ إنْسٍ لكــــــمْ فروا مِنْ الوجَلِ

بُطـولةٌ سُطِرتْ فوقَ السُها عَجَباً ... وصــاركوكَبهُ يمْشِـــى علـــى مَهَلِ

تَوَشَّحَ النَّجمُ فى عليَائِه قُشُبـــاً مِـنْ عَارِضَيكِ ومِـنْ غِيدانِكِ النَّهِـلِ

أمَّــا المُشَّهرُ مِـنْ أسْيَافِ مملكةٍ بـاهتْ به دولـةُ الإسـلامِ فـى المِلَلِ

فالسيفُ لا زالَ فى الأخْبَارِ حامِلُهُ عِزَّ المُــلُوكِ علــى عزْمٍ مِنْ الطَّيَلِ

كـأنَّ صانِعَهُ مَــلِكٌ لممــلكةٍ دانَتْ لِدَولَتِهــا دَهاقِنَـــةُ الدُّوَلِ

فليس يَلْحَقُهـا ضَيْــمٌ ولا نَصَبٌ وليس يتَنَابُهـا وقــعٌ مِــنْ الزَّلَلِ

أمَّــا المُلوكُ فجيلى مِنْ أوائِلِهِـمْ فهُـمْ ثلاثونَ مِنْ ليثٍ ومِنْ بَسَــلِ

سَقَاهُمُـوا اللهُ بالإسْلامِ مَكْرَمَـةً فالخيرُمِنْ فوْقِهِـمْ يَهْمِى ومِنْ سَفَـلِ

يُبَارِكُ اللهُ فـى أرْزَاقِهِـمْ ولَهُــمْ مَدافِعٌ سَاقَهــا الرَّحْمنُ فــى الأزَلِ

لهـا الجِبالُ سُوَارٌ فهُو يعْصِمُهـا يُحيطُ بالمِعْصَـمِ الرَيّـانِ بـالعَلَلِ

حورَاءُ تَمْشِى على الأفنَانِ فى ثِقَةٍ تَحُفُّهـا الحُورُ بالإعْجَـابِ والقُبَلِ

فيــا بِـلادَ بَنِـى العَبَّـاس إنَّ لنـا فى عارِضَيكِ وفى الإدْعَاجِ والكُحْلِ

ما يَعْجَزُ المَرْءُ عنْ تعْبيرِه أدبـاً ولا الفِنُـونُ تَحْكِـى قِمَّـةَ الجبـلِ

أنَّى التَفَتَّ إلى التاريخِ تلْمَحُـهُ فـى صَخْرَةٍ أو علـى تلٍّ مِنْ الرَّمْلِ

والباسقاتِ تَرُومُ السُّحبَ شامِخَـةً مِنْ الدليـبِ وهجْليـجِ ومِنْ نَخَـلِ

أمّا الرياضُ فجنّـاتٌ نَزَلْنَ بهــا كأنَّهــا الخُلْدُ فــى الأكْمَامِ والعسلِ

يارائِعاتِ بنـى العَبَّـاسِ مِنْ مُضَـرِ ومِنْ كِنَانَـةَ فــى حُسْنٍ وفـى رَفَلِ

سَمَتْ بِكُنَّ نِساءُ العُرْبِ مُرْتَفِعـاً لمْ تستَرِحْ فيه حَـــوّاءُ مِنْ الأولِ

يـابِنْتُ حَوَّاءَ مِنْ تَقْلِى بـانتْ لنـا عُنْوانَ غَانِيةٍ فــى الظّعْنِ والرَّحَلِ

تَزَيَّنَتْ بِحِجَـابِ اللهِ واتّجَهَتْ نَحْوَ الحَقِيقَةِ فى رَيْثٍ وفى عَجَلِ

وصَدَّقَتْ بِكَــلامِ اللهِ وارْتَسَمَتْ لهَـا سَبِيلاً مِنْ الأفضَـالِ والمُثُلِ

يـا زِينَةَ لِجِبَالٍ قَدْ سَعِدْنَ بِها أنْتِ الحَيَاءُ على الأخْدَارِ والظُّلَلِ

حَيَّاكِ مِنَّا الحَيَا في كُلِّ أونَةٍ يابنْتَ مملكةِ التَّأصِيلِ والأصْلِ

أمَّا الشَّبابُ ففي أعْطَافِهِم أُسْدٌ لهُمْ سَوَاعِدٌ تَحْمِي العِرْضَ والأهْلِ

يومَ النَّفيرِ سِيُوفُ الحَقِّ يَرْفَعُها جيلٌ أبَى عِيشَةَ الحِرْمَانِ والعَطَلِ

بَنُوا على صَفْحَةِ الوِدْيَانِ مملكةً سَعَى إليها يَزِيدٌ والشَّرِيفُ عَلِى

وصلاحُ الدينِ في الأرجَاءِ مُنفَلِتٌ سَارَ الدعاةُ بِهِ في دارِ كُلِّ وَلِي

والزَّرْعُ والضَّرْعُ في مَثْوَى وفي ظُعْنٍ كأنَّهَا أُنْزِلَتْ مِنْ قِمَّةٍ وعَلِ

نَعْمَاءُ رَبِّي على عَدْلٍ تُبَارِكُهُ يدُ الإلهِ على شَأوٍ مِنْ العَدْلِ

لاحَتْ رَشَادُ كأنَّ القُدْسَ مَوعِدُها بَاهَتْ بِمَقْدَمِنَا بالوشْيِ والدَّلِ

حَيَيْتِ وعَانَقْتِ الأضْيَافَ في وَلَهٍ والشَّوقُ نَلْمَحُهُ فَيْضاً مِنْ الوَشَلِ

لكَم نَعِمْنَا بِوَصْلٍ في أرَائِكِهَا أرْخَتْ عَلينا ثِيابَ الشُّكرِ في خَجَلِ

مَهْمَا كَتَبْنَا على الأغْصَانِ نَشْكُرَهم فالشُّكرُ يُغْنِي عن المَعْرُوفِ والبَذلِ

جِئْنَاكِ يا ثَقْلِي والصَّوْمُ يَصْحَبُنَا كأنَّهُ نَسَمَاتُ الزَّهْرِ والهَطَلِ

ماصَدَنا عنهُ أنْوَاءٌ تُلاحِقُنَا ولا ظَمِئْنَا بِرَغْمِ البُعْدِ والوَحَلِ

خورَ الدَلِيبِ بِهِ الأنْغَامُ مُشْجِيَةٌ تَهُزُّ عَاطِفَةَ الإعْيَاءِ والمَلَلِ

ياليلةَ الوَصْلِ في خورَ الدَليبِ لنا في رُبْعُكِ الحُلْوِ طُولَ العُمرِ والأمَلِ

رُمْنَا وِصَالَكِ يا ثَقْلِي لِواشِجَةٍ مِنْ القَدِيمِ على الأعْمَاقِ يا ثَقْلِي

تَحَرَكَتْ في هُدوءٍ وهي صَامِتَةٌ حتى إنْثَنَتْ في ظِلالِ العِلْمِ والعَمَلِ

والقصْرُ في ثَقْلِي يَرْتَادُهُ أصْلاً شُمُّ الأنُوفِ أُسُودُ الحَدْبِ والسَّهْلِ

والبابُ مُنْذُ مُلُوكِ القِدَمِ نَسْألُه هلْ أوصَدَتهُ رِيَاحُ الشُّؤمِ مِنْ نِمْلِي

وهـــلْ يُعَكِّرُ صَفوَ الآمِنِينَ بِهَـــــا ... شيءٌ مِنْ الضَّعْفِ أو شيءٌ مِنْ الكَـلَلِ

وهَـا هُو القصْرُ كـالطَّودِ العَظِيـمِ بِـهِ ... رَقِيمٌ يَحْكِـــي إلى الأجْيَـالِ عَنْ بَطَـلِ

أمَّــــا شُيُوخُكِ يـا تَقلِـــي فإنَّهُمُـوا ... أصْحَـابُ فِكْرٍ ورَأيٍ واضِحٍ جَـــلَلِ

لهُـــمْ أيَادٍ مِنْ المَعْرُوفِ تَتْبَعُهَـــــا ... مَكَارِمٌ عُرِفَتْ فـــي الجَّدْبِ والمَحَلِ

لهُـــمْ طلاقَـةُ وَجْـهٍ لا مَثِيلَ لهـــا ... إلا بَشَاشَـــةَ سَيدِ النَّـاسِ والرُسُـــلِ

هَبُوا إلى الضَّيفِ وارتَاحَتْ رَوَاحِلُهُ ... مِنْ الشِّياهِ طعَامُ الضَّيفِ أوْ إبِـــلِ

سَمَاؤهُـــمْ هَزَّهَـــا القرآنُ مِنْ زَمَـنٍ ... فلَـــمْ تَجِفْ أوْ جَفَاهَـا واصِبُ النَّهْـلِ

يـا مَعِيةَ القَومِ والأيَّـامُ تأخُذُنَــــــا ... مِنْ غَيْرِ مــا مَوْعِدٍ وَدَّعتُها تَقْلِـــى

الملحق الثاني

الغناء والرقصات الشعبية في تقلي

جمعها وشرحها الأستاذ ضو البيت محمد ضو البيت في كتابه

«تقلي التاريخ والتراث» تحت الطبع

التراث أو الموروث الشعبي يعتبر بصفة عامة الثقافة السائدة بين أفراد قبيلة أو شعب من الشعوب في بقعة معينة، وتحوي هذه الثقافة العادات والتقاليد والأعراف والقيم والمثل والفنون والحرف والمهن وغيرها. ولا شك أن هذا التراث ظل ينتقل بين الأجيال منذ قديم الزمان، يضاف إليه أو يحذف منه. التراث الشعبي في منطقة تقلي غني بالفنون المتمثلة في الأغاني والرقصات الشعبية.

من أنواع الغناء الذي تزخر به منطقة تقلي نجد أغاني الدلوكة وأغاني الطمبور وأغاني الكرير أو «جووه» كما يُعرف في تقلي، وأغاني أم سوري، وأغاني الحصاد وغير ذلك. وهذه الأغاني تُردد في المناسبات الاجتماعية العامة والخاصة، مثل الزواج والختان أو الطهور كما يُطلق عليه في تقلي، ومناسبة النفير الجماعي في موسم الزراعة والحصاد وغير ذلك من المناسبات.

أغاني الدلوكة

تتضمن أغاني الدلوكة في منطقة تقلي على نوعين من الغناء، النوع الأول يضم أغاني السيرة، والنوع الثاني يشمل أغاني البليل. أغاني السيرة تتميز بالإيقاع الثقيل والحركة البطيئة، بينما تتميز أغاني البليل بالإيقاع الخفيف والحركة السريعة. وكلمة سيرة معروفة وهي من السير على الأقدام، أما كلمة البليل ربما تكون مشتقة من كلمة بلال أو بلالي المستخدمة كثيراً لدى النساء. ومن نماذج أغاني السيرة:

السوار في إيدو.. الفرحانة أمه.. الليلة يوم جديدو.. ربي يتم ليهو.

«يوم جديدو» وتعني يوم عرسه وفرحه.

يوسف مرق الضحى الطريفي جدو أبو شرا.. جيت لي أنا.

معروف أن يوسف أبو شرا هو أحد الفقهاء الصالحين في السودان، وعامة الناس كانوا يعتقدون في الصالحين ولدفع الشرور وعيون الحساد، وهنا تتمنى دفع الشرور عن ولدها العريس.

عريسنا ورد البحر.. الليلة زينة.. قطع جرائد النخل.. الليلة زينة.

في هـذا المقطـع نجـد ذكـر البحـر والنخيـل، بينـما في تقـلي لا يوجـد بحـر ولا نخيـل، ولكـن هـذا دليـل عـلى أن أهـالي تقـلي لهـم ارتبـاط بصـورة مـا بالبحـر والنخيـل في الشـمال، وهـي عـادة تُمـارس عنـد الـزواج، حيـث يسـير العريـس في اليـوم السـابع مـن بدايـة مراسـم الـزواج لقطـع جريـد النخيـل، ولكنهـم بـدلًا مـن النخيـل يقطـع العريـس فرعًـا مـن شـجر الهجليـج (اللالـوب) بالسـيف.

قمر عشرة النوى للجية.. يا بلالي تعود لي.

قمـر عـشرة هـو الهـلال الـذي تـم عـشرة أيـام مـن طلوعـه، وقـد شـبه بـه المحبـوب الغائـب الـذي تتمنـى عودتـه.

قمر دورين.. يا ضي القبيلة.

قمـر دوريـن يقصـد بـه الهـلال الـذي أكمـل أسـبوعين، وقـد شُـبه بـه العريـس في هـذا اليـوم الـذي يعـم فيـه الفـرح والـسرور، وقـد أشـاع الضيـاء والبهـاء عـلى القبيلـة. يُلاحـظ أن القمـر يسـتخدم كثـيرًا في الغنـاء وذلـك لأهميتـه وعلـوه وضيائـه الباهـر.

أم العروس نحنا جينا.. كان البيت صغير.. دقي لينا خيمة.

أهـل العريـس يخاطبـون في هـذا المقطـع أم العـروس بأنهم جـاءوا إليهـا، وإذا كان بيتها لا يتسـع بإمكانهـا أن تنصـب لهـم خيمـة، وهذا دليل عـلى كثرتهم والتـي هي دليل عـز ومكانة.

ندهت ليك جدك أبو شرا.. يبقى ليك حجيل وضرى.. من عيون الناس لوراء.

هنـا تدعـو المغنيـة وتطلـب مـن جـده يوسـف أبـو شرا أن يصـير لـه حجيـلًا وضرى – أي سـتر وحمايـة للعريـس مـن عيـون الحاسـدين، لأن العريـس فى هـذا اليـوم يبـدو في أجمـل وأبهـى صـورة. ومعـروف ارتبـاط تقـلي بالصوفيـة منـذ النشـأة الأولى لمملكـة تقـلي، لـذا يسـتصحبون كثـيرًا مـن أسـماء المشـايخ في أغانيهـم ومدائحهـم.

أغانى البليل

تور جاموس قرنه قبضة.. لا جرى ولا فز.. العريس فوقنا هز.

في هـذا المقطـع تصـف المغنيـة العريـس بثـور الجامـوس الـذي نبـت قرنـاه بمقـدار قبضـة اليـد لشـبابه وقوتـه وشـجاعته، فلـم يجـر ولم يـتردد، بـل وقـف في ثبـات وهـو يهـز ويبـشر فـوق الأمهـات والأخـوات.

ندهت ليك جدنا.. القبيلة ما تهزنا.. الليلة يوم عزنا.

تدعو وتطلب من جده، وهو من أسلافه الصالحين، أن يثبتهم ويعينهم على إكرام وفادة وضيافة الأهل والقبيلة، لأن اليوم يوم فرحهم وعزهم.

الشدرة الضليلة الما نقرها السوس.. فوق راسها النمر وفي ضلها الجاموس.

«الشدرة الضليلة» يعني: الظليلة، «الما نقرها السوس» يعني: لم تصبها حشرة السوس التي تنخر العود، «في راسها النمر وفى ظلها الجاموس» وهذا يعني: أنها محروسة من أعلى وأسفل. والمعنى العام لهذا المقطع يعني: البيت الحلال منزل الزوجية الذي هو في عز ومنعة.

الديس شلعنو وفوقو كبنو.. ود الأُصال الليلة عزنو.

الديس هو شعر الرأس للمرأة، شلعنه وفوقه كبنه تعني هز الرأس يمنة ويسرة ورميه (لفحه) فوق العريس وهو ما يُعرف بالشبال.

أمه ما غريبة.. تورنا كسر الزريبة.

شوفوا ل دلالو سماح العز بخواله.

فى هذا المقطع تذكر المغنية أن أم العريس ليست غريبة ولا دخيلة، فهي منهم ولهم، والعريس ولدهم تشبهه بالثور القوي الذي كسر الحظيرة وخرج في دلال وعز، وكل ذلك بسبب أخواله الذين تجمعوا فى هذا اليوم السعيد.

الليلة العريس بعزنو سراتو.. والتور كان جفل.. بقلبنو أماتو.

العريس يجد العز بدعم ووقوف قريباته إلى جانبه، اللائي يتمثلن في العمات والخالات والأخوات. كذلك الثور الذي يجفل ويفارق القطيع لا يستطيع أحد أن يرده إلا أمهاته، حيث يتم إرسال مجموعة من الأبقار لإرجاعه. يلاحظ كثرة التغني بالثور فى التراث التقلاوي، ربما لأن الثور يمتاز بالقوة والشدة.

يا قميرة تعالي.. نفر العز غالي.

فى هذا المقطع تطلب المغنية من القميرة وهي تصغير للقمر أن تطلع وتضوي الكون، لأن النفر الذين تجمعوا في هذا الحفل غالين وعُزاز يجدر أن تضاء لهم الدنيا. طبعًا لا توجد كهرباء في الريف السوداني.

البنداقه يوم جو.. الأسيد وين خلو.. أمه قولي أفو لتورك العقرو.

البنداقة تعني حملة البنادق، في هذه الأغنية نجد أن المغنية تسأل الفرسان الذين عادوا من القتال عن الفارس الملقب بالأسيد، وهو تصغير لأسد، أين تركوه لأنه لم يكن معهم، إلا أنها تدعو أمه أن تقول أفو، وهي كلمة للتحسر، على فقد ولدها الذي قتل أو أُسر.

أم العروس جينا ليك

جبنا الدهب لنضم الشبيكي.

فى المقطع هذا نجد أن أخوات وقريبات العريس يعلمن أم العروس بأنهن قد أتين وجئن لضم وعمل الشبكة للعروس، وتكون الشبكة عادة من حلي ذهبية متنوعة، فيجدر بها أن تخرج لاستقبالهن وإكرامهن.

شدر القرنفل شيل وميل

الليلة العريس بين ندادتو وشه متغير.

تشبه المغنية العريس بشجر القرنفل الذي حمل الثمار الغزيرة والندية والروائح الطيبة تفوح منه، حيث يمكن أن تميزه من وجهه النضير بين إخوانه وزملائه.

أبواتك نموره إنت يا البلال

صاصك يضوي كيف شرار النار

تمدح المغنية العريس بأن أبواته فرسان شجعان كالنمور لا يخافون، وعليه أن يكون مثلهم يضرب بسلاحه الذي يضيء ليلًا مثل شرار النار.

أغاني الكرير (الطمبور)

والكرير هو إخراج الصوت من الحلق بتضخيم، وهي من الأغاني التي يتغنى بها في الأفراح، كما أنها قد تقام من غير مناسبة، خاصة عندما يفرغ الناس من أعمال الزراعة من حرث وحش وتحين بواكير الدرت والحصاد. الفرد من جماعة الطمبور يُدعى «الطمباري»، والفرد الذي يقود المجموعة ويبتدر الغناء يعرف «بالدلالي». كما يُعرف هذا النوع من الطمبور «بالغرباوي»، وذلك ربما للتفريق بينه وبين الطمبور المعروف في شمال السودان، حيث تطلق كلمة طمبور على الآلة التي تُعزف مع الغناء وتشبه الربابة.

في الطمبور توجد أغاني يتغنى بها الأولاد وأخرى تتغنى بها البنات، كما يوجد

مـكان خـاص خـارج القريـة لإقامـة حفـل الطمبـور يُعـرف بـ«المـدى» شـبيه بالميـس أو الحلبـة، حيـث تقـف البنـات في صـف واحـد ويبـدأن في الغنـاء مـع الصفقـة بالأيـدي. بعـد قليـل يـأتي الأولاد ويشـكلون دائـرة أمـام البنـات ويبـدءون في اللـف والـدوران ثـم يتوقفـون ويبـدءون الأُغنيـة مـع الصفقـة. تخـرج إحـدى البنـات مـن الصـف وتدلـف إلى وسـط حلبـة الأولاد وتـشرع في الرقـص بالرقبـة مـع كشـف الـرأس. وعندمـا تنتهـي الأغنيـة تتوقـف الفتـاة عـن الرقـص وتغطـي رأسـها، يبـدأ الأولاد في الـدوران، ثـم يتوقفـون ويـرددون أغنيـة جديـدة وتعـاود البنـت الرقـص، وعندمـا تفـتر تخـرج وتذهـب إلى صـف البنـات، ويأخـذ الجميـع قليـلًا مـن الراحـة، ثـم يسـتمر الطمبـور هكـذا إلى نهايتـه.

تتضمـن أغـاني الطمبـور مـن جانـب الأولاد ذكـر صفـات الجـمال لـدى الفتاة، وقد تشـمل ذم وهجـاء الفتـاة لسـلوك وتصرفـات غـير حميـدة، وتُعـد عـارًا وعيبًـا في حقهـا. مـن جانـب أغـاني البنـات نجـد أنهـا تحـوي نفـس الموضوعـات التـي تطـرق إليهـا الأولاد، وعمومًـا أغـاني الطمبـور تتضمـن ذكـر صفات الجـمال والشـجاعة والكرم والجـود وحب العمـل، وذم الخيانة والسرقـة والجـبن والخـوف والهـروب في المواقـف التـي تتطلـب الثبـات والتبطـل وخلافـه.

وأغـاني الكريـر في تقـلي تعـرف بأغـاني «جـووه» أيضًـا، وهـذا النـوع مـن الأغـاني تتغنى به عـادة النسـاء الكبـار، حيـث يقفـن في صـف واحـد ويبـدأن في الغنـاء مـع التصفيـق بالأيـدي، ثـم يـأتي الرجـال في صـف وهـم متجهـون نحوهـن ويخرجـون أصواتًـا مـن حناجرهـم مـا يعـرف بالكريـر، وعندمـا يقتربـون مـن النسـاء تخـرج إحداهـن وترقـص أمامهـم برأسـها وأيديهـا وهـي تـضرب بأرجلهـا.

من أغاني «جووه» النماذج التالية:

الفقير يا الكضاب.. يا الزارع البُتاب

الفقـير تعنـي الفـكي أو الفقيـه، والكضـاب تعنـي الكـذاب، البتـاب هـو نفايـات وبقايـا الـذرة. المعنـى العـام للأغنيـة نجـد أنهـا تخاطـب الفـكي واصفـة إياه بالكـذب وعـدم الصدق، لأنـه دجـال ومشـعوذ، مثلـه كمثـل الـذي يـزرع البتـاب مدعيًـا أنـه زرع ذرة حقيقيـة.

فقير شن عندو.. بلا سماح جلدو

كـما تقـول في هـذا المقطـع إن هـذا الفقـير أو الفقيـه غشـاش وليـس لديـه شيء سـوى أنـه شـخص مُنعـم سـمح ونظيـف الجسـم يأخـذ أمـوال النـاس بالباطـل.

عريسنا ود الفحل.. الشَلْخَة تملا الرحل

الشَـلْخَة تمـلأ الرحـل، أي أن الجـزء أو القسـم الصغـير مـن قنـدول الـذرة تمـلأ جوالـين، حيـث إن الرحـل يعـادل أردب. وهـذا كنايـة عـن أن هـذا العريـس رجـل منتـج ويعمـل وليـس متعطـلًا.

عريسنا نعزو هيلا.. ولا بنفزو هيلا

عريسنا الغالي هيلا.. قمرًا بلالي هيلا

المعنى أن عريسنا اليوم نعزه بحضورنا وبقائنا معه ولا نهرب ونتركه وحده.

كـما أن عريســنا هــذا عزيــز وغــالٍ علينــا، ومــن جمالــه ووجاهتــه أنــه كالقمــر الــذي يتــلألأ في الســماء.

ومن أغاني الطمبور لدى البنات هذه النماذج:

أمي يا الوالديني.. حلفتك بالرسول للفقير ما تديني

توب الكرب كان دايري.. كسوتك ما غالبيني

في هـذا المطلـع نجـد أن الفتـاة تطلـب مـن والدتهـا بـألا تزوجهـا لرجـل فقـير ليـس لديـه مـال، وأن أغـلى هديـة بإمكانـه أن يقدمهـا لأمهـا هـو ثـوب الكـرب الـذي باسـتطاعتها أن تشـتريه لهـا. وثـوب الكـرب هـذا أرخـص ثـوب في فـترة ماضيـة، ولا يوجـد أرخـص منـه إلا ثـوب الـزراق الـذي كان يجلـب مـن مـصر.

كان مت ما تدفنوني لما الحبيب يوصلني

كان ديارو بعيدة.. خلوا الصقور تاكلني

تطلـب الفتـاة مـن أهلهـا إذا قـدر اللـه وماتـت ألا تُدفـن حتـى يـأتي حبيبهـا، وإذا كان مكانـه بعيـدًا وتأخـر لا تُدفـن حتـى ولـو تأكلهـا الصقـور. في هـذا إخـلاص وتمجيـد للحـب الـذي فـات الحـدود.

السليك ابولية بكسرو في إيديا

ذنبي على الفقير العقد لي

السـليك: نـوع مـن الحـلي يُوضـع في رسـغ اليـد، حيـث شـبهت بـه الحبيـب الـذي كانـت تأمـل أن تتزوجـه، ولكـن زوجهـا أهلهـا لرجـل آخـر، والشـخص الفـكي الـذي قـام بعقـد الـزواج يتحمـل وزر ذلـك.

عود الصندل بختو فوق البمبر

حجروني من الزول سمح المنظر

في هـذه الأغنيـة تشـبه الفتـاة حبيبهـا الـذي حرموهـا منـه بعـود الصنـدل الـذي يفـوح بالطيـب ويتصـف بالوسـامة.

ومن أغاني الطمبور لدى الأولاد هذه النماذج:

الخديرة التربلوها... فريع المنقة الشتلوها

الخديـرة تعنـي الخـضراء اللـون، التربلوهـا أي زرعوهـا، والتربـال هـو الفـلاح أو المـزارع، فريـع شـجرة المانجـو المشـتولة معروفـة. المعنـى أن هـذه الفتـاة الخـضراء اللـون، أي لونهـا يأخـذ مـن الحُمـرة والسـمرة، فهـي تشـبه فـرع شـجرة المانجـو. هـذا هـو المطلـع الأسـاسي للأغنيـة التـي تتضمـن التفريعـات الـواردة أدنـاه.

حاج الطاهر في الزنك بنتُّر

كلامي القلتو منو ما بنكر

عائشة حامد خمت البيض وخلت الدنقر

خـم: حمـل الـشيء كلـه. الدنقـر: الدكـة أو الحفـرة التـي تضـع فيهـا الدجاجـة البيـض. المعنـى العـام لهـذا المقطـع أن هـذا الشـاكي الـذي يقـف داخـل المحكمـة أمـام رئيسـها حـاج الطاهـر المـك جيـلي وهـو ينـتُّره أي «ينهـره» يؤكـد ولا ينكـر بأنـه شـاهد عائشـة حامـد قـد أخـذت بيـض دجاجـة الخـلاء ولم تـترك منـه شـيئًا، ذلـك لأن أخـذ بيـض دجـاج الخـلاء بواسـطة فتـاة يعتـبر عيبًـا وعـارًا، وفي هـذا هجـاء لعائشـة التـي كانـت تقـوم بالرعـي في الخـلاء. والدنقـر هـو المـكان الـذي تضـع فيـه الدجاجـة بيضهـا.

جنى الحور من كنانة، الله ليهو البرتكان أذانا

المعنـى أن الفتـاة التـي تشـبه جنـى الحـور مـن قبيلـة كنانـة، وأنهـا صفـراء اللـون كالبرتقالـة سـببت لنـا الأذى والألم بهـذا الجـمال.

لقيت الورل ضنيبو متني ... قال لي جنابو المس بطني

دي البنية الضيعتني ... حتى أم كريشة شاركتني

يقـول الطمبـاري في هـذا المقطـع أنـه وجـد الـورل (الضـب) فى الخـلاء حزينًـا وهزيـلًا،

حيث طلب منه أن يمس بطنه التي صارت خاوية من الطعام، وذلك بسبب أن البنت عائشة التي ترعى في الخلاء لم تترك له البيض الذي يقتات منه ويعيش عليه، كما أن الحشرة المعروفة بأم كريشة أيضًا أصبحت تعاني مثله، لأنها تأكل بقايا البيض. وفي ذلك هجاء لعائشة.

عائشة حامد ترى الليلة لفت

أخذت ترسة لامن نفّت

جداد الخلا قول ليو اتحفظ

يقول الطمباري في هذا المقطع إن عائشة حامد اليوم قد خرجت وأخذت جولة وجرت حتى نفسها قام (ترسة من ترس أي هرب، من العامية السودانية)، وهو يحذر دجاج الخلاء بأن يتحفظ ويعمل حسابه منها.

قش الخريف قام متاكي

جداد الخلا جانا شاكي

دي البنية الحرقت حشاكي؟

يقول الطمباري إن قش وعشب الخريف قد نبت ونما وترامى فوق بعضه، وهو الوقت الذي يبيض فيه دجاج الخلاء، إلا أن دجاج الخلاء قد جاء مقدمًا شكوى ضد البنت التي اعتادت أخذ بيضه ولم تترك له شيئًا.

شالت ضقلها ونشت بقرها

لقيتها دافناهو في الملة

أبوها بياكل وبترع حسين أخوها ما سترها

لا يزال الطمباري يواصل ذمه وهجاءه للفتاة عائشة حامد، حيث يقول إنها حملت العكاز وأخرجت البقر من الزريبة، وإنها في ذات الوقت قد دفنت البيض دجاج الوادي في الرماد الحار (الملة) لينضج، وإن أباها قد أكل منه حتى شبع وتجشأ منه، إلا أن أخاها حسين قد أذاع ونشر أخبارها بين الناس فلم يسترها.

يوم نسيتي مشيتي تجيبي الفندق

بيض الجدادة انقلب بندق

يقـول إنهـا في مـرة مـن المـرات تركـت بيـض دجـاج الـوادي عـلى الرمـاد الحـار لينضـج وذهبـت إلى الجـيران لإحضـار الفنـدق، إلا أنهـا نسـيت ذلـك وأطالـت الغيـاب حتـى احـترق البيـض وصـار يتفجـر محدثًـا صوتًـا مثـل البندقيـة.

مِن قامت قشت عيونها

شالت الوقاية ربطت بطُن

خلي الجدادة تتم حُضُن

يقـول الطمبـاري في هـذا المقطـع إن هـذه الفتـاة اسـتيقظت مـن النـوم باكـرًا، ونظفـت عيونهـا مـن القـذى، وأخـذت طرحتهـا أو خمارهـا وربطـت بطنهـا تأهبًـا للذهـاب إلى الخلاء، فطلـب منهـا ألا تأخـذ بيـض الدجـاج وتتركـه يتـم فـترة الحضانـة ويفقـس.

الغزال الشاردة

تمشي بروقة الليلة جات واردة

فى هـذا المطلـع تشـبيه البنـت بالغـزال النفـور والتـي جـاءت اليـوم تمـشي بتمهـل وتـؤدة وهـي تحمـل جرتهـا لجلـب المـاء مـن المنهـل أو البـئر.

فريع المحلب المتاكي

شالني أنا وبت الزاكي

الله لي من ناري أنا

هنـا يتمنـى الطمبـاري لـو أن فريـع شـجرة المحلـب ذات الرائحـة الطيبـة المتكـئ عـلى جانـب قـد حملـه هـو وبنـت الـزاكي ذات الجـمال السـاحر.

الاسكير فوق جبل أبو دوم عليك يا أم شامة

الاسـكير نـوع مـن الأشـجار السـحرية التـي يُعتقـد أنـه إذا وُضـع منـه عـود أو ورقـة عـلى أي شيء يتحـول إلى ذهـب، وإن هـذه الشـجرة يُزعـم بأنهـا توجـد فـوق جبـل أبـو دوم الـذي يقـع شـمال شرق العباسـية تقـلي، حيـث يتمنـى أن تتحـلى محبوبتـه ذات الشـامة بهـذا الذهـب.

من أغاني أم ثوري

أغـاني أم ثـوري أو أم سـوري نـوع مـن الأغـاني التـي يُتغنـى بهـا مصحوبـة بالرقـص

وضرب الأرجـل عـلى الأرض ضربًـا خفيفًـا، وعـادة مـا تكـون بـين رجـل وامـرأة مـن الشـباب والشـيب، حيـث يقـف كل واحـد أمـام الآخـر واضعًـا يديـه عـلى جانبيـه وممسـكًا بخاصرتـه ويـضرب الأرض بإحـدى رجليـه، ثـم يحـول الـضرب إلى الرجـل الأخـرى، وهـما يهمهـمان. تسـتمر الرقصـة هكـذا إلى أن يفـتر أحدهـما أو كلاهـما، وبقيـة النسـاء يقفـن في صـف وهـن يـرددن الأغنيـة.

لم أجـد معنـى أو مصـدرًا لكلمـة أم ثـوري والتـي ينطقهـا النـاس عـادة أم سـوري، غـير أنهـا قـد تكـون مـن الثـورة والحركـة السريعـة والخفيفـة التـي تتميـز بهـا هـذه الأغـاني، حيـث إنهـا تتصـف بالخفـة في اللحـن والأداء والحركـة.

من أغاني أم ثوري النماذج الآتية:

أمي قالت لي أم ثوري ما تسيري

الرأس رأسي بعدمو الضفيري

فى هـذه الأغنيـة الفتـاة تعلـن للمـلأ أن أمهـا قـد منعتهـا مـن الذهـاب إلى مـكان ألعـاب أم ثـوري لسـبب لا تعلمـه، إلا أنهـا تـصر عـلى الذهـاب أو سـتجز شـعرها مسـتنكرة منعهـا مـن الذهـاب.

يا مطير الرش

التّوّر عروق القش

شكيت الناس العلموني الحش

تخاطـب الفتـاة المطـر الـذي نـزل ورش الأرض حتـى نبـت العشـب والقـش والـذي يسـتوجب الحـش والحـرث اسـتعدادًا للزراعـة، بيـد أنهـا تقـول مسـتنكرة مهنـة وحرفـة الزراعـة، لأنهـا حرفـة متعبـة ومرهقـة، وإنهـا سـوف تقـدم شـكوى ضـد النـاس الذيـن علموهـا أسـاليب وطـرق هـذه المهنـة.

خشم بيتنا نقشو قش

بالمحلب نرشو رش

تقـول المغنيـة إنهـا سـوف تعمـل عـلى كنـس ونظافـة أمـام منزلهـم، وكذلـك رشـه وتطييبـه بعطـور المحلـب حتـى يصـير جميـلًا وطيبًـا، لاسـتقبال الحبيـب.

الشاي في البراد شراب الكيف

ما خل لي خنّاق شراب الكيف

تؤكـد المغنيـة في هـذا المقطـع بأنهـا مولعـة بـشراب الشـاي، وأنهـا في سـبيل توفـير ذلـك قـد سـامت وباعـت كل مـا تملـك حتـى الخنـاق أو العقـد أو السلسـلة التـي تتحـلى بهـا في جيدهـا وعنقهـا.

أمي قالت لي تموتي عينك حية

بركب البص إن شا الله ينجع بي

تقـول الفتـاة في هـذا المقطـع إن أمهـا أخبرتهـا بأنهـا سـوف تمـوت وعيونهـا مفتحة، نسـبة لشـقاوتها وخفتهـا. تـرد الفتـاة عـلى كلام أمهـا بأنهـا غاويـة شـقاوة، وتتمنـى أن تركـب أحـد البصـات السـفرية ليذهـب بهـا إلى جهـة غـير معلومـة. هـذه الفتـاة توصـف بأنهـا فانعـة ولا تسـمع نصيحـة أمهـا.

أمي قالت لي بديلة ما بتتقدري

الشاغل بالي ود المدارس بقري

تذكـر الفتـاة في هـذه الأغنيـة بـأن أمهـا قالـت لهـا أنـت شـقية ومبدولـة لا يسـتطيع أحـد أن يوجهـك ويؤدبـك. فـترد بأنهـا مشـغولة البـال والفكـر بسـبب ولـد يقـرأ بالمدرسـة.

قمرية قوقي خليني أبرد شوقي

أبقى سجادة حبيبي يصلي فوقي

تطلـب الفتـاة مـن طائـر القمـري أن يغـرد بصوتـه الحنـون الشـجي، لأن سـماع هـذا التغريـد يـبرد ويطفـئ نـار شـوقها المحـرق. كـما تتمنـى أن تصـير سـجادة ليصـلي عليهـا حبيبهـا.

الدوبيت

الدوبيـت مـن الغنـاء الـذي تجـده في كثـير مـن بقـاع السـودان، حيـث يزدهـر في الأرياف والبـوادي، كـما نجـد أن أغـاني الدوبيـت يتـم تناقلهـا وتداولهـا مـن منطقـة إلى أخـرى، حتـى إنـك لا تعلـم مـن ألفهـا إذا لم تكـن موثقـة. وأغـاني الدوبيـت كسـائر أنـواع أغـاني الـتراث الأخـرى تتضمـن الفخـر والاعتـزاز، الـذم والهجـاء، الكـرم والجـود، الحـب والغـزل، التحـسر والنـدم وخلافـه. المقاطـع التاليـة مـن الدوبيـت كان يرددهـا الطيـب محمـد أحمـد الماحـي في شـبابه:

يا الطير الطاير سلم على الوالدات

قول ليهن جناكن حي ما مات

إلا بلادو سفلت جابت تلات سلقات

وعروسه حلقت وجمله البريدو مات

يخاطب الشاعر الطير الطائر فوق السماء بأن يبلغ السلام لأمهاته المتمثلات في الأم والعمات والخالات، ليخبرهن بأن ولدهن حي يرزق، غير أن زراعته قد فشلت، ولم يجنِ منها سوى ثلاث سلقات أو حفنات، والحفنة تساوي ملء اليدين. كما أن زوجته مريضة طريحة الفراش وهي تحتضر، وجمله الذي يفضله قد مات هو كذلك.

طقيت الجنين بالجبة والعراقي

من كتر الهموم قام لي دبر فوق ساقي

الناس مرتاحة وأنا براي متشاقي

طق الجنين يعني سلخ لحاء شجر الهشاب باستخدام الفأس أو الفرار لتمكين المادة الصمغية من الخروج، والجبة هي الجلباب والعراقي معروف. قام لي دبر فوق ساقي، يعني أن كثرة الشقاء تسبب في ظهور جروح في ساق رجله، وفي النهاية يتحسر بأن الناس مرتاحون وأنه هو وحده يعاني ويقاسي من هذه المنهة الشاقة.

جيت ماشي العصير لقيتو راقد فوق هبابو

شافني من بعيد شال توب الكرب تبابو

قال يا ساتر يا سلام زولي البعيد الليلة شن جابو

الهباب هو عنقريب بلدي صغير يستخدم دون أن يوضع عليه فرش، توب الكرب نوع من الثياب الخفيفة بلون أسود أو أبيض ترتديه النساء قديمًا، تبابو أي قام به (أصلها تبّ به)، الليلة شن جابو أي ما السبب الذي أتى به في هذا الوقت، إذ لا بد من خبر سيئ جعله يأتي في هذا الوقت.

أنا الصبي الحدف كراعو وفي جرابو دخّل القربين أبو كسرة

أنا الصبي البطبق المَسْرَة فوق المَسْرَة

ما بتْمثّل لناس يمة زيدي الكسرة

فى شرح هـذا الدوبيـت نجـد أنـه يفتخـر ويتنـبر بأنـه صبـي أو شـاب في عـز عنفوانـه وقوتـه، وأنـه وضـع رجـلًا فـوق رجـل وهـو عـلى ظهـر دابتـه، وأدخـل سـلاحه المعـروف بالقربـين في جرابـه، والجـراب وعـاء مصنـوع مـن الجلـد. كـما أردف قائـلًا بأنـه مـن الشـباب الذيـن يحرثـون الأرض ويزرعـون سـنة وراء سـنة ويأتـون بالمحصـول الوفـير، ولا يتمثـل بـالأولاد العاطلـين الذيـن لا هـم لهـم إلا طلـب زيـادة الأكل مـن أمهاتهـم. البطبـق المَسْرَة تعنـي الـذي يضاعـف الحـرث موسـمًا بعـد موسـم ولا يـترك الأرض تبـور، والمسرة مـن الأرض الـسرى عكـس الأرض البـور.

لما الليل برد جاني الولوف بتنى

نقر الباب شميت نسايم الجنة

هبشتو بكى قال لي روق واستنى

خلى الناس تنوم وزي ما تريد اتمنى

هـذا المقطـع مـن الدوبيـت يشـتمل عـلى غـزل صريـح بـين هـذا المنشـد وخليلتـه، والمعنـى واضـح لا غمـوض فيـه.

أشرب كاس وأدفق كاس

وأركب تور الخلاء النكاس

لما يندفق رصاص بتعمر ديارنا وتخرب ديار الناس

يذكـر في هـذا المقطـع بأنـه يـشرب كأسًـا ويدفـق كأسًـا مـن الخمـرة، وذلـك كنايـة عـن بطـر وفـوت للحـد. وأنـه شـجاع يركـب ثـور الخـلاء العـاتي النفـور وهـو الجامـوس، ولمـا ضرب النـار يشـتد تعمـر ديارهـم وتخـرب ديـار النـاس، لأن النـصر سـيكون حليفهـم.

أمك تقول مستورة وخالتك تقول مستورة

تراكِ بت سرور ماكي مبدولة

كان جلستْ حداك سنتك تروح مجهولة

المعنـى أن هـذه البنـت رضيـة ومطيعـة لأماتهـا، وبالتـالي فهـي بنـت سرور وليسـت روشـة ولا مبدلـة، إلا أنـك إذا حاولـت أن تجالسـها وتؤانسـها لا شـك أنـك سـوف تضيـع سـنتك تلـك.

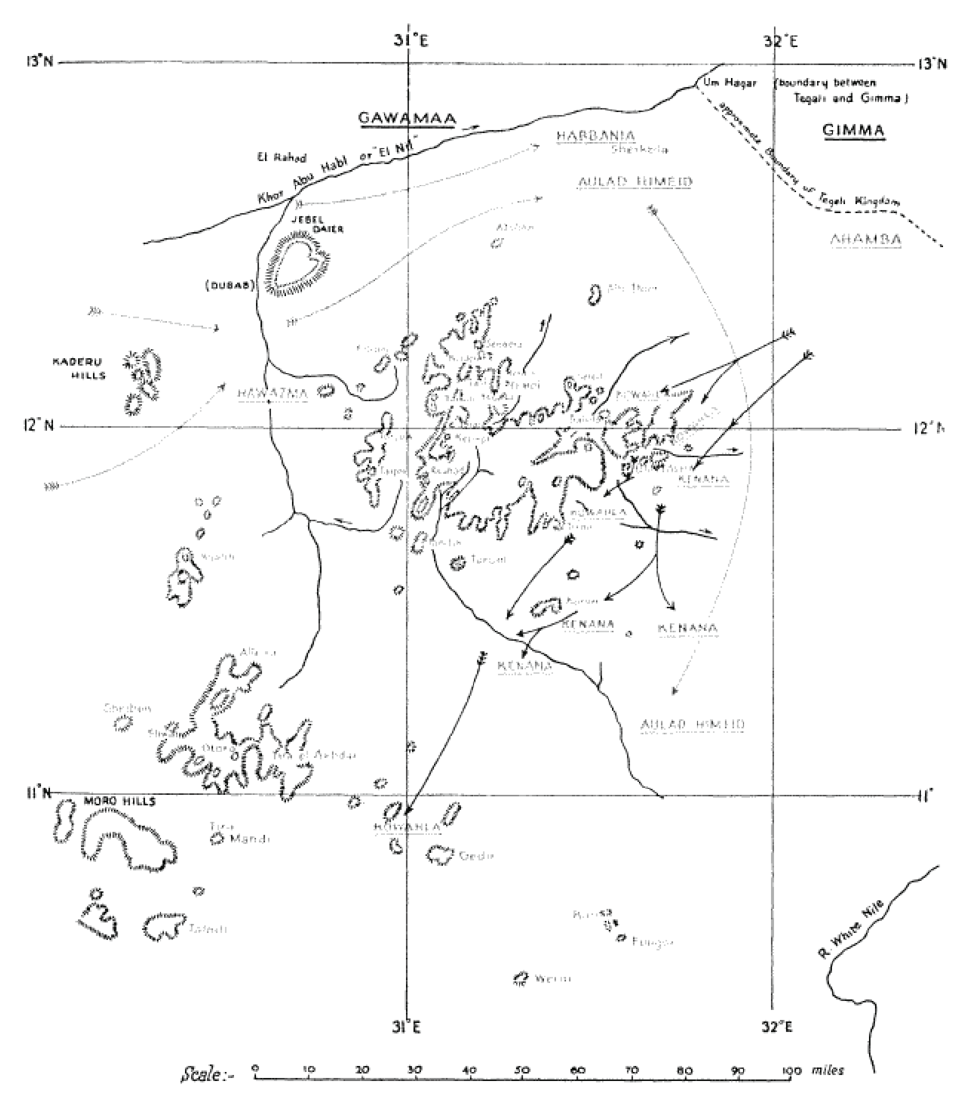
أنا كان سراق ما بسرق البنكوتي

بسرق إبلاً طُوال فوقن بجر سوطي

الفزع كان لحق البنات ببقن سبب موتي

يقول الحداي في هذا المقطع إنه لو سراق ما يسرق النقود القليلة (البنكوتي أي البنكنوت)، ولكنه يسرق الجمال الطويلة، أي السريعة، وإذا الفزع أدركه فإنه لا يفر ويهرب ولكنه سوف يبقى لقتالهم حتى ولو أدى ذلك إلى موته، خشية من ذم وهجاء البنات له.

الملحق الثالث



Sketch Map of Tegali in the Nineteenth Century.

خريطة مملكة تقلي

الملحق الرابع

قائمة بأسماء الملوك في مملكة تقلي الإسلامية

1. جيلي أبو جريد بن محمد 1560-1585م.
2. سابو (صابو) بن جيلي 1585-597م.
3. جيلي عمارة بن سابو -1597-1625م.
4. جيلي عون الله بن جيلي عمارة 1625-1640م.
5. جيلي أبو قرون بن جيلي عون الله 1640-1668م.
6. محمد بن جيلي أبو قرون 1669-1702م.
7. عمار أبو زنتين بن جيلي أبو قرون 1702-1705م.
8. إسماعيل بن محمد 1705-1773م حكم مدة 70 سنة.
9. أبو بكر بن إسماعيل 1814-1773م حكم 42 سنة.
10. عمر بن أبو بكر 1814-1827م حكم 13 سنة.
11. أحمد بن أبو بكر 1827-1843م حكم 17 سنة.
12. المريود بن إسماعيل 1843-1844م حكم سنة ونصف فقط.
13. ناصر بن أبو بكر 1844-1859م حكم 15سنة.
14. آدم دبالو بن عمر 1859-1884م حكم 26 سنة.
15. علي أبو زنيتو بن آدم دبالو 1885-1892م حكم 7 سنوات.
16. جيلي ولد آدم 1892-1916م حكم 25 سنة.
17. أبو بكر بن جيلي 1916-1921م حكم لمدة 5 سنوات.
18. آدم النيل بن جيلي من 1921م.[1]

(1) ر. أ. ريلز، مملكة تقلي الإسلامية، مجلة السودان في رسائل ومدونات، 1935م، العدد، ص30.

الملحق الخامس

الملحق رقم (58) من تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان، التقرير رقم 60، ترجمة وتحقيق د. البشير أحمد محيي الدين

من أوراق فشودة 24 أكتوبر إلى 7 نوفمبر 1898م

أوراق المخابرات فشودة والأقاليم المجاورة:

24 أكتوبر: وصلتنا رسائل من مكتب القائد العام بأم درمان.

25 أكتوبر: المارشال (مارشند) غادر (فشودة) بالباخرة (تاماي) إلى أم درمان في الساعة 8 صباحًا.

26 أكتوبر: لا جديد.

27 أكتوبر: الباخرة الفرنسية (فيدهيربن) غادرت (فشودة) جنوبًا.

28 أكتوبر: (مختار ود حامد) زعيم السراجية أفادنا بأنه في الأيام الثمانية الماضية كان في (دار فونجي) وهي بلاد بين منطقة (الشلك ودار تقلي) وأنه قابل عرب (قبيلة الحمادي) وهم من البقارة الذين هربوا وكانوا جزءًا من قوات (الخليفة) وأفادنا بالآتي:

إن (الخليفة) قد وصل إلى منطقة (العجيلة) وهي قريبة من (شركيلا)، وقد كتب رسائل إلى (جيلي ود آدم مالك) زعيم (دار تقلي) يطلب فيها منه الحضور فورًا إلى (العجيلة) ولكن (مالك) هذا رفض الإذعان إلى أمر (الخليفة).

واحد من التسعة مبعوثين من (جبل قدير) قد غادروا فشودة في 19 أكتوبر.

بعد عودته إلى بلاده كان يحمل معه خطابات وهدايا من حاكم فشودة إلى سلطان (جبل قدير) وأيضًا إلى (شيخ قبيلة الحوازمة) كان قد وصل إلى المعسكر ومعه الشيخ (أحمد حامد) شيخ السراجية وأعلمنا في ضمن حديثه أنهم التقوا (بوش ود ضو البيت هنية) من قبيلة الحمادي (بقارة) و(خليل الفنجراوي) ومعهم حوالي 30 نوباويًّا أوقفتهم هذه المجموعة وأخذوا منهم كل الهدايا والخطابات التي كانت بحوزتهم، وفي النهاية تم إطلاق سراحهم وسراح المبعوثين من الحوازمة وأعادوا لهم كل ما تم سلبه منهم من خطابات وهدايا التي مفترض أن تصل إلى شيوخ الحوازمة.

الرجل الذي أفادنا كان قد تسلل من هؤلاء تحت ستار الليل ووصل إلى (فشودة)، المجموعة أعلاه أخبرتهم أنها ذاهبة إلى فشودة لمقابلة قوات الحكومة وسيصلون إلى

(فشـودة) في غضـون يومـين (هـذه المجموعـة الهاربـون مـن الكتيبـة 9 السـودانية وهـم غيـاب مـن محطـة كاكا) مـن يـوم 17 سـبتمبر وهـم يتبعـون لإقليـم الشـيخ (هنيـة).

29 أكتوبـر: الباخـرة المسـلحة (أبـو كيلـة) عـادت مـن جولتهـا العسـكرية حيـث اسـتطلعت أعـالي (نهـر الـزراف). وقـد أعـد التقريـر البمبـاشي (بيـكي) والخريطـة أعدهـا (البمبـاشي استانسـتون) وألحقـت بهـذا التقريـر.

الباخـرة الفرنسـية (فيدهيربـن) غـادرت (فشـودة) يـوم 27 أكتوبـر وتجـاوزت باخرتنـا المسـلحة (أبـو كيلـة) في النيـل الأبيـض إلى السـوباط وأبحـرت إلى بحـر الغـزال. لا تحمـل أي قـوات عـلى ظهرهـا. ووفقًـا لحديـث المارشـال (مارشـند) فإنهـا تحركـت بتوجيهاتـه إلى (مـشرع الـرق) لتجمـع التعيينـات والذخائـر الحربيـة التـي كانـت هنـاك بغـرض الحـرب.

أنـا أعطيـت أوامـري إلى النقـاط في (نهـر السـوباط) لقفـل النهـر أمـام أي تحـركات، وأخـبرت (مارشـند) أن هـذا واجـب القـوات المصريـة وطلبـت منـه إذا أراد القيـام بـأي عمـل، فعليـه أن يخاطـب القيـادة العسـكرية في (أم درمـان) وأن يعطـي هـذه الأوامـر محمـل الجـد.

30 أكتوبـر: القـوارب الفرنسـية تجـاوزت معسـكر الحكومـة وكانـت تتحـرك في قنـاة طويلـة وذلـك في حـوالي السـاعة الثانيـة ظهـرًا، وكانـت هـذه القـوارب تحمـل قـوة مسـلحة، وكانـت قادمـة مـن اتجـاه الجنـوب. أرسـلنا رسـالة إلى قائـد القـوات الفرنسـية طلبنـا فيهـا أن يقـوم بمقابلتنـا ليـبرر تحـرك قواتـه. وبعدهـا قمنـا بإغـلاق مدخـل القنـال باسـتخدام أعـواد خشـبية ومجموعـة مـن الحبـال.

(الكابـتن جيرمـان) كمنـدان القـوات الفرنسـية وصـل إلى معسـكرنا وعقـد معنـا اجتماعًـا وذلـك يحمـل تفويضًـا مـن قائـده المارشـال (مارشـند).

31 أكتوبـر: القـوارب الفرنسـية الثلاثـة التـي تجـاوزت المعسـكر في السـاعة الثانيـة ظهـرًا والتـي تحركـت يـوم 30 أكتوبـر تتبـع لحاميـة (فشـودة) الفرنسـية. وكانـت هـذه القـوارب قـد أرسـلت إلى بـلاد الدينـكا وأبحـرت مسـافة قريبـة بغـرض شراء ضـأن للقـوات الفرنسـية وعـادت بعـد أن اشـتروا عـدد 20 رأسًـا مـن الضـأن. وأنـا سأرسـل إلى شـيخ قريـة (دونقـول) وهـو الـذي يمـد القـوات الفرنسـية بالمـواشي.

(الكابـتن جيرمـان) أخـبرني في المحادثـة معـه أمـس بـأن حملـة المرشـال (مارشـند) قـد أخـذت الطريـق الآتي: قـد بـدأت الرحلـة مـن (حصـن هوسـنقير) وتابعـت سـيرها إلى (نهـر

سويح) إلى ملتقى (نهر قتتي) وهناك أسس الفرنسيون نقطة قرب (واو) ووصلوا عبر (نهر قتتي) إلى (مشرع الرق) وأسسوا نقطة أخرى قرب (مشروع الشول) بالقرب من الحامية المصرية القديمة ومنها إلى (بحر الغزال) ومنها أبحروا إلى (فشودة).

(جيرمان) نفسه أخبرني أن المارشال (مارشند) قد قاد بنفسه مجموعة من القوات وحاول أن يصل إلى (بحر الجبل) ولكنه عندما وصل إلى (موفولو) على (نهر روهل) (المارشال مارشند) قفل راجعًا لأنه تفاجأ بوجود عدد كبير من قوات الدراويش وذلك بحسب التقارير يتمركزون في (بور).

1 نوفمبر: (جيرمان) كان يقود القوات الفرنسية، قدم شرحًا عن تحرك القوارب الثلاثة التي عبرت أمام معسكرنا الساعة الثانية ظهرًا في 30 أكتوبر، وبقي مع الباخرة الفرنسية قاربان كانا قد تحركا يوم 27 أكتوبر لجمع الطعام. وقد قال الآتي بالنص: (إن الشلك امتنعوا عن تقديم أي إمداد من الطعام للقوات الفرنسية منذ وصول القوات الإنجليزية والمصرية إلى فشودة).

الباخرة الفرنسية (فيدهيربن) ومعها قاربان مسلحان كانا يتحركان معها لجلب الطعام، ولكن نحن سنعمل على تجفيف مصادر إمداد الفرنسيين بالطعام والذين أصبح الدينكا يمدونهم بالطعام.

2 نوفمبر: (بوش ود ضو البيت) نائب ملك (جبل قدير) وصل معسكرنا وأحضر معه كلًا من:

- شيخ هنية ود يحيى شيخ البقارة (حمادي).
- خليل ود عوضان شيخ (دار فونجي).
- ضهريبة ود وناسار من قبيلة (النوبة).
- رون من قبيلة (نيارو) وفكي ود باري ومعهم 30 رجلًا.

كل هؤلاء الشيوخ أتوا لتأكيد ترحيبهم بعودة قوات الحكومة ولديهم معرفة بـ(بوش ود الضو) وكان المشايخ قد أعلنوا (الشاقة) سلطانًا على (جبل قدير). وقد أعلنا لهم أن الحكومة ترحب بكل المشايخ الطالبين للأمان، وأن على المشايخ المساعدة في تعزيز السلام، وأن الطرق يجب أن تفتح كلها وأنها تابعة للحكومة، ويجب أن تغلق في وجه (الخليفة) وأتباعه، وإلى وصول قوات وموظفي الحكومة إلى مناطقهم فإن السلاطين والمشايخ هم المسئولون والممثلون للحكومة.

إفـادات (بـوش ود ضـو البيـت) قـال إنـه سـلب مـن منصـب سـلطان (جبـل قديـر) مـن قبـل 4 سـنوات عـلى يـد (الخليفـة) ومنـذ ذلـك التاريـخ هـو يعيـش في (اللـيري) وهـي منطقـة جبليـة تقـع جنـوب ديـار النوبـة و(جبـال الليـري) يمكـن رؤيتهـا مـن (النيـل الأبيـض) وذلـك بعـد الوصـول إلى البحـيرة رقـم (غـير مذكـورة) والأخبـار المتوفـرة لدينـا بـأن (الخليفـة) قـد وصـل إلى (شركيـلا) وأنـه منزعـج بسـبب تحركـه البطـيء نحـو ديـار البقـارة (الرزيقـات) لـكي يؤسـس ويعيـد بنـاء قوتـه، و(بـوش ود ضـو) معـه النوبـة وكل البقيـة مؤيـدون لـه يـرون أن أفضـل عمـل يمكـن أن يقومـوا بـه هـو اعتقـال (الخليفـة).

الشـيخ (خليـل ود عوضـان) اشـترى بندقيـة وحـزام حمـل الذخـيرة في الكتـف مـن العسـكري التابـع للكتيبـة التاسـعة السـودانية، وكان هـذا العسـكري قـد هـرب مـن نقطـة (كاكا) في 17 سـبتمبر المـاضي وذكـر أنـه سـيحضر العسـكري الهـارب في الحـال فـور رجوعـه. (بـوش ود الضـو) قـام بوصـف إقليمـه بأنـه إقليـم كبـير وأراضيـه خصبـة وأن الميـاه فيـه جاريـة ومصـدر الميـاه الرئيـسي الأمطـار وتـزرع فيـه المحاصيـل عـلى رأسـها (الـذرة – الـذرة الشـامية – القطـن – البطيـخ – الفاصوليـا) ولكـن القمـح لا ينمـو في إقليمـه، ولديهـم قطعـان مـن الأبقـار، وأيضًـا لديهـم مجموعـة مـن الحمـير والقليـل مـن الخيـل، وأن الإبـل لا تعيـش في بـلاده أبـدًا لأن هنـاك أشـجارًا سـامة قاتلـة بالنسـبة للإبـل تنمـو في بـلاده، وذكـر (بـوش ود الضـو) بـأن سـيقوم مسـتقبلًا عـلى تأمـين الطـرق وفتحهـا مـن وإلى مناطـق وجـود الحكومـة. وأنـه قريبًـا سـيحل موسـم الجفـاف وسـتجف المسـتنقعات وسـيتحرك السـكان في شـكل مجموعـات بغـرض العمـل في التجـارة ووصـف بـلاده في آخـر يومـين مـن رحلتـه بأنهـا عبـارة عـن مسـتنقعات وبـرك وتغطيهـا الحشـائش الطويلـة.

(بـوش ود الضـو) ذكـر أنـه تلقـى أخبـارًا منـذ عـدة شـهور تفيـد بـأن هنالـك مجموعـة مـن (السـواحين) قـد وصلـوا إلى (فشـودة) مـن اتجـاه الغـرب وعلـم أنهـم جاءوا إلى (فشـودة) لإعـادة احتـلال المنطقـة وإقامـة حكومـة، وأنهـم قد أقامـوا معسـكرًا كبـيرًا في (فشـودة) وأنهـم لم يتعاونـوا، وأضـاف (مـن الأفضـل أن ندعهـم يموتـون مـن الجـوع) ويقصـد (الفرنسـيين). أكـد (بـوش ود الضـو) عـلى ضـمان بقـاء الطـرق مفتوحـة ومسـاعدة الحكومـة في حفـظ السـلام والاسـتقرار، وأنـه سـيقدم توجيهاتنـا إلى المشـايخ وبعـض الهدايـا التـي أعطيناهـا للمشـايخ سـيوصلها لهـم ومـن بعدهـا التـزم بتوصيـل رسـائل إلى مشـايخ القبائـل الآتيـة:

- إلى عرب الليري.
- إلى عرب الكواهلة، لوقان والموري وويرني.

- إلى عرب جنوب البقارة والرينقا والتلودي.
- إلى قبيلة النوبة – كاو وفونجر ونورين.
- إلى سودان راشد – تقوي ووادي حماد.

كل هـؤلاء المشايخ الذيـن كانـوا معنـا غـادروا في تمام السـاعة الخامسـة مسـاءً مـع وعـد بـأن يمدونـا بـأي أخبـار أو معلومـات جديـدة، أغلـب الذيـن يحـضرون بغـرض التجـارة أو لديهـم قطعـان مـواشٍ أو لديهـم عسـل للتجـارة بـــ(سـوق فشـودة).

3 نوفمـبر: وصلتنـا أخبـار تفيـد بـأن السـلطان (أحمـد شـقة) سـلطان (جبـل قديـر) قـد تحـرك مـن (جبـل قديـر) قاصـدًا معسـكرنا بغـرض مبايعـة الحكومـة.

وكيـل الشـيخ (أيونـق) شـيخ (دينـكا دينقـل) عـلى الضفـة اليمنـى للنيـل عـبر النهـر ومعـه 4 مـن أتباعـه ليخبرنـا بـأن 3 قـوارب فرنسـية مسـلحة قـد أبحـرت إلى قريتـه ومكثـت 5 أيـام وقـد اسـتبدلوا مـع السـكان عـدد 40 رأسًـا مـن الضـأن مقابـل ملابـس وبضائـع أخـرى وأجـبروا شـيخ القريـة عـلى قبـول العلـم الفرنـسي. الشـيخ أرسـل وكيلـه لمعرفـة رأي الحكومـة في التعامـل مـع الفرنسـيين خصوصًـا وأن المشـايخ يتخوفـون مـن أن يطلـق عليهـم الفرنسـيون النـار إذا رفضـوا التعامـل معهـم، مـع العلـم بـأن الكتيبـة رقـم 9 السـودانية فيهـا عسـاكر مـن أبنـاء الدينـكا وغـدًا سـيتحركون مـن معسـكرنا مـع وكيـل الشـيخ إلى قريـة (دونقـول) وسـيحملون هدايـا لشـيخ القريـة تقديـرًا للمعلومـات التـي أدلى بهـا، وسـيخبرون الشـيخ بـأن يسـلمهم الأعـلام الفرنسـية، وأن أي زيـارة للقـوة الفرنسـية لـــقرية (دونقـول) يجـب أن يخـبر الشـيخ الفرنسـيين أن هـذه البـلاد تتبـع لإدارة الحكومـة المصريـة، ولكـن ليـس عـلى الشـيخ أن يمنعهـم مـن شراء تعيينـات ومـواد غذائيـة مـن الأهـالي. وعندمـا تصلنـا الحمـير سـنقوم بزيـارة سريعـة للقـرى القريبـة مـن معسـكرنا.

يجـب عـلى القـوة الفرنسـية إيقـاف دوريـات القـوارب المسـلحة التـي تجـوب (النيـل) و(نهـر السـوباط).

4 نوفمـبر: مسـتوى ارتفـاع النهـر في (فشـودة) منـذ بدايـة الارتفـاع حتـى الآن ارتفـع منسـوب النهـر 1 بوصـة.

في حديثنـا مـع الشـلك حول الأسـباب التـي دعت المسـئولين السـابقين في الحكومة المصرية إلى اختيـار هـذا الموقـع لبنـاء المديريـة القديمـة في هـذا المـكان. قـد أجابـوا بـأن الطـرق الآتية مـن (دار تقـلي) و(جبـل قديـر) و(دار النوبـة) كلهـا تتلاقـى في هـذا المـكان وأن هـذا المـكان

يسيطر على الطرق التجارية أيضًا القادمة من الجنوب حيث مناطق (النوير والشلك والدينكا) وهذا السبب دفع الحكومة إلى إنشاء وفتح مكاتب المديرية في هذا الموقع.

5 نوفمبر: حدث تغيير في المناخ من يوم 1 نوفمبر حيث لم تهطل الأمطار والرياح تهب يومًا بعد يوم من اتجاه الشمال. اثنان من عرب السراجية وصلا من (جبل قدير) ومكثا هنا 15 يومًا الماضية. وأفادانا بأنهما سمعا أن عددًا من فرسان الدراويش من قبيلة (بني هلبة) قد وصلوا إلى (جبل قدير) يحملون رسالة من (الخليفة) إلى (الملك جيلي ود آدم) مك (دار تقلي) وقد وعدوه بأن يحافظوا على السلم في إقليمه إذا قام بإيواء وإدخال فرسان الدراويش في بلاده. ولكن (الملك جيلي) أدخل 7 من الفرسان إلى بلاده ثم اعتقلهم وصادر خيولهم وهم الآن في سجنه، وقال إذا تجرأ (الخليفة) ودخل بلاده فإنه سيقوم باعتقاله وتسليمه إلى الحكومة. (الملك جيلي) كتب إلى السلطان (أحمد صاغة) (سلطان جبل قدير) وطلب منه إعداد قواته للقيام بعمل مشترك ضد الدراويش العرب، أفادا بأنهما شاهدا رسل (جيلي ود آدم) عندما وصلوا إلى جبل قدير قادمين من (دار تقلي).

تم إرسال الرسائل إلى (الملك جيلي ود آدم) والسلطان (أحمد صاغة) وطلبنا منهما تمليكنا آخر المعلومات والأخبار.

6 نوفمبر: قاربان فرنسيان مسلحان كانا مبحرين جنوبًا مرا بالقرب من معسكرنا. وكان القاربان متجهين أيضًا إلى ديار الدينكا. وقد كان القاربان الصغيران يبحران في الخيران الضيقة المملوءة بالحشائش التي تحد تحركها وجود السدود. ولا تستطيع السفن متابعة تحرك هذه القوارب.

الملحق السادس

الملحق رقم (58) من تقرير المخابرات البريطانية

عن الثورة المهدية في السودان

ملخص مذكرات المخابرات (فشودة) من 21 سبتمبر إلى 9 أكتوبر 1898م

بلاد الشلك:

(مك الشلك) وكل قياداتهم الأهلية نفوا تمامًا أنهم أقاموا أي تحالف مع القوة الفرنسية بقيادة (المارشال مارشند). إفادات (المك غولدون ودنادوك) الذي سماه الدراويش (عبد الفضيل) أخذت بعد أن أخذت إفادات الشهود والمدرجة في الملحق (D -S). وعندما كتب الشلك إلى الدراويش إليهم في كاكا كان الأمير (سيد صغير)، كان الأجانب مقيمين في (فشودة) ولم ينزل الدراويش إليهم لأن المعلومات المتوفرة لهم أنهم ليسوا أتراكًا وإنما هم سائحون ليس إلا، وأن جنسيتهم غير معروفة، المك وقيادات النوير لهم رغبة في أن يكونوا تحت الحكم المصري كما كان معروفًا في الزمن الماضي.

الشلك منذ وصولنا لم يذهبوا إلى معسكر الفرنسيين من دون أن يأخذوا إذنًا من كمندان القوات المصرية في فشودة. الشلك يعتبرون القوة الفرنسية قوة مغتصبة لأراضيهم، وبذلك عاملوهم على هذا النحو ولم يقيموا معهم أي علاقة.

بلاد الدينكا:

كل قيادات وزعماء الدينكا على الضفة اليمنى للنهر قد عبروا النهر وزاروا المعسكر وأظهروا الولاء وكل مطالبهم أن يكونوا تحت إدارة الحكومة المصرية.

الدينكا لم يقيموا أي تحالف مع القوات الفرنسية تحت قيادة (المارشال مارشند). كل قيادات الدينكا أظهروا سعادتهم بتخلصهم من حكم الدراويش وامتنانهم بأنهم عادوا إلى الإدارة الحكومية. الدينكا والشلك أصبحوا أصدقاء كما أننا ساهمنا في إعادة فتح الأسواق وأمددنا المواطنين بتعيينات. الكتائب السودانية لديها شعبية كبيرة وسط الدينكا والشلك. وهنالك 160 من الدراويش سلموا لنا بقيادة (حسيب كمال الدين) والذين أحضروا للمعسكر بواسطة رجال الدينكا (الملحق رقم C).

دار تقلي:

لقد وصل الرسل المبعوثون من (الملك جيلي) مك تقلي وقدموا تقريرًا عن بلادهم

وأنهـم علمـوا أن الجيـش المـصري قـد أعـاد احتـلال (فشـودة). وأفـادوا أن (مملكـة دار تقـلي) لا يوجـد بهـا دراويـش، رسـل (الملـك جيـلي) ذكـروا أنهـم سـيعيدون خـط التجـارة مـع (فشـودة) وأعلنـوا ولاءهـم للحكومـة. (شـيخ العـرب السراجيـة) وصـل إلى نقطـة الحكومـة وأعلـن نيتـه مبايعـة الحكومـة.

إعـلان جنـاب الـسردار للمشـايخ والزعـماء المحليـين عـلى الفـور وزعـت عـلى مشـايخ وزعـماء كردفـان.

بحر الجبل:

انظـر إلى التقريـر الكامـل الـذي أعـده (البمبـاشي بيـكي) والخريطـة التـي أعدهـا (البمبـاشي كوبـر) مـع الكتيبـة 13 السـودانية.

بحر الغزال:

انظـر إلى التقريـر الكامـل الـذي أعـده (البمبـاشي بيـكي) والخريطـة التـي أعدهـا البمباشي (إسـتناتون) مـع الكتيبة 11 السـودانية.

الفرنسيون في فشودة:

القـوة الفرنسـية تحـت قيـادة (الميجـور مارشـند) والتـي كانـت تتمركـز في مبـاني المديريـة القديمـة كانـوا معزولـين عـن محيطهـم مـن قبائـل الشـلك والنويـر والدينـكا والقبائـل العربيـة. ولم يكـن في اسـتطاعتهم إرسـال مبعوثـين يحملـون رسـائل لمسـافات طويلـة كـما أنهـم خـلال وجودهـم لم يتلقـوا أي أخبـار منـذ وصولهـم (فشـودة) وليـس لديهـم أي اتصـالات مـع العـالم. الأخبـار المتوفـرة أن باخرتهـم (فيدهيربـن) قـد وصلـت إلى هنـا يـوم 25 سـبتمبر، لكـن لا توجـد معلومـات عـن تاريـخ وصولهـا إلى (فشـودة). مخـاوف (الميجـور مارشـند) بـأن يحجـز بواسـطة السـدود التـي يتخـوف مـن إغلاقهـا مجـرى النهـر، خصوصًـا في منطقـة صـوب (مـشرع الـرق) والتـي مـن خـلال المعاينـة مخـاوف حقيقيـة إذا لم تكـن لـدى القـوارب (بـدالات حديديـة) فـإن تجـاوز السـدود سـيكون صعبًـا، وبعـد هـذا يتوجـب استكشـاف المناطـق التـي يمكـن أن يعـبر مـن خلالهـا.

السوباط:

تقريـر المخابـرات الـذي وصلنـا مـن (كمنـدان السـوباط) ولم يصلنـا في وقـت تحـرك (الباخـرة) في 10 أكتوبـر 1898م. ولكـن مـن آخـر رسـالة مـن (السـوباط) فـإن كل أمورهـم هادئـة، وإن الشـلك والدينـكا في تلـك المقاطعـة تقبلـوا وجـود الحكومـة بسـعادة كبـيرة.

(وكيـل) الملـك سـاعدنا في إيصـال رسـائل جنـاب (الـسردار) إلى الأحبـاش و(الأمـير عـربي دفـع اللـه) وإلى يوغنـدا.

قائمقام/ هـ. و. جاكسون.

كمندان فشودة: فشودة.

10أكتوبر1898م

الملحق السابع

الملحق رقم 85 (2) من تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان، ترجمة د. البشير أحمد محيي الدين، إفادات (أحمد البدري) الذي وصل من جبل قدير وأم درمان في 31 ديسمبر 1898م.

أحمد الدرديري من الدوليب (من سكان إقليم دنقلا الأصليين) كان قد وصل إلى (جبل الداير) في 30 ديسمبر وأخذ منه الطريق 30 يومًا ليصل إلى هنا، وقد اضطر إلى الهرب من هجمات رجال (الخليفة).

الطريق الذي سلكه كالآتي:

م	المنطقة	المسافة بالأيام	ملاحظات
1	الداير	-	هطلت أمطار غزيرة
2	الرهد	1	هطلت أمطار غزيرة وبعض النباتات والأعشاب تسد الطريق
3	اللونيب	1	هطلت أمطار غزيرة والمنطقة بها أشجار
4	بارا	2	لا توجد مياه في الطريق ولكن توجد مناطق بها مياه كثيرة
5	كجمر	1	المياه توجد من الآبار وهي بسهولة وهي متوفرة
6	جبرة	1	المياه توجد في الآبار وهي عميقة بعمق 4 رجال وتوجد أشجار في جبل أبو طابور
7	جبل أبو طابور	2	لا توجد مياه في الطريق إلا المياه الموجودة في أشجار التبلدي والآبار هنا بعمق 10 رجال والمياه غير كافية
8	مشرع أبو النويرة	1	لا توجد مياه في الطريق ولا توجد أشجار، المياه توجد في الآبار التي بعمق 4 رجال
9	مشرع البقبق	1	المياه متوفرة والآبار بعمق رجل واحد
10	مشرع القحيباش	1	المياه متوفرة والآبار بعمق 5 رجال
11	أم درمان	1	لا توجد مياه في الطريق والطريق جيد

الرجل أفادنا بأن (جبل الداير) مأهول بالسكان، وأن أسعار الذرة رخيصة، وأن السكان الأصليين 5 آلاف رجل وأعداد كبيرة من النساء والأطفال.

الأجانب الذين فروا وأصبحوا لاجئين من إقليم كردفان لجئوا إلى (جبل الداير) ويقدر عددهم بحوالي 3000 لاجئ من الرجال وأعداد كبيرة من النساء والأطفال، وفي يوم من الأيام كان سكان (جبل كدارو) من النوبة والذي يقع قرب (جبل الداير) أغلب السكان من كردفان دخلوا (جبال الداير) كلاجئين ويقدر عدد السكان الأصليين الذين لجئوا إلى (جبال الداير) بحوالي 2000 بينما سكان الجبل الأصليون يقدرون

بحـوالي 3000 آلاف مـن الرجـال.

كل هـؤلاء المواطـنين يتمنـون أن تصـل الحكومـة وتخلصهـم مـن الحكـم القـاسي وتهـزم الدراويـش، ويتمنـون أن يكونـوا تحـت حكـم الحكومـة، وأن يتـم اعتقـال قـوة الدراويـش الموجـودة في مناطقهـم، الرجـل الـذي أدلى بهـذا التقريـر أفـاد بأنـه قابـل في (جبـل الدايـر) رجـلًا قادمًـا مـن طـرف (الخليفـة) ويحمـل خطابًـا للسـكان والعـرب والتعايشـة بــ(جبـل الدايــر) وقــد أدلى مبعــوث (الخليفــة) للرجــل الــذي أدلى بالتقريــر بــالآتي: بــأن القــوات الموجـودة مـع (الخليفـة) تقـدر بحـوالي 3000 مقاتـل مـن حملـة البنـادق ومـا بـين 8000 إلى 10.000 مقاتـل مـن حملـة الرمـاح والسـيوف و400 فـارس، وأغلـب هـذه القـوة مـن العـرب الذيـن انضمـوا إليـه مـن الجبـال (جبـال النوبـة).

قـوة الجهاديـة أغلبهـم هـرب مـن (الخليفـة) وذهـب إلى الجبـال (جبـال النوبـة) وهنـاك 400 مـن الجهاديـة هربـوا إلى (مملكـة تقـلي).

الأهـالي في (جبـل الدايـر) يتخوفـون مـن هجـمات رجـال (الخليفـة) المتكـررة وأغلبهـم التجـأ إلى (أم روابـة) التـي تقـع شرقهـم مسـيرة يـوم واحـد و(أم ركبـة) التـي تبعـد عنهـم يومـين إذا كان المسـير متصـلًا، (دار تقـلي) تقـع جنـوب شرق جبـل الدايـر وتبعـد مسـيرة 3 أيـام، إذا افترضنـا أن (الخليفـة) ينـوي التحـرك إلى (دار التعايشـة) وينضـم إلى أهلـه، ولكـن قبائـل (دغيـم) لا ترغـب في الانضـمام إلى تلـك البـلاد النائيـة، وإن (الخليفـة) إمـا أن يطلـب العفـو مـن الحكومـة وإمـا أن يقـوم بالانضـمام إلى مناطقهـم القريبـة مـن (جبـل قديـر) و(الخليفـة) تخـلى عـن فكـرة الرحيـل إلى (ديـار التعايشـة) وقـرر أن يقـوم بعمليـات نهـب السـكان والعـرب حـول (جبـل قديـر)، وإن (الخليفـة) سـيتحرك للاسـتقرار في (جبـل قديـر).

في (جبـل الدايـر) ينشـط السـكان المحليـون في الزراعـة بصـورة كثيفـة وبالأخـص زراعـة الحبـوب حيـث يبلـغ سـعر الأردب دولاريـن.

الشـيخ (الدرديـري) أعطانـا إحصائيـات عـن الأسـلحة الموجـودة، وهـي مفرقـة في أيـدي العـرب في الجبـال كـما هـو موضـح:

حلة ساردية (جبل الداير) ــــــــــــــــــــــــ 200 بندقية.

حلة عقيرة فرو (جبل الداير) ــــــــــــــــــــــــ 200 بندقية.

حلة رحمات رحمة (جبل الداير) ــــــــــــــــــــــــ 100 بندقية.

حلة دار موسى رحمة (جبل الداير) ــــــــــــــــــــــــ 200 بندقية.

حلة العين داين (جبل الداير) ________________ 80 بندقية.

حلة مندر الخليفة (جبل الداير) ________________ 60 بندقية.

حلة كيملا نمر (جبل الداير) ________________ 150 بندقية.

حلة فيرلا فرلا (جبل الداير) ________________ 50 بندقية.

الإجمـــــــــــــــالي ________________ 1040 بندقية.

الملك جيلي آدم (تقلي) ________________ 500 بندقية.

جبل طاطوق (الملك عديل) ________________ 300 بندقية.

جبل رشاد (الملك إسماعيل) ________________ 300 بندقية.

جبل كاجاجا (الملك عبد الله) ________________ 300 بندقية.

جبل تكوم تكم (الملك الخليفة) ________________ 300 بندقية.

الإجمـــــــــــــــالي ________________ 1700 بندقية.

جبال كدرو (تحت قيادة جبريل) ________________ 600 بندقية.

جبل الكواليب (تحت قيادة ناصر) ________________ 700 بندقية.

جبل الدلنج (تحت قيادة عبيدة) ________________ 100 بندقية.

جبل النومة (نيمنج – نما) ________________ 1000 بندقية.

جبل المندل ________________ 100 بندقية.

جبل الغلفان ________________ 100 بندقية.

جبل ديري ________________ 100 بندقية.

جبل واتي ________________ 100 بندقية.

جبل أم حيطان ________________ 100 بندقية.

جبل أبو عضام ________________ 120 بندقية.

الإجمـــــــــــــــالي ________________ 3030 بندقية.

جبل قوقواب (تحت قيادة الملك رحال)	600 بندقية.
جبل تلودي	400 بندقية.
جبل الليري	400 بندقية.
جبل تيرا	1400 بندقية.
جبل الليري	300 بندقية.
جبل أبو جنوك	200 بندقية.
جبل داجو	200 بندقية.
جبل سيليقي	200 بندقية.
الإجمالي	3700 بندقية.

البنادق الموجودة في أيدي بقارة جبال النوبة:

الحوازمة	300 بندقية.
الحمر	200 بندقية.
المسيرية	200 بندقية.
الرزيقات	300 بندقية.
أولاد حميد	200 بندقية.
كنانة	200 بندقية.
الإجمالي	1400 بندقية.

البنادق الموجودة في حوزة قبيلة البديرية (عرب):

البنادق تحت سيطرة (عبد الصمد الطاهر) في جبال الكواليب	150 بندقية.
البنادق تحت سيطرة (العبيد الحاج)	130 بندقية.
الإجمالي	280 بندقية.

المحلق الثامن

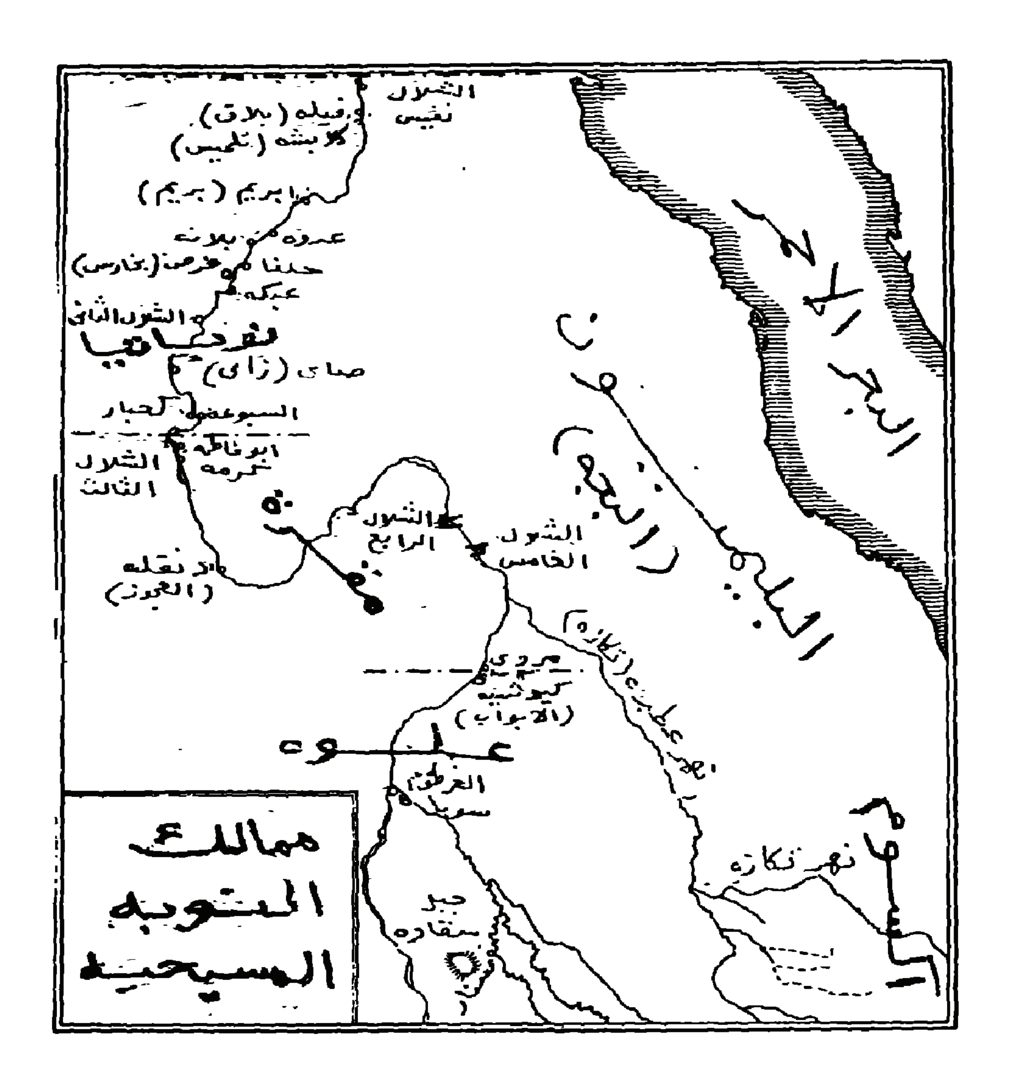


SAD.A83/266 -- J. A. Gillan, Governor, Kordofan, with Mak Adam Geili -- 3 May 1932 -- Tegali (Kordofan)

الملك جيلي وحاكم كردفان جيلان

الملحق التاسع

ممالك النوبة المسيحية في السودان



ممالك النوبة المسيحية

المصدر: كتاب ترنجهام سبسر، الإسلام في السودان ص 45

الملحق العاشر

TABLE "A."

Table showing kings of Tegali and their relationship with the Gamu'ia, from the *nisba*, written out by el Hag el Tahir ibn el Mek Adam.

Kerdam (ancestor of the Ja'aliyin)
Sarrar
Musmar
Subuh Abu Markha
Hameidan
Ghanim
Gumu'a (ancestor of the Gamu'ia)
Mansur
Diab
Abdel Mun'im (" nicknamed Rubat, and he was the first to prefer his property to religion ")
Ahmed
Mohammed (" well known as Dula ")
Geili Abu Garida (" well known as Sakraj ") (1)
Sabo (2)

- Sabo (2) → Geili 'Omara (3); 'Omar Abu Shiheira (4)
- Geili 'Omara (3) → Geili 'Awanallah (5) → Geili Abu Gurun (6)
- Geili Abu Gurun (6) → Mohammed (7); 'Omar Abu Zintir (8)
- Mohammed (7) → Ismail (9); *Rindon*
- Ismail (9) → Abukr (10); Agilun; el Meriud (13); 'Omar
- 'Omar → *Museirab*
- Abukr (10) / el Meriud (13) → 'Omar (11); Ahmed (12); Nasir (14)
- 'Omar (11) → Adam Dabello (15)
- Ahmed (12) → *Gezira*
- Nasir (14) → el Mumin; el Fahl
- Adam Dabello (15) → Ali (16); Geili (17); see table " B "
- Geili (17) → Abukr (18); Adam (19); see table " B "

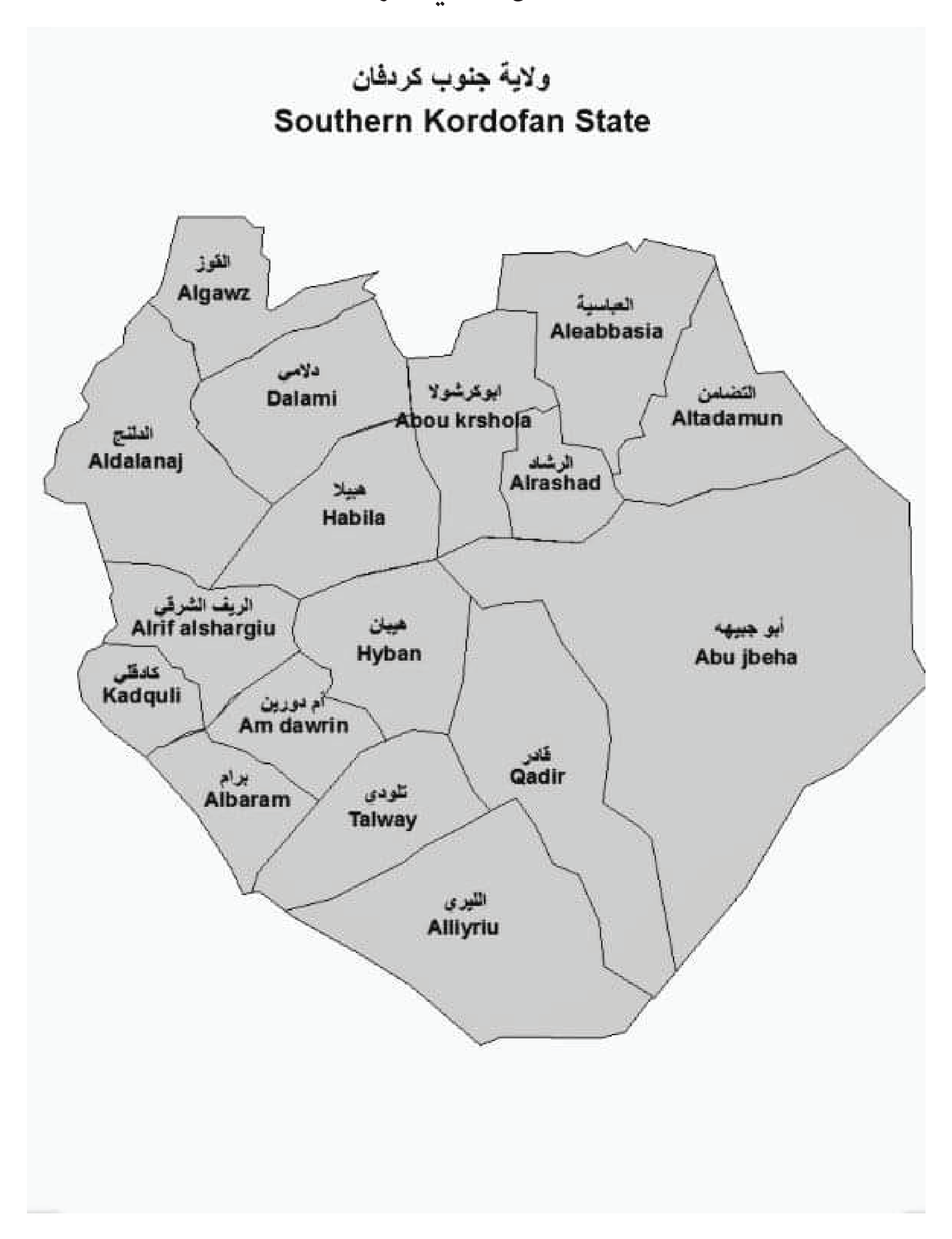
NOTES.

1. Numbers in brackets indicate kings of Tegali, in order of reigns.
2. Branches of the royal family are indicated in *italics*. Descendants of King Omar Abukr are known as the " To'dir " and appear more fully in table " B."
3. Ancestors beyond Kerdam are omitted because they are no different from those in other Ja'aliyin *nisbas*.
4. Phrases in parenthesis are translations of those occurring in el Hag el Tahir's document.

قوائم مكوك مملكة تقلي

المصدر آر. جي. إلياس، مملكة تقلي، مجلة السودان في رسائل ومدونات، العدد 16، الجزء الأول،1935م.

الملحق الحادي عشر



الخارطة السياسية لولاية جنوب كردفان

الملحق الثاني عشر

تعيين العمدة عيسى الجندي

اورنيك حكومة السودان / سكرتير ملكي / نمرة ٧٥

قانون سلطات المشايخ سنة ١٩٢٧

المديرية كردفان

الشيخ نمرة ١١

الامر

عملاً بالسلطات التي لي بموجب المادة ٥ من قانون سلطات المشايخ سنة ١٩٢٧ انا السير جون لودر مفي

حاكم السودان العام افوض بهذا الامر الشيخ عيسى الجندي عمدة تقلي كجاجا

(يذكر هنا اسم الشيخ ولقبه)

وهو جالس منفرداً بان يباشر السلطات طبقاً لنصوص القانون المذكور في مخصص اختصاصه في القبيلة مصدقا به اداريا

(يذكر هنا حدود القبيلة او الجهة الـ... يجوز مباشرة ... ضمنها)

ولكنه لا يكون له اختصاص على القضايا القائمة ضد اشخاص ليسوا من اهالى افريقيا او ضد المصريين او ضد موظفى الحكومة

(... هنا طوائف ... اخراجهم ... اختصاصه)

والعقوبة التي له ان يوقعها لا يجوز ان تزيد عن غرامة ٥ جنيهاً مصرياً وليس له حق العقاب بالحبس .

صدر هذا الامر بتوقيعي في اليوم الرابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٢٩

حاكم السودان العام

المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

سورة النساء الآية رقم 100.

الكتب العربية

1. **إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر، ج 2، مطبعة دار الآداب والمؤيد، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1319.**
2. **آر. جي. إلياس، مملكة تقلي، مجلة السودان في رسائل ومدونات، العدد XVII،1935م.**
3. **اقناتيوس بالمة، رحلات في كردفان 1837-1839م، ترجمة أرباب موسى بخيت، دار المصورات للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان.**
4. **الطيب محمد الطيب، الشيخ فرح ود تكتوك حلال المشبوك، معهد الدراسات الأسيوية والإفريقية، جامعة الخرطوم، بدون تاريخ نشر.**
5. **ب. م. هولت، المهدية في السودان، ترجمة جميل عبيد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.**
6. **البشير أحمد محيي الدين، المنسي والمحكي من تاريخ السودان معالجة روائية لقصص تاريخية، دار ويلوز، جوبا، جنوب السودان، 2020م.**
7. **البشير أحمد محيي الدين، قبائل السودان فسيفساء الوحدة الوطنية، بحث غير منشور، الخرطوم.**
8. **البشير أحمد محيي الدين، تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان، ترجمة وتحقيق، التقرير رقم 60، الملحق رقم 58، ملحق مذكرات فشودة، دار رفيقي للطباعة والنشر، 2020.**
9. **ج. سبنسر تريقام، الإسلام في السودان، ترجمة محمد فؤاد عكود، المشروع القومي للترجمة، القاهرة،2001م.**
10. **جانيت إيوالد، الزعامة والتغيير الاجتماعي في منطقة إسلامية، مملكة تقلي**

1780-1900م، بحث دكتوراه من جامعة ويسكونسن الولايات المتحدة الأمريكية، 1982م، ترجمة معاوية عبد الرحمن الزيبق.

11. حافظ فرح أحمد، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، القاهرة، 2003م.

12. حسن أحمد إبراهيم، رحلة محمد علي باشا إلى السودان التقرير الرسمي 1838-1839، معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية، الخرطوم، 1991.

13. ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، بدون تاريخ نشر.

14. عبد الباقي محمد كبير، انتشار الإسلام في إفريقيا بأقلام أوروبية، أوراق المؤتمر الدولي للإسلام في إفريقية، جامعة إفريقية العالمية، الخرطوم،2006، المجلد رقم 13.

15. عبد القادر محمد عبد القادر دورة، تاريخ مملكة تقلي الإسلامية، المركز الإسلامي الإفريقي للدراسات والبحوث، جامعة إفريقية العالمية، الخرطوم، 1994م.

16. عبد الله خضر أحمد، الهجرة وأثرها في انتشارالإسلام بإفريقيا (الحبشة نموذجًا)، مجلة جامعة الحياة، 2015م. ONDOKUZ MAYIS ÜNİVERSİTESİ İLAHİYAT FAKÜLTESİ DERGİSİ [2015] sayı: 38

17. عبد المحمود أبو شامة، حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تلسهاي، مطبعة سيد المرسلين، أم درمان،1986م.

18. عون الشريف، موسوعة القبائل والأنساب في السودان، ج2.

19. محمد إبراهيم أبو سليم، عالم المهدية الحسين الزهراء وأعماله، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الكتاب رقم 28 من ألف كتاب سوداني، 1969م، الخرطوم.

20. محمد إبراهيم أبو سليم، أدوات الحكم والولاية في السودان، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م.

21. محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد سعيد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، القاهرة، 1965م.

22. مكي شبيكة، مقاومة السودان للغزو والتسلط، معهد الدراسات والبحوث

العربيــة، القاهــرة، جمهوريــة مــصر العربيــة، 1972.

23. الملحــق رقــم 58 أوراق فشــودة دار تقــلي، تقاريــر المخابــرات البريطانيــة عــن الثــورة المهديــة في الســودان التقريــر رقــم 60، ترجمــة وتحقيــق البشــير أحمــد محيــي الديــن مــوسى، دار رفيقــي للطباعــة والنــشر.

24. نــاني اوبــت ننــده، التاريــخ القديــم والوســيط والحديــث لجبــال النوبــة، ج1 التاريــخ القديــم، ترجمــة غانــم ســليمان غانــم.

25. نعــوم شــقير، تاريــخ وجغرافيــة الســودان، تحقيــق دكتــور محمــد إبراهيــم أبــو ســليم، دار الجيــل بــيروت، لبنــان، 1981م.

26. وقيــع اللــه الطيــب وقيــع اللــه، الزبــير رحمــة بــين المادحــين والقادحــين، مطبعــة أرو، الخرطــوم، 2012م.

27. ونجــت باشــا، المهديــة والســودان المــصري، ترجمــة محمــد المصطفــى حســن، دار عــزة للنــشر، الخرطــوم، الســودان، 2009م.

28. يوســف إســحاق أحمــد، المــاضي المعــاش في جبــال النوبــة) منطقــة الأجنانــج(، دارعــزة للنــشر، 2118 م، الخرطــوم.

29. يوســف أبــو قــرون، لمحــات مــن عــادات وحيــاة قبائــل الســودان الكــبرى، دار جامعــة الخرطــوم للطباعــة والنــشر، الخرطــوم، 1966م.

30. يوســف فضــل، ســلطنة الفونــج الإســلامية، مجلــة دراســات إفريقيــة، العــدد 22، جامعــة إفريقيــة العالميــة، الخرطــوم،1999م.

31. يوســف فضــل حســن، مجلــة دراســات إفريقيــة، العــدد 22، جامعــة إفريقيــة العالميــة، ســلطنة الفونــج الإســلامية ودورهــا في تاريــخ ســودان وادي النيــل، 1999م.

32. يوســف فضــل حســن، مقدمــة في تاريــخ الممالــك الإســلامية في الســودان الشرقــي مــن1450 -1821م، مطبعــة ســودان تكنولوجــي، الخرطــوم 2003م.

الكتب الأجنبية

المقابلات

1. مقابلة مع المهندس معاوية عبد الرحمن الزيبق حفيد المك آدم أم دبالو، (أعمال المكوك والتراث في تقلي) الخرطوم، 2020/7/27م.

2. مقابلة مع التجاني حاج أحمد حفيد المك آدم أم دبالو، الخرطوم الشقيلاب، بتاريخ 2020/6/18م.

3. مقابلة مع خالد حاج أحمد حفيد المك آدم أم دبالو (الصوفية في تقلي)، أجراها البشير أحمد محيي الدين، الخرطوم.

4. مقابلة مع العمدة سليم جان عمدة قبيلة المابان (نشر الدعوة الإسلامية ودور الصوفية)، الروصيرص، 2009م، أجراها البشير أحمد محيي الدين.

5. مقابلة مع آدم إبراهيم أبوه، من أهالي أم روابة، الحديث حول دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في جبال النوبة الشرقية، بتاريخ 2020/5/22م.

6. مقابلة مع شرف الدين حاج أحمد، حفيد المك آدم أم دبالو (المدن والقرى في تقلي)، الخرطوم 1 يونيو2020م.

مواقع الإنترنت

1. http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=292:b_3cA23&catid=52&Itemid=55 د. عمرمصطفى شركيان

2. https://www.sudaress.com/alsahafa/26897l **مملكة تقلي واقع يهدد شموخ الماضي**

3. **الصحافة السودانية نشر في جريدة يوم 02 - 05 - 2011**

4. **موقع النسابون العرب، نسب محمد الجعلي مؤسس مملكة تقلي الإسلامية.**

الفهرست